الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ وسيط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

تحت عنوان:

البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين

7 و10هـ/13- 16م

إعداد الطالبة:

❖ بوجلال نصيرة

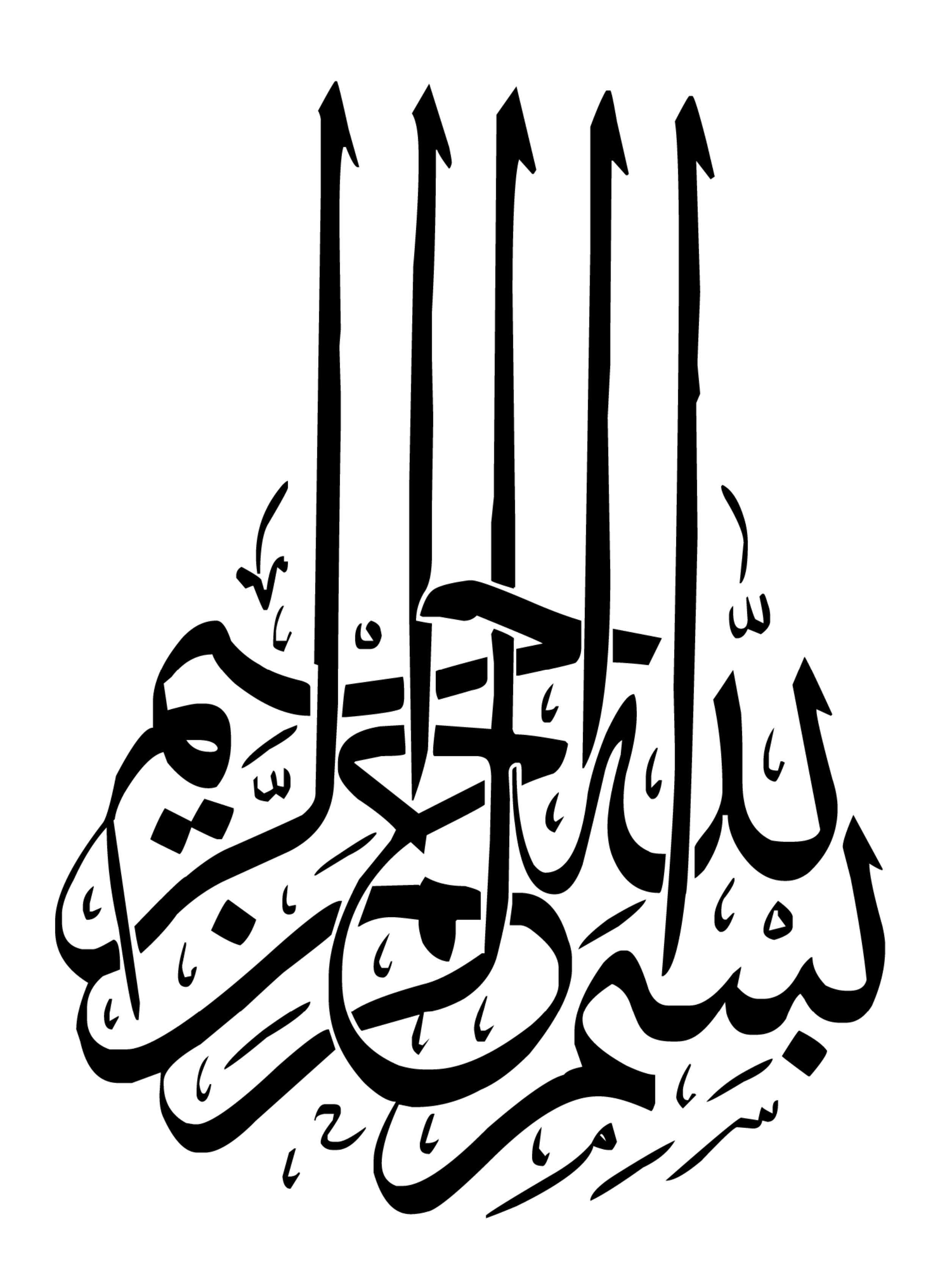
ثلإر اف الأستاذ:

د/مسعود خالدي

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د/ ابح أولاد ضياف	أستاذ محاضر	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د/مسعود خالدي	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د/عبد القادر مباركية	أستاذ مساعد	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية : 1438-1439هـ/ 2016-2017 م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم:

قال الله تعالى:

{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}

سورة طه،الآية 114.

وقوله أيضا:

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}

سورة المجادلة:الآية 11.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

مَاءُ مَصَابِيحُ الأَرْضِ وَخُلَفَاءُ الأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ}

حديث صحيح.

قال العبدري في وصف مدينة قسنطينة:

"مطمح الآمال ومصاب كل برق ،ومحط الرحال من الغرب والشرق ،وحليت بها على مر الدهر الطروس،لا تنشر بها ضالة العلم إلا وجدتها ولا تلتمس لها بغية معوزة إلا استفذتها".

ويقول القلصادي:

"سوق العلم حينئذ بها نافعة وينابيع العلوم على إختلافها مغدقة".



إهداء

إلى اللذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهما: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ صدق الله العظيم.

أهدي هذا العمل إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود أمي الغالية التي لم تبخل علي بدعواتها ،

إلى من مهد لي طريق العلم وعلمني أن الحياة كفاح ونضال ودعمني ماديا ومعنويا أبي العزيز .

إلى أفراد عائلتي الصغيرة كل بإسمه أخي (الأمين) وأخي الصغير (محمد)

إلى عائلتي "بوجلال" و"سعايدية" جزاهما الله خيرا.

إلى زميلاتي وزملائي بقسم التاريخ _ كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة قالمة.

نصيرة

شكـــــــر و عرفـــــــان

الحمد لله الذي أنار طريقنا وثبت خطانا وأمدنا بالصبر لإكمال المشوار والحمد لله ربي العالمين الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته، أحيا نفوس العابدين، بنور عبادته هو العادل الذي لا يجور في حكمه. أنه لمن دواعي الأمانة والوفاء

أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل والمشرف على هذا العمل

الأستاذ: "مسعود خالدي".

الذي قدم لنا يد العون ولم يبخل علينا بتوجيهاته الخاصة وآراءه العلمية ونصائحه المثمرة التي أفادنا في موضوعنا فله منا جزيل الشكر وفائق الإحترام والتقدير .

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الذين درسوني - أساتذة قسم التاريخ - وعلى رأسهم أساتذة التاريخ الوسيط لما أبدوه من عون لنا فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أقدم شكري وا ٍمتناني إلى الأستاذ الفاضل "مباركية عبد القادر"على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات ولما أتحفني به من المصادر والمراجع والنصائح والأفكار.

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى لجنة المناقشة الموقرة على تفضلها بقراءة هذه المذكرة ومناقشتها.

إلى من سهر على إخراج هذا العمل كل بإسمه.

كما أشكر كل من ساهم في هذا العمل و لو بالكلمة الطيبة من قريب وبعيد، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

قائمـــــــــــة الرموز و الاختصارات

المختصرات باللغة العربية	
- إخ : إخراج	- س: سنة
- إلخ : إلى آخره	- ص : صفحة
- تح : تحقيق	- ص- ص : صفحات متتالية
- تر : ترجمة	- ص،ص : صفحات متفرقة
- ت : توفي / المتوفي	- ص.ن : صفحة نفسها
- تع : تعليق	- ط : طبعة
- تق : تقديم	- ع : عدد
- ج : جزء	- ق : قرن
- ج : جمع	-ق.م : قبل الميلاد
- د.س.ن : دون سنة النشر	- مج : مجلد
- د.د.ن : دون دار النشر	- م : ميلادي
- د.ط : دون طبعة	- هـ : هجري
- د.م.ن : دون مكان النشر	- ها: هامش
- د.ص : دون صفحة	- (....): حذف لفظة، جملة أو أكثر من القول المستشهد به.
- رضه : رضي الله عنه	
- رج : راجعه	/: يفصل بين التاريخ الهجري والميلادي
-رحه : رحمه الله	
- س : ساعة	
المختصرات باللغة الأجنبية	
: p-الصفحة	-: Op.citالمرجع السابق

خطة البحث:

<table>
<tr><td colspan="2">مقدمة</td></tr>
<tr><td colspan="2">مدخل</td></tr>
<tr><td>الفصل الأول</td><td>:الحياة العلمية بقسنطينة مابين القرن(7هـ-10هـ/13- 16م)
تمهيد.
أولا: لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة قسنطينة.
ثانيا: مصطلح البيوتات دلالته ونشأته.
ثالثا: مظاهر الحياة العلمية والفكرية في قسنطينة ما بين القرن(7هـ-10هـ/13- 16م).</td></tr>
<tr><td>الفصل الثاني</td><td>: بيت الفكون ودوره الثقافي والسياسي في مدينة قسنطينة.
تمهيد.
أولا: التعريف بالبيت الفكوني.
ثانيا:علماء البيت الفكوني وا إسهاماتهم الفكرية.
ثالثا:علاقة أسرة آل الفكون بالسلطة الحاكمة.</td></tr>
<tr><td>الفصل الثالث</td><td>: البيت القنفذي ومكانته العلمية والسياسية
.تمهيد
أولا: بيت إبن قنفذ أصله ونسبه.</td></tr>
</table>

<table>
<tr><td></td><td colspan="2">ثانيا: أشهر علماء الأسرة القنفذية و مكانتهم العلمية.

ثالثا: علاقة الأسرة القنفذية بالسلطة الحفصية</td></tr>
<tr><td colspan="2">الفصل الرابع

خاتمة</td><td>: البيت الباديسي يمهد لنفوذه علميا وسياسيا.

تمهيد.

أولا: الأصل والنشأة.

ثانيا:علماء أسرة آل باديس وا إسهاماتهم العلمية.

ثالثا: علاقة الأسرة الباديسية بالسلطة الحفصية.

رابعا: بيوتات وأسر علمية أخرى بمدينة قسنطينة ودورها الثقافي والسياسي.</td></tr>
<tr><td colspan="3">الملاحق.</td></tr>
<tr><td colspan="3">فهرس الأماكن والأعلام.</td></tr>
<tr><td colspan="3">قائمة المصادر والمراجع.</td></tr>
<tr><td colspan="3">فهرس المحتويات.</td></tr>
</table>

مقدّمـــــــــــة

تعتبر مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من المراحل المهمة وإحدى الصفحات المشرقة في تاريخه وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، نظرا لما جاء به الفاتحون للمنطقة من دين وفكر جديدين للسكان، ولسماحة وعدالة الإسلام، فقد تمسك به البربر، هذا الدين شجعهم على التطور والتحضر والتأدب في جميع الميادين خاصة الميدان الفكري العلمي.

فكان من نتائج ذلك أن ظهرت مجموعة من المدن والمراكز الحضارية التي تطورت وإزدهرت وما زالت تحتفظ بكثير من معالمها الأثرية التي تشهد على العمق الحضاري الإسلامي لها. ومن بين هذه الحواضر العلمية نذكر مدينة قسنطينة التي شهدت ازدهارا ثقافيا وفكريا على العهد الحفصي. وعرفت ظاهرة إجتماعية تمثلت في البيوتات التي صنفت إلى بيوتات سياسية أو علمية أو دينية.

وتتناول دراستنا هذه صنف من هذه الأصناف وهي البيوتات العلمية التي أنجبت ثلة من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدروا للتدريس والتأليف والإفتاء والقضاء...إلخ، ونظرا لما تملكه هذه البيوتات العلمية من مؤهلات معنوية ومادية، هذا ما جعلها تقوم بعدة أدوار في المجال الديني والثقافي والسياسي، فلعبت دور الوسيط بين المجتمع والسلطة، كما تعد المحرك الأساسي لعجلة الحياة الفكرية والثقافية التي إزدهرت على العهد الحفصي وذلك يعود للدور الذي قامت به هذه البيوتات في تعليم أبنائها، ومن ثم قدمت نخبة من العلماء والمدرسين والفقهاء والقضاة والشعراء والأدباء الذين تولوا التدريس وأخرجوا جيل مثقف، رفعوا مكانة المدينة إلى الشهرة. ومن ثم جاء موضوع دراستي الموسوم بـ " **البيوتات العلمية بقسنطينة ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م)**" كونه يعالج أحد الجوانب المهمة في الحقل الثقافي والفكري.

وتتمحور **الإشكالية** التي نطرحها ضمن هذه الدراسة حول: هل أن بيوتات العلماء هي التي ساهمت في نهضة قسنطينة العلمية والثقافية ؟ أم أن بيوتات العلماء كانت من نتاج هذه النهضة التي عرفتها المدينة خلال هذه الفترة ؟وإن كان كذلك فإلى أي مدى تأثرت بهذه النهضة، وكيف أثرت فيه بدورها ؟.

ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

-ماهي أبرز مظاهر الحياة العلمية في قسنطينة، وكيف كانت حالة التعليم بها ؟.

- ماهي هذه البيوتات التي أنجبت العديد من العلماء ؟ وماهي عوامل ظهورها ؟ وكيف استقرت بقسنطينة ؟.

- إلى أي أصول تنتمي هذه البيوتات؟ ومن هم أشهر وأبرز علماءها ؟ وما هي إنتاجياتهم الفكرية ومساهماتهم العلمية ؟.

- كيف كانت علاقة هذه البيوتات بالسلطة الحاكمة ؟ ثم ما هي مشاركاتهم السياسية وأدوارهم الوظيفية ؟.

- وهل العلم وحده كاف لبروز البيت العلمي ؟ أم توجد عوامل أخرى ؟ وكيف حافظت على مكانتها ؟ .

-وهل كان يوجد بالمدينة أسر وبيوتات علمية أخرى بخلاف البيوتات العلمية العريقةوا ٕن كانت أقل من تلك شأنا ؟.

أما عن أسباب اختيارنا الموضوع فهناك دوافع علمية وهناك دوافع ذاتية، فعن **الأسباب الموضوعية** نذكر:

-قلة الدراسات التي تتناول مثل هذا الموضوعوا ٕن كانت هناك فهي تشمل أسرة من الأسر.

-كذلك تسليط الضوء على عدد لا بأس به من الأسر، والتي كانت لها إسهامات جليلة في الميدان الثقافي ومدى تأثيرها على مدينة قسنطينة. والوقوف على ذلك الإرث العظيم والتراث الحضاري الذي خلفته سواء الموجود أم المفقود.

-كذلك حاجة المكتبة الجامعية لمثل هذه الدراسات.

أما عن **الأسباب الذاتية** فقد كان اختياري للموضوع قناعتي وميول شخصيتي، وهي رغبتي في المساهمة في كتابةتاريخ المغرب في العصر الوسيط و أن يكون هذا العمل إضافة معرفية للمكتبة، هذا من جهة ومن جهة أخرى تشجيع الأستاذ المشرف على تناول بيوتات قسنطينة لما احتوته من تراث عريق لا بد من إلقاء الضوء عليه.

وهدف هذه الدراسة يكمن في أهمية موضوع البيوتات في حد ذاته.وا ٕبراز دوره في مختلف جوانب الحياة خاصة أن المتتبع لتاريخ العلماء يجد أن الكثير منهم ينتمون إلى بيت واحد فذلك التراث الثقافي الذي خلفوه لم يكن نتاج فرد من الأفراد أو أسرة من الأسر بل كان نتيجة لتظافر جهود مختلف هذه البيوتات وتنافسها العلمي، فتوارثته الأجيال كابرا عن كابر الأمر الذي جعلها تحتكر العلم وتختص به دون غيرها.

أما حدود الدراسة تتمثل في المجال الزمني الذي يشمل الفترة الحفصية من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، والمجال الجغرافي هو قسنطينة باعتبارها حاضرة وعاصمة بني حفص.

ولدراسة هذا البحث بطريقة منهجية اعتمدت على المنهج التاريخي القائم على **الوصف والسرد**، أي وصف مدينة قسنطينة من الناحية الجغرافية ومن الناحية الثقافية، وسرد الوقائع والأحداث مع ذكر المعلومات الخاصة بكل بيت من البيوتات العلمية التي اشتهرت بهم قسنطينة مع التحري بالدقة والموضوعية قدر الإمكان، كذلك اعتمدت **المنهج التحليلي** أي تحليل المادة التاريخية والتعليق عليها واستقراءها لمعرفة أصل ونسب هذه البيوتات والوقوف على الجد الأول لها والوصول إلى النتائج المتمثلة في الإرث الحضاري الذي تركته أو خلدته هذه البيوتات على مر الزمن. و**المنهج المقارن** من خلال التعرض لأسماء عدد من البيوتات و مدى مساهمتها في العلوم التي برزت فيها ومقارنتها ببعضها البعض، وما تركته من آثار في الميدان الثقافي من المؤلفات والتي حفظت لنا بعض المصادر عناوين لها.

و لدراسة موضوعنا والإجابة على الإشكاليات المطروحة سابقا اعتمدنا على **خطة بحث** مكونة من مقدمة ومدخل و أربعة فصول وخاتمة.

فالمقدمة تحتوي على تمهيد للموضوع، مع طرح الإشكالية المصحوبة بأسئلة فرعية تخدم بحثنا، كما أبرزنا فيها أهمية الموضوع و أسباب اختياره، والمنهج الموافق للدراسة بالإضافة إلى هيكلة للموضوع، ودراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع.

أما المدخل فخصصته للتعريف بالظروف السياسية والثقافية التي سادت بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م. وكيف كانت علاقة هذه الدول ببعضها البعض وذكر أهم المراكز و الحواضر التي برزت في هذه الفترة منها قسنطينة، ومدى إسهامها في الحركة الثقافية.

أما الفصل الأول فتناولت فيه مظاهر الحياة العلمية بمدينة قسنطينة على العهد الحفصي وتركز البحث في ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول خصصته للتعريف بجغرافية المدينة وتاريخها في القديم والوسيط، أما المبحث الثاني فقد شمل التعريف بمصطلح البيوتات مدلوله وعوامل ظهوره في قسنطينة، أما المبحث الثالث فقد تضمن المؤسسات التعليمية التي ظهرت في المدينة من مساجد ومدارس وكتاتيب وزوايا ومكتبات، ونظام التعليم بالمدينة في هذه الفترة وطرقه ومقرراته.

وفي الفصل الثاني تطرقت فيهلى بيت الفكون ودور ه الثقافي والسياسي في قسنطينة واحتوى على ثلاثة مباحث، في المبحث الأول تناولت فيه التعريف بالبيت الفكوني، والمبحث الثاني خصصته لعلماء هذا البيت ومكانتهم العلمية وما خلفوه من تراث عريق

إستفادت منه المدينة، والمبحث الأخير خصصته لعلاقة هذه العائلة بالسلطة الحاكمة مع التركيز على الدور السياسي لعلماء الأسرة و أهم الوظائف التي تولوها وتوارثوها.

أما الفصل الثالث تعرضت فيه إلى البيت القنفذي ومكانته العلمية والسياسية، و هو الآخر تركز في ثلاثة مباحث،المبحث الأول خصصته لأصل ونسب الأسرة القنفذية، والمبحث الثاني لأشهر علماء هذا البيت و إسهاماتهم الفكرية مع الإطناب في التحدث على أشهر شخصية لهذا البيت من خلال التعرض لحياته العلمية بالتفصيل من ذكر شيوخه وحياته الدراسية ورحلاته وما تركه من تراث سواء المفقود أم المخطوط أم المطبوع.وفي المبحث الثالث تناولت علاقة الأسرة القنفذية بالسلطة الحفصية.

و الفصل الرابع والأخير كان بعنوان البيت الباديسي يمهد لنفوذه علميا و سياسيا تناولت فيه أربعة مباحث، خصصت المبحث الأول منه للتعريف بهذه الأسرة والنبش في أصولها ثم تعرضت في المبحث الثاني لعلماء هذا البيت رغم شح المصادر على ذكر القائمة الكاملة لعلماء هذه العائلة،والمبحث الثالث تطرقت فيه إلى الدور السياسي للبيت الباديسي و أهم الوظائف التي توارثها من خلال إبراز تلك العلاقة التي تربط الأسرة بالسلطة، أماالمبحث الرابع فخصصته لبيوتات و أسر أخرى ظهرت بقسنطينة وكانت معاصرة ومتزامنة مع البيوتات السالفة الذكر، والفرق بينها أنها ظهرت في آخر فترة الدراسة وكانت أقل من تلك شأنا،متطرقة في هذا إلى تعريفها والوقوف على علماءها الذين اشتهر منهم الفقيه والأديبو القاضي والكاتب والمفتي وغيرها وما أدوه من أدوار علمية وسياسية .

وفي **ختام** بحثنا استخلصنا مجموعة من الاستنتاجات أجبنا فيها عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة، وقد دعمنا بحثنا هذا بملاحق عبارة عن مخطوطات لها علاقة بموضوع البحث ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما عن **الدراسات السابقة** والتي تناولت موضوعنا نذكر أهمها:

-دراسة لفوزية لزعم بعنوان"**البيوتات العلمية بقسنطينة و بجاية في ظل الحفصيين**"، منشورة في مجلة عصور جديدة، تناولت الأسر المشهورة خلال فترة الدراسة ودورها الثقافي.

-كذلك اعتمدت على رسالة ماجستير بعنوان"**الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن7هـ-10هـ/13م-16م)**" لعلال بن عمر من إشراف عبد العزيز فيلالي الذي له دراسات عديدة على قسنطينة وأسّرها وعلماءها، وقد أفادني الإطلاع على هذه الدراسة لرسم صورة واضحة على موضوع بحثي.

وقد صادفتني في ذلك جملة **من الصعوبات** التي تواجه أي باحث في كتابة بحثه من أهمها:

-صعوبة جمعوا إخراج المادة الخبرية من المصادر و صياغتها، كون مدينة قسنطينة لم تحظ بالدراسات الكافية ما عدا ما وجد في مؤلفات ابن قنفذ وابن الفكون.

-صعوبة التعامل مع بعض التراجم التي أغلبها تعتمد على الفهرسة النهائية (أي وجود الفهارس في الجزء الأخير)، مما صعب الحصول على ترجمة عالم معين، واضطراب بعض كتب التراجم في تحديد تاريخ الوفاة، والبعض الآخر لم يحدده، فكان هذا عائقا صعب اختراقه.

-كذلك تداخل أسماء الشخصيات المحمدية (أحمد ومحمد)، والمكنات بأبوة الأسماء المعبدة، أبو عبد الله، أبو علي، أبو عبد الرحمان، أبو الحسن، أبو العباس مما صعب التمييز بينها.

-كثرة أسماء الأماكن والأعلام وضرورة التعريف بها.

-تفاوت المادة العلمية حول محاور البحث مما دفعنا إلى الإخلال بالتوازن العام بين فصول ومباحث الدراسة غير أن ذلك لم يثني من عزيمتي في مواصلة البحث.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على **مصادر ومراجع** متنوعة أفادتني كثيرا للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، وسيكون التركيز على تلك التي كان اعتمادي عليها بدرجة أكبر.

أولا:كتب التراجم والطبقات والمناقب:

-كتاب " **منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية**" للشيخ عبد الكريم الفكون المتوفى(1073هـ/1662م) وهو واحد من أهم تآليف الفكون التي حققها أبو القاسم سعد الله انتهى من تأليفه سنة 1045 هـ، وبلغت عدد تراجمه ما يزيد عن 75 ترجمة لعلماء قسنطينة و نواحيها، خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وهو مصدر مهم جدا للحياة الفكرية وللبيوتات القسنطينية رغم أنه وضع للنصح العام كما يقول مؤلفه. فهو يترجم علماء مدينة قسنطينة، وقد أفادي هذا المصدر كثيرا في الترجمة لعلماء البيت الفكوني والتعرف على بعض الأسر المتناثرة بين ثنايا هذا الكتاب وعطاءاتهم الثقافية التي شملت ميادين معرفية شتى إضافة إلى إيراده لشيوخ هذه البيوتات الذين تلقوا عنهم هذه المعارف، كما استفدت منه في ترجمة بعض الأعلام الواردة في هذا البحث.

-كتاب "**الوفيـات**" لابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1407م) إذ أورد في كتابه تراجم مقتضبة،لكنه كان ضابطا لتاريخ الوفيات فكانت بحق تراجمه سجلا للوفيات بداية من سنة

11هـ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سنة (807هـ/1404م) وقد نقل عنه التنبكتي وابن مريم، وقد أفادني هذا الكتاب كثيرا في التعرف على ترجمة أعلام الأسرة القنفذية والأعلام والشيوخ الذين أخذوا عنهم كذلك في استخراج بعض مؤلفات هذه الأعلام وفي ترجمة بعض الشخصيات المغربية والمشرقية.

- كتاب "**أنس الفقير وعز الحقير**" وهو الآخر من تأليف ابن قنفذ القسنطيني وهو كتاب في المناقب الذي تعرض فيه لشيوخ التصوف خاصة في خدمة بعض العلماء لضريح الشيخ أبي مدين شعيب (رحه).و أفادني هذا الكتاب في التعرف على عائلة جد الفكون لأمه الأسرة الملاّ رية وزاويتها المشهورة وعلاقتها بالسلطة الحفصية وكذلك فيترجمة شيوخ و أعلام الأسرة القنفذية وشيوخها.

-كتاب "**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**"لمؤلفه أبو العباس أحمد الغبريني المتوفى سنة704 هـ/ 1304م، وهو عبارة عن تراجم لمشاهير و أعلام بجاية من القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي،وقد اعتمدت عليه كثيرا في ترجمة أحد بيوتات قسنطينة المشهورة والذي عد من أهم المصادر التي ترجمت وتناولت هذه الشخصية العلمية بالتفصيل وهو أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني .

-كتاب" **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** "لأبي العباس أحمد بن أحمد" المعروف "ببابا التنبكتي" (ت1032هـ/1624م)، وقد قدم فيه ترجمة لعلماء وفقهاء المالكية في المغرب والأندلس والمشرق من القرن 9هـ/15م إلى القرن 11هـ/17م، واعتمدت عليه في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء الذين ساهموا في إثراء الحياة الثقافية وفي ترجمة أشهر علماء بيوتات قسنطينة كابن قنفذ، ابن باديس والحسن الوزان وغيرهم.

- كتاب "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء و الصلحاء بتلمسان**" لمحمد بن مريم التلمساني (1404هـ/1605م)، ويعد من أهم المصادر وفيه ترجم صاحبه لاثنين وثمانين ومائة عالما ووليا ممن دخل تلمسان أو أستوطنها،فكانت الإستفادة منه جيدة كونه ترجم لإبن قنفذ الخطيب.

-كتاب" **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**" لمحمد مخلوف الذي انتهى من تأليفه سنة 1350هـ/1930م بدأ من الطبقة الأولىلرسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه رضوان الله عليهم، ثم التابعين ثم تابعي التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.ثم الطبقات الأخرى عبر

الفترات التاريخية إلى غاية شيوخه ومن عاصرهم.وقد ترجم لـ1849عالم وكانت استفادتي منه كثيرة حيث ترجم لمشاهير بيوتات قسنطينة كابن الفكون وابن قنفذ وغيرهم.

ولا نستثني في هذا العرض كتاب "**معجم أعلام الجزائر**" لعادل نويهض و"**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"لإبن عماد الحنبلي (ت1089هـ/1680م).

ثانيا: كتب الرحلة والجغرافيا:

-كتاب "**الرحلة المغربية**" للعبدري البلنسي، وهي رحلة قام بها سنة 688هـ/1289م، وفي طريقهإلى الحج مرّ بمدينة تلمسان و بجاية و ميلة وقسنطينة وغيرها من مدن المغرب الأوسط، ودون رحلته واصفا ما رآه من المظاهر الثقافية والفكرية، وقد استفدنا منه في التعرف على حاضرة قسنطينة التي تعرض لوصفها وصفا دقيقا وما قدمه من تراجم لأعيان العلم والأدب في هذه المدينة. ويعد مصدر مهم لبيوتات قسنطينة.

-**كتاب "وصف إفريقيا**" للحسن الوزان الفاسي" المعروف بليون الإفريقي (ت957هـ/1552م) والتي سجل فيه وصف المدن والأقاليم التي مر بها في بلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى رصده لبعض المعالم الثقافية أثناء مروره ببعض الحواضر الحفصية منها قسنطينة التي ذكر مدارسها ومساجدها وزواياها وتحدث على أوضاعها الإقتصادية وكانت الإستفادة من هذا الكتاب في الجزء الثاني فيما يخص مدينة قسنطينة في عدة مجالات.

-كتاب"**معجم البلدان** "لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، تحدث فيه عن البقاع والأماكن وأسماء المدن وكل ما يتعلق بطبيعتها من تضاريس وطرق وتجارة، قد استفدت منه في التعريف بمدينة قسنطينة والمدن الأخرى التي صادفتني في بحثي.

- كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بـ "**المسالك والممالك**" لأبي عبيد الله بن العزيز البكري (ت سنة 487هـ/1094م)، ويعد كتابه من المصادر التاريخية المهمة، فقد وصف فيه صاحبه أهم الطرق والمدن المغربية بدقة، واستفدت منه في التعريف بمدينة قسنطينة وجغرافيتها من أنهار ووديان وطقس وغير ذلك.

ثالثا: القواميس والمعاجم:

-معجم"**لسان العرب**"لإبن منظور(ت711هـ/1311م) استفدت منه في تعريف بعض المصطلحات التي صادفتني في بحثي منها مصطلح البيوتات ومدلوله.

-"القاموس المحيط" للفيروز أبادي (ت 817هـ/1416م) هو الآخر استفدت منه في شرح الكلمات والعبارات التي لها علاقة بموضوع البحث وغيرها من المعاجم وقواميس اللغة.

رابعا: كتب التاريخ الإسلامي العام:

كما اعتمدنا على جملة من المصادر التي تحدثت عن أوضاع قسنطينة خلال العهد الحفصي منها:

-كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لعبد الرحمان ابن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) و يعتبر من أهم المصادر في تاريخ المغرب وهو في سبعة أجزاء،وقد اعتمدت على الجزء الأول المعروف بـ"**المقدمة**" فيما يخص طرق التعليم، وفي التعريف بمصطلح البيوتات وعدد أعلامها، وكذلك الجزء السادس لاحتوائه معلومات عن الدولة الحفصية وملوكها وعن مدينة قسنطينة وتعاقب الأمراء والحكام عليها، فهو موسوعة كبيرة لا يمكن الإستغناء عنها خاصة في تاريخ المغرب.

-كتاب "**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**" لمؤلفه أبي العباس أحمد بن علي الشهير بابن قنفذ القسنطيني (740-809هـ/1339-1406م) وهذا الكتاب يتضمن تاريخ الدولة الحفصية بداية من تأسيسها وينتهي إلى عهد أبي فارس عبد العزيز(767-839هـ/1364-1435م) وقد استعرض فيه بإيجاز سير الحكام الحفصيين الذين تداولوا على حكم قسنطينة مع التركيز على أهم الأحداث التاريخية، وقد إستفدت منه من هذه الناحية كما قدم معلومات جيدة عن الحياة الأدبية.

خامسا: الدراسات الحديثة:

كما ساهمت مجموعة من **المراجع** المهمة في إثراء هذهالدراسة وعلى ر أسها:

-كتاب "**أم الحواضر في الماضي والحاضر**" لصاحبه الهادي شغيب الذي تكلم فيه عن التاريخ السياسي والثقافي لقسنطينة في فترات زمنية مختلفة، وترجمة للكثير من الأعلام، وبالتالي فقد أفادي كثيرا في هذا الجانب،وهو يشبه كتاب سليمان الصيد"**نفخ الأزهار عن ما في قسنطينة من الأخبار**".

-كتاب"**تاريخ الجزائر الثقافي**" لأبو القاسم سعد الله (رحه) تناول المؤلف كل ما له علاقة بالحياة الفكرية والأدبية والثقافية في العهد العثماني (1500-1830م) كالتعليم والتصوف والعلوم والفنون والمكتبات. وقد استفدت منه فيما يخص الحياة الثقافية من تعليم ومؤسساته والإحصائيات التي قدمها في هذا الشأن كما تعرض لذكر علماء قسنطينة ومؤلفاتهم ومع أن مؤلفه ليخصص للبيوتات عنوانا مستقلا إلا أنه عرف بعدد من العلماء الذين ينتمون إلى بيوتات علمية وتطرق لإنتاجهم الفكري، كما تطرق لعلاقة العلماء ببعضهم وبالسلطة الحاكمة.

-ومن مؤلفاته المعول عليها "**شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**" فتناول المحيط الفكري والسياسي واهتم بالخصوص بمؤلفات العالم وآرائه.

-كتاب "**السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**" لمحمد العروسي المطوي الذي تناول فيه الدولة الحفصية من ظهورها إلى انهيارها أمام الخطر الإسباني، وقد كانت استفادتي منه جيدة فيما يخص التاريخ السياسي لقسنطينة على العهد الحفصي. إضافة إلى بعض الكتابات الفرنسية منها، كتاب "**تاريخ قسنطينة**" لأرنست مرسي.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الدوريات والمجلات ذات الصلة بالموضوع والمنشورة في كل من مجلة عصور جديدة وسيرتا، وكان التاريخية، ومجلة إنسانيات الإلكترونية، وكذلك بعض الرسائل الجامعية و المواقع الالكترونية.

وفي الختام نعترف أن ما جاء في هذه المذكرة ما هو إلا خطوة متواضعة حاولنا من خلالها إبراز الإرث الحضاري والثقافي لبيوتات إحدى مدن وعواصم المغرب الأدنى التي ساهمت في إنعاش الحياة الثقافية في المدينة، وفي كامل بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة.


مدخل

شهد المغرب الإسلامي منذ الفتح الإسلامي أحداثا تاريخية عديدة ومهمة صنعت مساره التاريخي، وتنوعت هذه الأحداث من سياسية وإجتماعية وا إقتصادية وثقافية.

وما يلاحظ على هذه الفترة- المخصصة للدراسة- أنها تميزت باضطراب الأحوال السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، للعديد من الأسباب[1] – نذكر منها الفتن الداخلية إضافة إلى خطر النصارى-وذلك عقب سقوط الدولة الموحدية[2]، التي بدأت تدخل مرحلة الإنحطاط والتفكك مع مطلع القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي، وذلك يعود إلى عدة عوامل منها، هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) بالأندلس، إضافة إلى حركة بني غنية التي استنزفت قوة الجيوش الموحدية.

هذا الوضع نتج عنه إنعكاسات خطيرة على بلاد المغرب، فقد حلت محل الدولة الموحدية ثلاث دول مغاربية توزعت فيما بينها، وهي: الدولة الحفصية بتونس (625هـ/1227م)[3]، ثم تلتها الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان (633هـ/1236م)[4]، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى (فاس ومراكش)(661هـ/1269م)[1]،

---

[1]-يعد العلامة عبد الرحمن إبن خلدون من أكثر المؤرخين الذين شرحوا بما فيه الكفاية التدهور السياسي والفوضى التي سادت بلدان المغرب الإسلامي، وتلك الفتن و الحروب المدمرة، كونه كان شاهد عيان على تلك الأحداث والتطورات، أنظر: إبن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 2000، ج6، ص227، السراج، محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985، ج2، ص143.

[2]-هي أول دولة استطاعت أن توحد بلاد المغرب والأندلس، وأن تجمع بين السلطة السياسية والزعامة الروحية نشأت سنة (524هـ/1229م) إتخذت من مراكش عاصمة لها، وتصدت إلى النصارى إلى أن سقطت نهائيا على يد بني مرين سنة (668هـ/1269م)، أنظر:إبن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص183. أنظر أيضا: المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص136، أيضا: ابن عذارى المراكشي، أبو الحسن أحمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1963، ج4، ص231.

[3]-مؤسسها الحقيقي هو أبو زكريا يحي الحفصي الهنتاتي (625- 647 هـ / 1228- 1249م)، عاشت نحو ثلاث قرون من الزمن إلى أن سقطت على يد الأتراك بقيادة سنان باشا سنة (982 هـ/1235م)، أنظر: المصدر نفسه، ج4، ص291، أيضا: الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح، تع محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص164.

[4]-أسسها يغمراسن بن زيان ،وعاشت أكثر من ثلاثة قرون من الزمن إلى أن سقطت هي الأخرى على يد الأتراك سنة(962هـ/1554م)، أنظر: التنسي،محمد بن عبد الجليل: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدروالعقيان

والدولة النصرية بغرناطة (623هـ/1231م). ومن سوء حظ هذه الدويلات أن علاقاتها ببعضها البعض، كانت سيئة جدا، وفي معظم الأوقات تسودها الفرقة والصراعات والفتن، والحروب والتطاحن من أجل التوسع الإقليمي و السيطرة، والنفوذ وكانت دولة بني زيان أكثر هذه الدول معاناة اشتد ضدها وعليها ضغط الجيران من الشرق والغرب، والنصارى و الإسبان من الشمال،وصراع الأمر اء والملوك فيما بينهم في الداخل، ففي الشرق تمكن بنو حفص من غرس ثلاث إمارات حفصية في كل من بجاية و قسنطينة و عنابة، وفي الغرب أسس بنو مرين مدينة المنصورة بجوار مدينة تلمسان وأذاقوا التلمسانيين الأمرين خلال الحصار الطويل على مدينتهم الذي دام أكثر من ثماني سنوات، وبذلك فقد عمت الفوضى السياسية كل أرجاء المغرب الإسلامي، وسادت ظاهرة القبلية و العروشية بشكل مؤلم ودموي. في الوقت الذي كانت الممالك الإسبانية تتوحد وتسترد المدن الأندلسية وحصونها الواحدة تلوى الأخرى[2].

أما إذا نظرنا إلى الحياة الثقافية والفكرية في هذه الفترة فإنها عرفت ازدهارا كبيرا وانتعاشا، رغم ما عاشته المنطقة من أحداث سياسية مضطربة وسيئة، وذلك من المفارقات التاريخية، فعادة ما ينتج عن عدم الاستقرار السياسي، تدهور وتدني المستوى الثقافي و الفكري. لكن ما يلاحظ على الحياة العلمية في هذه الفترة أنها لم تسلك طريق الحياة السياسية، ومرد ذلك يعود إلى أن الأمراء والملوك والسلاطين، كانوا يحيطون أنفسهم بكبار العلماء والفقهاء وعظماء الكتاب والشعراء الذين يقدمون لهم النصح، ويرشدونهم إلى سواء السبيل و يتلقون منهم كذلك الدعم والر عاية لأعمالهم العلمية والثقافية، مما سمح لهم بالإبداع وا إنجاز أعمال حضارية رائدة في مختلف التخصصات[3].

في بيان شرف بني زيان، تح، تع محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر،2011، ص125، أيضا: ابن خلدون، أبو زكرياء يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات ،الجزائر ،2007، ج1، ص186.

[1]-أسسها يعقوب بن عبد الحق، إستمرت هذه الدولة إلى أن أطاح بها بنو وطاس سنة (875هـ/1470م) أنظر: السلاوي، الناصري أبو العباس أحمد: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، إعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، مج3، ص5، إبن زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تح عبد الوهاب منصور، دار المنصور، الرباط، 1972، ص14.

[2]-بوعزيز يحي: الأوضاع السياسية و الثقافية في عصر أحمد بن قنفذ القسنطيني(740-806هـ-1406م)، مجلة سيرتا، معهد العلوم الإجتماعية، ع11، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي1998، ص100.

[3]-المرجع نفسه، ص.ن.

وما يوضح ذلك أن الأمير أبو زكرياء مؤسس الدولة الحفصية كان شاعرا محسنا فصيحا كاتبا صليب الرأي، و في عهده جمعت دولته من رؤساء العلماء وأهل الرئاسات من الموحدين وفحول الشعراء وجباة الأموال، وكان يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة. وألف له إبن الآبار كتاب "إعتاب الكتاب "وكذلك إبن عربية ألف كتاب سماه "الروضة الريافي في إمتداح الأمير أبي يحي". وغيرها من النماذج[1].

هذا ما يوضح إهتمام سلاطين دول المغرب الإسلامي بالعلم والعلماء من خلال عنايتهم الفائقة بإنشاء المؤسسات العلمية الخاصة بالعلماء وبطلبة العلم وا إجراء الجرايات لصالح العلماء والمدرسين والمؤلفين والخطاطين[2]. وتعدى إهتمامهم إلى الإشراف المباشر في بعض الأحيان على المجالس العلمية والمنابر التي تلقى فيها الدروس في ومختلف العلوم، كالأمير أبو يحي زكرياء بن اللحياني فقد كان ذا مشاركة في العلم والأدب، وكان يألف أهل العلم، وكان كاتبه أبا محمد عبد الله التجاني صاحب الرحلة الشهيرة في تونس وطرابلس[3].

ومما كان له دور في تنشيط الحركة العلمية بدول المغرب الإسلامي ذلك الإرث الفكري والحضاري للموحدين، إذ أن الدعوة الموحدية كانت تحمل في طياتها بذور نهضة علمية حقيقية،لما بذله أصحابها و أمراءها من جهود كبرى من أجل نشر تعاليم الإسلام في سائر الأنحاء، إذ تميز عهدهم بالإجتهاد وحرية الفكر خاصة في المعتقدات و الفقهيات، فتأثرت مدن المغرب الإسلامي بهذه النهضة الفكرية وبمختلف التيارات السائدة آنذاك[4].

---

[1]-أحمد الطويل: ابن قنفذ القسنطيني (740-810هـ) مؤرخا للحضارة الحفصية ومشاركا فيها، مجلة سيرتا، معهد العلوم الإجتماعية ،ع11، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 1998، ص122.

[2]-بكوش فافة: أبو عبد الله المقري (ت759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، إشراف جيلالي بلوفة عبد القادر، (شهادة ماجستير)، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة بلقايد أبي بكر، 14323هـ/2012م، ص22.

[3]-أحمد الطويل: المرجع السابق، ص 123.

[4]-فيلالي عبد العزيز: جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الإجتماعية، ع10، جامعة قسنطينة، الجزائر، أفريل 1988م، ص-ص:70-71.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحياة العلمية بهذا الإقليم إستفادت كثيرا من الهجرات الأندلسية[1] أثناء المد الإسباني نحو المدن الأندلسية، فقد حمل العلماء المهاجرين علومهم وآدابهم وفنونهم إلى مدن المغرب وقاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل المساجد والمدارس المشهورة بالمدن المغربية، فساهموا بشكل كبير في إثراء الحياة الثقافية بالمنطقة وهذا ما أكده إبن خلدون بقوله: "وأما المغرب فإنتقل إليه من دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضار ة واستحكمت من عوائدها لما كان لدولتهم من الإستيلاء على بلاد الأندلس[2]".

وكانت إفريقية من بين الأقاليم التي إستفادت من هذه الهجرات، وما ساعد على استقبال هذه الأفواج من المهاجرين الأندلسيين الانهيار الديموغرافي الذي شهدته إفريقية في منتصف القرن 8هـ/14م، إضافة إلى الاستقرار الذي كانت تعيشه الدولة الحفصية، وقد وضح ذلك إبن خلدون بقوله: "...أجاز الإعلام أهل البيوت إلى أرض المغربين وكان قصدهم إلى تونس أكثر لإستفحال الدولة الحفصية بها [3]".

وقد أشار المقري أيضا إلى ذلك: "وخرجت ألوف بفاس وألوف آخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم، وهذا ببلاد تلمسان و فاس ونجا القليل منهم من هذه المعرة، وأما الذين خرجوا بتونس فسلم أكثرهم، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها[4]".

هذا ما يدل على مساهمة هذه الهجرات في الإزدهار الحضاري للمغرب الأدنى بفضل ما حملوه معهم من معارف وخيرات جديدة .

فكان من الطبيعي وسط هذا الجو من التشجيع والإقراء أن تقوم بإقليم المغرب الإسلاميمراكز ثقافية هامة لا تقل مكانة عن مر اكز العلم بالمشرق الإسلامي مثل تونس،

---

[1]-من أسباب هذه الهجرات محاكم التفتيش التي ارتكبت أبشع الجرائم في حق المسلمين بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين (897هـ/1492م)، أنظر: مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري ما بين القرن (7و9هـ/13-15م) ، إشراف مبحوثبودو اية، (شهادة ماجستير)، قسم التاريخ و الأثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009 -2010م، ص35.

[2]-إبن خلدون: المقدمة، مر سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2005، ص299.

[3]-إبن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4، ص438.

[4]-المقّري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988،ج4، ص528.

بجاية، قسنطينة، تلمسان، فاس، ومراكش إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى التي تعتبر جزءامن هذا الإقليم ومن صنعه وا ٍبداعه، فأصبحت بذلك هذه المدن في مصاف حواضر العلم و الأدب بالعالم الإسلامي آنذاك،حيث أخصب فيها الفكر وا ٍزدهرت بها الحياة العلمية وقد تجلى ذلك من خلال عدة ظواهر علمية متعددة منها انتشار معاهد التدريس من مساجد ومدارس وانتشار المكتبات العامة والخاصة، وظهور عدد من المؤلفات لعلماء هذه المدن وتنوع العلوم المتداولة من علوم نقلية وعقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة[1] .

فالراجح أن سلاطين دول المغرب الإسلامي كانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه المؤسسات التعليمية إلى نشر التعليم والثقافة.

وقد برز في هذه الفترة علماء كبار ساهموا في إثراء الحركة العلمية والثقافية، فتنقلوا بين مختلف العواصم الإسلامية للتعليم والتدريس والوعظ والإرشاد والتأليف ونسخ الكتب، وكذلك لخدمة السلاطين وتقديم النصائح لهم، وتجاوزوا كل المحن والعوائق التي تعرقل تنقلاتهم متخذين شعار"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ومن هؤولاء العلماء نذكر: إبن مرزوق التلمساني الجد والرئيس، وأحمد بن قنفذ الخطيب القسنطيني،وا ٍبن خلدون، ولسان الدين إبن الخطيب، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، والمقري الكبير، وأحمد المقري الإبن، وا ٍبراهيم التازي، وعمر الهواري، والبرزلي، والغبريني، والآبلي، وأحمد القلشاني وغيرهم[2].

ومن الحواضر التي إستفادت من هذه النهضة العلمية والفكرية نذكر مدينة قسنطينة التي عدت من أهم المراكز الثقافية خلال فترة الدراسة في بلاد المغرب الإسلامي، فقد كانت العاصمة الثانية للدولة الحفصية، شهدت إنتعاش ثقافي كبير، فكانت ملتقى التجار والطلاب والعلماء والحواضر المغربية والأندلسية المختلفة، مقيمين وزائرين إستفاد منهم طلابها، ونبغ منهمشيوخ وعلماء تركوا بصمات فكرية مهمة سيما تونس، بجاية، تلمسان، فاس، إشبيلية، القاهرة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، دمشق، بغداد[3].

---

[1] -فافة بكوش: المرجع السابق، ص25.

[2] -بوعزيز يحي: المرجع السابق، ص101.

[3] -فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق7-10هـ/13-16م)، مجلة جامعة قسنطينة، علوم إنسانية، ع01، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990، ص17.

هذا ما أتاح فرصة التلاقح الفكري ودعم الروابط الثقافية بين مختلف الحواضر العلمية بالعالم الإسلامي، التي كان من أبرز مظاهرها تبادل المعلومات والمخطوطات بين العلماء، ووفرة عدد الطلاب و إزدهار صناعة الوراقين ونسخ وتجارة الكتب ووفرة الإجازات العلمية بين العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين، مما جعل من هؤولاء مدارس علمية وأعلام وصلت شهرتهم إلى مصاف العالمية.

وفي ظل هذا المناخ الثقافي الجيد برزت ظاهرة البيوتات العلمية التي توارثت العلم أبا عن جد، وحظيت بمكانة إجتماعية وثقافية وسياسية كبيرة، في حواضر المغرب الإسلامي، وعلى رأسهم مدينة قسنطينة التي ظهرت فيها أسر وعائلات عريقة مثل:آل الفكون، وآل باديس، وآل قنفذ، بيت الكماد وغيرهم.

الفصل الأول :

الحياة العلمية بقسنطينة خلال القرن (7-10ه/13-16م)

أولا: لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة قسنطينة.

ثانيا: مصطلح البيوتات دلالته ونشأته.

ثالثا: مظاهر الحياة العلمية والفكرية في قسنطينة ما بين القرن (7هـ-10هـ/13- 16م).

تعد مدينة قسنطينة من مدن الشرق الجزائري جمالا، حيث تمتعت بجغرافية ألهمت كل زائريها،فحظيت باهتمام الرحالة والجغرافيين الذين وصفوها وصفا دقيقا من كل الجوانب سواء الجانب الطبيعي أو الاقتصادي أو **السياسي** أو العمراني أو العلمي، وبذلك قدموا معلومات قيمة عن المدينة.

ومن الناحية التاريخية نجد أن المدينة قد مرت عليها قبائل وأمم عديدة، من ما قبل التاريخ إلى أن أصبحت العاصمة الثانية للدولة الحفصية بعد تونس في الفترة الوسيطة، حيث إستقر بها الأمراء الحفصيين إلى جانب الأعداد الهائلة من السكان الذين جاؤوا من أماكن مختلفة فاتسع عمرانها، وأصبحت من أهم المدن الثقافية في المغرب الإسلامي.

والمتصفح لتاريخ المدينة في هذه الفترة يجدها من أزهى المدن ثقافياً وحضاريا، فأضحت بذلك المدينة ملتقى رجال العلم من العلماء والشعراء ساهموا في بروز مختلف العلوم والمعارف، فكان لها دور كبير في تشيط الحركة الفكرية والعلمية في المدينة خاصة و المغرب الإسلامي عامة.

أولا: لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة قسنطينة:

1-جغرافية قسنطينة:

تعد مدينة قسنطينة من المناطق التي حظيت بالدراسات الجغرافية، وهذا يعود إلى تواجد العلماء والرحالة بها، وبسبب موقعا الإستراتيجي والحضاري.

ذكرت قسنطينة في العديد من كتب الرحلة والجغرافيا، فعن ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان"يقول بأن قُسَنْطِينِيّة: "بضم أوله، وفتح ثانيه، ثم نون، وبكسر الطاء وياء مثناة من تحت، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة، وهاء، مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب"[1]، وقال أبي الفداء في كتابه "تقويم البلدان"قُسْنْطينة بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحت ونون وهاء وعن بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نون وحينئذ بضم السين وسكون النون، وبقسطينة نهر يصب في خندقها العظيم ويسمع لذلك دوي هائل ويرى النهر في قعر الخندق مثل ذوابة النجم لشدة ارتفاع قسنطينة عن خندقها"[2].

تقع هذه المدينة على خط 36،23 شمالا،وخط 7،35 شرقا، وتتوسط إقليم شرق الجزائر حيث تبعد بمسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، وحوالي 431 كلم عن الجزائر العاصمة غربا و235 كلم عن بسكرة جنوبا و489 كلم عن سكيكدة وتتربع قسنطينة فوق الصخرة العتيقة على جانبي وادي الرمال[3]، ويبلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة، ومن المعلوم أن قسنطينة هي إحدى أصغر ولايات الوطن حيث تبلغ مساحتها 2297،20 كلم، وهي بذلك تحتل موقعا متميزا بالنسبة لشرق الدولة الجزائرية[4].

---

[1]- ياقوت الحموي، أبي عبد الله شهاب الدين: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج4، ص 349.

[2]- أبي الفداء،عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1830، ص 139، أبي عبد الله الأنصاري: فهرست الرصاع، تح محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، ط1، 1967، ص 196.

[3]- فندلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر و تق أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 77.

[4]- محمد عثمان: قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 2013، ص9.

ويعد الرحالة البكري (ت480هـ/1087م) من الذين قدموا وصفا دقيقا لمدينة قسنطينة حيث يقول:"وهي مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعه ليس يعرف أحصن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن، قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار - تفسيره: سوداء-،وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد .... ثم بني فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر عليه إلى المدينة، ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده، ويسمى هذا البيت "العبور" لأنه معلق في الهواء[1].

وأطلق عليها الإدريسي (ق6هـ/12م) مدينة الهواء، في كتابه "نزهة المشتاق" حيث يقول:"..... ومنها في الشرق إلى مدينة قسنطينة الهواء ثمانية عشرة ميلا ويصل بينها جبل والطريق به، ومدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الإستدارة لا يتوصل إليه من مكان إلا من جهة باب في غر بيها ليس بكثير السعة، ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديرا بها، وأراضيها كلها صلد، وهي من أحصن بلاد الله"[2]. ولعله يقصد بالهواء الرياح المحيطة بكل جانب وذلك لارتفاعها إضافة إلى وديانها وشلالاتها وجبالها.

وقد تغنى بها شاعر قسنطينة الفحل شاعر الدولة الحفصية المولود بقسنطينة عام (829هـ/ 1425م) إبن الخلوف القسنطيني فيقول:

ومن ْتونس وفت قسنطينةَ الهـ َوى   لتسع ليَال خيـْ له والكـَ ائب[3].

كما تعرض الرحالة العبدري لمدينة قسنطينة بقوله: "هي مدينة عجيبة حصينة.... يحيط بها نهر هادر، في خندق غير سالك، بالصخرة التي تنتصب عليها كما يحيط السوار بالمعصم، وتحصنها هذه الصخرة مثلما تحصن قمم الجبال عش الغراب الأعصم"[4]، هذا ما يدل على حصانة المدينة التي أثارت إعجاب الر حالة العبري.

---

[1]- البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج2، ص 244.

[2]- الإدريسي، أبو عبد الله الشريف: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، مج1، ص-ص: 205-207.

[3]- أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011، ص21.

[4]- العبدري، محمد بن محمد بن علي: الرحلة المغربية، تق سعد بو فلاقة، مؤسسة بونة للبحثو والدراسات، الجزائر،2007، ص58.

و المقدسي هو الآخر وصف في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" حصانتها ومناعتها فيقول في هذا الشأن: "..... مسلكها و عرة وهي كالقلعة تحيط بها المياه من ثلاث جهات"، وأورد كذلك أنها مدينة جاهلية[1]، لعله يقصد في هذا قدم المدينة.

وقدم الحسن الوزان (888هـ-937هـ/1483م-1590م) تفاصيل مهمة فيما يخص جغرافية المدينة وذلك في رحلته "وصف إفريقيا" فيقول: "..... وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية .... وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة، بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة الجبل، بحيث أن الصعود إلى قسطنطينة لا يمكن إلا من طريقين صغيرتين ضيقتين.... وأبوابها كبيرة مصفحة بالحديد"[2].

وقد إتفق كل من الحميري وصاحب الإستبصار بأنها مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار للأول، ثم يتحدث الحميري عن مناعة المدينة وحصانتها حيث يقول: "مدينة حصينة لا يوجد أحصن منها في المنعة غير مدينة رندة بالأندلس ثم يقول قسنطينة أعظم وأكبر جبل عظيم من حجر صلد"[3]،والصلد هنا معناه المكان المرتفع، وعلى حد قول إبن فضل الله[4] في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي، فإن مدينة قسنطينة بلد كبير متحضر في غاية الحصانة والمنعة.

كما تعرض لوصف قسنطينة إبن حوقل في كتابه (صورة الأرض) قوله: "..... إلى مدينة قسطنطينية الهواء وكتامة ... يضيفون المارة ويطعمون الطعام....."، ثم يضيف: "وطريق آخر هو أقرب من الساحل يأخذ على الإربس تيفاش، قصر الإفريقي، تيجس، القسطنطينيةميلة، مقر ه ...."[5].

---

[1]- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط2، 1909، ص236.

[2]- الوزان،حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ج2، ص 55.

[3]- الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله : الروض المعطار في خبر الأقطار، تح جم إحسان عباس، مكتبة، لبنان، بيروت، 1995، ص 80، مجهول:الإستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد ز غلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العربية، العراق، (د. س.ن)، ص105.

[4]-العمري، إبن فضل الله شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان،1971، ص435.

[5]- إبن حوقل، أبي القاسم النصيبي: صروة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص، ص: 6-67.

وتطرق الرحالة الجغرافي إبن سعيد في كتابه 'كتاب الجغرافيا" للمدينة فيقول: "...... في ساحل قسنطينة الهوى، حيث الطول ست وعشرون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وا ِثنتان وعشرون دقيقة، ولها نهر ينصب في خندقها العظيم الشرقي، يسمع له دوي هائل دائر من أعلى المدينة في قعر الخندق مثل ذؤابة النجم لبعد المسافة"[1].

أما عن الحالة الاقتصادية فيذكر الجغرافيون، أنها كانت مدينة عامرة مزدهرة تجاريا، فيقول البكري: "ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهي لقبائل من كتامة، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة"[2]، ويضيف الإدريسي قائلا :"ومدينة القسنطينية عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة، تشارك في الحرث والادخار والحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة و لا تفسد والعسل بها كثير...."[3].

وهو ما ذكره الحميري حين قال:"أنها رخيصة السعر لها أسواق وتجار، وأهلها ذو أموال وأحوال، ومعاملات للعرب، وأصحاب حنطة و العسل بها"[4]، كما أولى الحسن الوزان الاهتمام بالجانب الاقتصادي مشيرا إلى ما تحتويه من زراعة وحرف وأسواق وتجارة[5].

وذكر الجغرافيون أنها ذات رياح، شديدة البرد والثلوج لعلوها وارتفاعها[6]. أما العمارة والعمران في قسنطينة، فإن فيها الجوامع كالجامع الكبير والمدارس والزوايا والأسواق، والدور الجميلة والبناءات المحترمة، كذلك يوجد بها مساجد للجمعة، بعضها في غاية الإتقان، لا تخلو من العلم[7].

وخلاصة القول أن قسنطينة تتمتع بجغرافية عجيبة أكسبها مناعة وحصانة.

2-لمحة تاريخية:

---

[1]- إبن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، دفاتر التراث العربي، الجزائر، 1970، ص142.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج2، ص 245.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 265.

[4]- الحميري: المصدر السابق، ص 81.

[5]-بورملة خديجة: قسنطينة في جغرافية ورحلة الحسن الوزان، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، عدد18، الجزائر، 2015، ص47.

[6]- الحميري: المصدر السابق، ص 81.

[7]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص56 الورتلاني، الحسن بن محمد : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتلانية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، ص-ص: 688-689.

تعد مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الهامة بتاريخها وتراثها العريق، والغنية بآثارها،وقد أكدت الأبحاث التاريخية و الاكتشافات الأثرية على وجودها منذ فجر التاريخ واستمرت لفترة تسجل للتاريخ ما تعاقب عليها من أحداث، وسنحاول الوقوف على أهم المحطات في تاريخها.

أ- قسنطينة عبر تاريخها القديم:

تدل الاكتشافات الأثرية والجيولوجية التي أجريت بموقع قسنطينة على إستقرار الإنسان فيها منذ أزمنة قديمة تعود إلى فترة ما قبل التاريخ[1]، حيث اتخذها الإنسان البدائي مسكنا له من خلال كهوفها ومغاراتها، وتدل بحيرة المنصورة على معالم الحياة البدائية لإنسان ما قبل التاريخ[2]، كذلك وجود عظام لفرس النهر والأحصنة المنحوتة هذا دليل واضح على أنها كانت آهلة بالسكان خلال بداية الزمن الجيولوجي الرابع[3]، وتم العثور في العديد من الكهوف الكهوف منها: (كهف الدببة وكهف الأروي) الواقعين في واجهة مرتفع سيدي أمسيد (قسنطينة)[4] على أدوات تعود إلى العصور الحجرية القديمة والعصر الحجري الحديث، ووجود عظام الحيوانات إنما يدل على إستقرار إنسان ما قبل التاريخ بها[5]، كذلك يوجد كهف الحمام الموجود في منحدر القصبة من الناحية الشمالية الذي تواجد به عظام لحيوانات استقرت في المنطقة في تلك الفترة، ويبدوا أن هذه الحيوانات كانت تغطي ضفاف وادي الرمال إلى ما بعد المنصورة شرقا إلى جبل الوحش شرقي المدينة[6].

وبالنسبة لفترة فجر التاريخ فإن هذه المرحلة يسودها الغموض، وذلك أن الآثار المتعلقة بها قليلة جدا، منها إنتشار المقابر كمقبرة لقدماء السيرتيين[7] التي تحتل الأماكن المرتفعة في في جبل سيدي مسيد، كذلك تم العثور على أواني فخارية ترجع إلى فجر التاريخ[1].

---

[1]- محمد الصغير غانم: قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الإنسانية، ع12، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص133.

[2]- كمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ذاكرة الناس، تلمسان، 2012، ص14.

[3]- المرجع نفسه، ص 15.

[4]- محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص 134.

[5]- كمال غربي: المرجع السابق، ص 16.

[6]- محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص 135.

[7]- موقعها الآن يقوم لتخليد ضحايا الحرب العامية الأولى (1914-1958).

أما فيما يخص نشأة قسنطينة[2]، فقد اختلف المؤرخون فيه لأنهم لم يقدموا دليلا واضحا يمكن اعتماده بهذا الشأن، رغم أنهم اتفقوا على أنها كانت موجودة منذ القرن العاشر قبل الميلاد[3]وقد ذكر المؤرخ القسنطيني أحمد اللنبري في كتابه "علاج السفينة في بحر قسنطينة" أن بني كنعان النازحين من فلسطين حوالي (1300ق.م) قد امتزجوا بالنومديين وأسسوا مدينة قسنطينة[4]، وهناك من المؤرخين من إعتبر نشأتها منذ عهد الكلدانيين بنحو ألف عام. ذكر أرنست مارسي (Ernest Mercier) أن تاريخ نشأة سيرتا يعود إلى العهد الذي غادر فيه الإنسان سكن الكهوف والمغارات وصار يألف حياة الاجتماع[5].

وقد أشير إلى إسم سيرتا (قسنطينة الحالية)، في أحداث نهاية القرن الثالث قبل الميلاد التي جرت بين صفاقس من جهة وبين جايا وابنه ماسينيسا من جهة ثانية[6].

وفي حوالي القرن الثالث قبل الميلاد (203ق.م) أمس العامل البربري صفاقس إمبراطورية كبيرة بالغرب الأوسط جعل عاصمتها مدينة قرطة وكانت تعمرها قبائل بربرية من جدالة ومازونة، ثم آلت إلى ماسينيسا ومن جاء بعده من أبناءه وأحفاده[7].

والجدير بالذكر أن هذه المدينة كثرت آثارها البونية حتى صنفها الباحثين الأثريين بأنها تأتي بعد قرطاجة[8] مباشرة حيث كانت مركز تجاري ليبي-فينيقي أقيم في الداخل وذلك راجع إلى مناعة المنطقة وا ستراتيجياتها لإحاطة وادي الرمال بها[9].

---

[1]- محمد الصغير غانم: المعالم الحضارية في الشرق الجزائر (فترة فجر التاريخ)، بمساهمة عبد المالك سلاطنية وآخرون، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص132.

[2]- هو إسم كنعاني فينيقي، إسمها في القديم سيرتا، وفيها إشتهر ماسينيسا، وسميت قسطنطينة على العهد الروماني ثم خففها الإستعمار الغربي بحذف ياء وطاء فصارت قسنطينة وبذلك تتميز عن القسطنطينية العظمى التركية، أنظر: محفوظ قداش:الجزائر في العصور القديمة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 34.

[3]- محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية (النشأة والتطور)، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص 92.

[4]- كمال غربي: المرجع السابق، ص 24.

[5]- Mercier Ernest : Histoire de Constantine, Imprimeurs-Editeurs, costantine, 1903, P19.

[6]- محمد الصغير غانم: قسنطينة، المرجع السابق، ص 135,

[7]- عثمان الكعاك: البربر، جبل المنار، (د. م. ن)،(د.ط.ن)، 1875، ص53.

[8]-معناها بالفينيقية المدينة الجديدة، ويبدوا أنها احتلت جزءا من ولاية قسنطينة وعلى كل الساحل حتى مصب نهر الواد الكبير، أنظر: أحمد الفرجاوي: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993، ص3.

[9]- محمد الصغير غانم: قسنطينة، المرجع السابق، ص 136.

وبذلك يمكن القول أن نشأة المدينة ما بين القرن (4 ق. م- 3 ق. م)، كونها الفترة التي نشأت فيها عدة مدة نوميدية منها دوقا DOOGA[1]، إذ بدأت قرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة كبيرة وأصبحت عاصمة سلبية وإدارية ومركزاً تجاريا هاما[2]. وأضحت كيرتا[3] ذات مكانة إقتصادية هامة في العهد البوني، حيث أجمعت النصوص على أنها كانت ذات رخاء لا يضاهي[4]، هذا الرخاء بلغ ذروته في عهد ماسينيسا[5]حرك رغبة الرومان في الإستيلاء عليها.

وبذلك تكون قرطة عاصمة إقليم نوميديا[6]، قد لعبت دوراً هاما في عهد المماليك النوميدية، حيث كانت عاصمة للماسيسيل ثم أصبحت لماسينيسا الذي حكم من عام (202 ق. م إلى 192ق. م)[7]، وفي هذا الصدد يقول "إبن العطار": "إن قسنطينة سميت في القرون القرون الوسطى سيرتا وكانت عاصمة سلاطين نوميدية فكان لصفاقس منهم قصر عظيم ولماسينيسا والملوك الذين جاؤوا بعده قصورا فزينوها وجلبوا إليها التجار اليونانيين والرومان"[8]، ويضيف محمد عبد القادر الجزائري قائلا: "قسنطينة أصلها لقبائل كتامة وقد دخلها الفينيقيون ملوك الشام من "كولونية" لما خرجوا إلى إفريقية من "صور" سنة ثمانمائة

[1]- أنظر: محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص51.

[2]- كمال غربي: المرجع السابق، ص27.

[3]- هو من الأسماء القديمة المعروفة للمدينة، يعتقد أن قرطة مشتق من قرطاج ويعني قرطة الحديثة، وقد سماها القرطاجيون (ساريم باتيم)، أنظر: محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية، المرجع السابق، ص 84.

[4]- المرجع نفسه، ص88.

[5]-هو أكثر ملوك نوميديا شعبية، وإسمه معناه "سيد القوم"، دفن في الخروب بالقرب من سيرتا، يمكن إعتبار التل الأعلى أو سيرتا أو الناحية الواقعة إلى الجنوب، المكان الأصلي لأجداد ماسينيسا، أنظر: محفوظ قداش: المرجع السابق، ص،ص:65، 86، أنظر أيضا: فتيحة فرحاتي: نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني (213ق. م-46ق. م)، منشورات أبيك، 2007، ص-ص:21-23.

[6]-أنظر: محمد الصغير غانم: نوميديا ومسيرتها التاريخية (فترة العامل ماسينيسا)، مجلة سيرتا، جامعة منتوري، ع12، قسنطينة، جوان 1999، ص19.

[7]- محمد بيومي مهران: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1410هـ،1990م، ص 292.

[8]- أحمد بن مبارك بن العطار: المرجع السابق، ص 87.

وست وثمانين قبل المسيح -عليه السلام-وا ٍسمها في القديم "سيرتا" وكانت عاصمة "أدربال" النوميدي، سنة أربعمائة وثمان وعشرين بعد المسيح عليه السلام"[1].

ومن جملة الأحداث السياسية التي وقعت في سيرتا نذكر أنه بعد وفاة ماسينيسا سنة 148 ق.م، ترك ثلاث أبناء لحكم العرش النوميدي، ثم إنفرد إبنه مسيبسا بالحكم بعد وفاة إخوته (غلوسا- مستتبعل) وقد عرفت المدينة إزدهاراً كبيراً في عهده[2]، وقد كانت اللغة البونية هي اللغة الرسمية للملوك النومديين وشاع إستعمالها في سيرتا، ويعود الفضل في ذلك إلى العامل النوميدي ماسينيسا[3]، ثم سلم العاصمة ليوغرطة هذا الأخير رفض تقسيم مملكة أبيه، وسعى لحكم نوميديا، وقد كان له ذلك، ثم أعلنت روما الحرب عليه، وبعد هزيمته سنة 105 ق.م، تولى حيمصال الثاني الحكم، ومن بعده إبنه يوبا الأول، وبعد موت هذا الأخير في معركة تايسوس 46 ق.م، خضعت سيرتا للسلطة الرومانية، وقد إمتازت بموقع إستراتيجي لم يكن له مثيل لوجودها فوق صرد، تحيط به الجبال يفوق إرتفاعها 100م[4].

ولمدينة قسنطينة التي هي عاصمة الشرق الجزائري عدة تسميات –عبر تاريخها- فقد أطلق عليها إسم: سيرتا[5]، قرطة (بلد الهواء-بلد الهوى)[6]،مستعمرة سيتيوس، الحصن الإفريقي[1]، قسنطينة، ..... إلى غير ذلك.

---

[1]- محمد بن عبد القادر الجزائري:تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تع ممدوح حقي، شالة، الجزائر، 2007، ج1، ص40.

[2]- حمادوش بولخراص: نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة، المجلة الخلدونية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 08، جامعة تيارت، تيارت،2015 ، ص29.

[3]- غوتييه: ماضي شمال لإفريقيا، تر هشام الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية،(د.م.ن)، ط2، 2010، ص35.

[4]- أحمد صفر: مدينة المغرب العربي في التاريخ ، دار بوسلامة، تونس، 1959،ج1، ص175.

[5]- قيل أنه سامي الأصل، وهو تحريف للإسم الحقيقي الذي هو (كرتن crtn)، ومعناه باللغة البونية، المدينة أو القلعة حيث تم العثور على هذه الكتابة على عملة برونزية بضواحي المدينة، ولضرورة النطق قرأها الرومان وفق لغتهم اللاتينية فيما بعد سيرتا (Cirta)، أنظر: محمد الصغير غانم: قسنطينة، المرجع السابق، ص 14.

[6]- جاء في البحث الذي قدمه جوليود(Joleaud) قوله "ما فتئ العرب يسمونها بلدة الهواء والهوى"، وفسر الحسن الوزان معنى الكلمتين قائلا: "فالبلدة هذه المسماة ببلدة الهوى حسي ومعنوي، فهوائها الحسي لا يزيد ولا ينقص في مرآة البصر، وهواها المعنوي يزيد وينمو حسب الليالي والأيام"، أنظر: بومهلة تواتي: قسنطينة " حصين إفريقيا"، مر، أحسن بومالي، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص9.

ويبدوا أن إسم قسنطينة قد نسب إلى قسطنطين، حيث قيل بأن هذا الأخير كانت له أخت تدعى بهذا الاسم فسمى المدينة باسمها حسب بعض المصادر[2]. ويقول سليمان الصيد أنه في الحقيقة على ما يظهر إسم المدينة مركب من كلمتين- قصر- طينة-فامتزجت الكلمتان وصارت بحكم النطق المتغير والتطور الزمني قسنطينة بتبديل الصاد سينا والراء نونا، ويرجع المؤرخون أن إسم قسنطينة يعود إلى إسم مجددها الملك قسطنطين الأكبر(ت 337م)، ويسميها المغاربة (المغرب الأقصى) في كتبهم التاريخية وغيرها، قسم طينة (قسمطينة)، حيث ظهر إسم المدينة –قصر طينة- في عصر العلامة إبن قنفذ (ت 810هـ/1407م)، كذلك إسم حصن طينة، حيث يورد في أرجوزته المسماة بالسراج ما يلي:

ثم صلاة الله ذي الجلال   على النبي المصطفى والآل

من أحمد بن أحسن الخطيب   وصحبة تتر ى على الترتي

يعرف بإن قنفذ إشتهاره   من حصن طينة فتلك داره[3].

وظهرت تسمية قصر طينة في عصر العلامة والشيخ عبد الكريم بن محمد الفكون، وفي عصر الشيخ بركات بن عبد الرحمان بن باديس، وهكذا نجد أن الإسم الذي كان الأكثر شيوعاً هو إسم قصر طينة، الذي أصابه التحريف إلى قسطنينة، ويفيد الكاتب سليمان الصيد أن إسم قسنطينة نسبة إلى قسطنطين إنما هي ذريعة أوجدتها إدارة الاحتلال والمؤرخون الفرنسيون لأن إسم قسطنطين عندهم هو مجددها فكأن هذا الشخص هو الذي أحدث مدينة قسنطينة في التاريخ من العدم[4].

ويرى محمد الصغير غانم أنه من الأفضل تسمية المدينة باسم نوميديا لأنه أقدم التسميات وأقدم فترة مرت على المدينة في تاريخها[5].

---

[1]- سميت بهذا الإسم لمناعة أسوارها وقلاعها المحصنة للغاية، أنظر: سعودي يمينة: الحياة الأدبية في قسنطينة خلال فترة العثمانية، (رسالة ماجستير)، إشراف الربعي بن سلامة، قسم اللغة العربية وآدبها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، ص14.

[2]- محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية، المرجع السابق، ص92، سليمان الصيد: نفخ الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، (د.د.ن)،(د.م.ن)، 1994م، ص9.

[3]-المر جع نفسه، ص-ص: 10-11.

[4]- المرجع نفسه، ص: 14-16.

[5]- محمد الصغير غانم: قسنطينة، المرجع السابق، ص 135.

ويذكرنا الاحتلال الروماني لمدينة قسنطينة بالحروب البونية الثلاثة، وباستيلاء الرومان على قرطاجة سنة 146 ق.م[1]، قام مغامر إيطالي كان يعمل لحساب قيصر بالإستيلاء على سيرتا، وبعد الإنتصار النهائي الذي حققه سيده قيصر، كوفئ بمدينة سيرتا وناحيتها، وهكذا أضحت سيرتا مستعمرة رومانية، وا تخذت إسم (كولونيا سيرتا جوليا)[2]، ثم تحولت إلى عاصمة لكونفدرالية تتكون من أربع مستعمرات، سميت بالمستعمرات السيرتية:سيرتا-روسيكاد (سكيكدة)-مليف(ميلة)-كولو(القل)، وتولت سيرتا مهمة الدفاع عنها وتعيين قضائها[3].

ثم توالت المحن والمصائب عليها كونها محل أطماع وتنافس، وحوالي نصف قرن شهدت المدينة ظهور أول أتباع المسيحية ثم إعدامهم سنة 311م، ثم تدميرها على يد الإمبراطور ماكسانص، ثم لم تلبث بعد ذلك أن نهضت على يد الإمبراطور قسطنطين الكبير من الخراب الذي جددها و أعاد بناءها سنة 313 م، ثم قام بتدميرها وشجع على الاستقرار بها، ونشط التجارة والصناعة والزراعة[4].

ظلت المدينة تحت حكم الرومان، تنعم بمكانة إقتصادية هامة، إلا أن الأهالي قاوموا الوجود الروماني حتى سنة 427م[5]، حيث أجبروا حاكمها بونيفاص على المطالبة بالإستقلال بالإستقلال

عن روما، من أجل هذا الصراع استنجد الأهالي بالوندال[6]، الذين دخلوا المدينة و استقروا بها بها مدة من الزمن (432-534م)، كما دل على ذلك المجموعة الكبرى من النقود الوندالية التي إكتشفت في حي الحامة عام 1949م، وهي الآن معروضة بمتحف سيرتا[7]، ثم جاء

1- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومانية 146ق. م-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر)، ط2، 1985، ص29.

2- رشيد بورويبة: قسنطينة سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص49.

3- E. Mercier : Op.Cit, P 42.

4- محمد عثمان:المرجع السابق، ص 10.

5- محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ص65.

6- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، (د. ت)، ص 242.

7- رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 53.

البزنطيون بعد الوندال (534-634م)[1]، حيث إستولت بزنطة على المدينة سنة (539م)، بعد إستيلاءهم على إفريقية سنة (534م)[2]، وقد فضل الوندال الاستقرار بهيبون وقرطاجة، فجاء البيزنطيون بعدهم، فكانت قسنطينة مقر الوالي العسكري للناحية الذي يسمى "دوكسي نوميديا"[3]، وظل الأهالي يكنون العداء ضد هذا الوجود الغير مرغوب فيه، واستمر هذا العداء العداء حتى ظهور الإسلام في إفريقية، ويقول الأمير محمد بن عبد القادر الجزائر: "وإ ستولى على تلك النواحي الوندال من إسبانيا ولم يزل ملكهم فيها إلى أن إستولى عليها المسلمون"[4].

وخلاصة القول أن مدينة قسنطينة من المدن العريقة الضاربة تاريخها منذ القدم، حيث كانت ملجأ لإنسان ما قبل التاريخ، ثم إنتلقت إلى مرحلة المدنية والتمدن والإنتظام، وا حتضنت حضارات عريقة، دلت عليها الآثار المادية التي عثر عليها في العديد من الأماكن بقسنطينة منها آثار بونية-إغريقية-رومانية- نوميدية محلية، وعرفت الاحتلال الروماني والوندالي والبزنطي وظلت في الصراعات إلى أن دخلها الإسلام، وهنا تدخل المدنية في مرحلة جديدة.

ب-قسنطينة خلال الفترة الإسلامية[5]:

بعد إضمحلال نفوذ الرومان في الشمال الإفريقي، جاء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي، فهاجم الفاتحون العرب مدينة قرطاجة والمدن الأخرى البيزنطية التابعة لها، ومنها قسنطينة، فدخلت تحت حكمهم، وذلك في القرن السابع ميلادي، حيث قيل أن فتح المسلون قسنطينة في تاريخ سكت عنه المؤرخون، وعلى التقريب يكون العرب قد دخلوها في القرن السابع ميلادي[6]. والسؤال الذي يمكن طرحه، لماذا سكتت المصادر [1] عن ذلك، هل هذا يعني أن المنطقة كانت مهمشة ولم تكن لها مكانة بحيث أهمل المؤرخون تاريخ فتحها؟

---

[1]- الحاج أحمد بن المبارك: المرجع السابق، ص 78.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، الجزائر، ط2، 1965، ج2، ص134.

[3]- رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 54.

[4]- محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص 40

[5]-أنظر: ملحق رقم (02)، ص167.

[6]- أحمد بن مبارك بن العطار: المرجع السابق، ص79.

هذه القضية أثارت العديد من الآراء، منها ما ذهب إليه محمد المهدي بن شغيب الذي وضع إحتمالات لابد أن يكون واحد منها هو الأقرب إلى الصواب منها:

-إما أن العرب ضربوا حصارا على قسنطينة وظلوا يراقبونها ويضايقونها حتى استسلمت لهم.

-أو أنها لم تكن وقت مجيئهم ذات شأن يذكر، فلم يكترثوا لها وتجاوزوها إلى أن دانت بعد ذلك بالطاعة.

-أو أنها دخلت في طاعتهم صلحا من أول وهلة بدون قتال[2].

والأقرب إلى الصواب أن دخولها كان صلحا في طاعة العرب وأول مؤرخ عربي تحدث عن فتوح شمال إفريقيا لم يهمل الحديث عن قسنطينة، وهي المدينة ذات الشهرة والمناعة، وهو المؤرخ الواقدي (ت207هـ-823م) في كتابه "فتوح إفريقية"، حيث تعرض فيها إلى الكيفية التي تم بموجبها فتح مدينة قسنطينة على يد قائد الفتح الإسلامي عقبة بن نافع، حيث يذكر الحوار الذي حدث بين سكان مدينة قسنطينة والفاتح عقبة بن نافع فقالوا أيها الملك أنت تعلم، أن ما في الأرض الخضراء، أحصن من بلادنا ولا أقوى منا رجالا ومالا، وليس لنا إلا أن تتحصن في بلدنا وتترك العرب ولا تقاتلهم أبدا"، ثم يواصل حديثه واصفا كيف تمت عملية الفتح قائلا: "ولما كان الصبح أشرقت عليهم رايات المسلمين، مما يلي صومعة هناك، وبعد قليل نزلوا إلى المدينة من فوقها ومن تحتها ولكانت حصينة منيعة...." ثم يقول واصفا لمناعتها: "توجد قنطرة، ويوجد بها باب يسمى باب سيطارخ" ويختم قوله: "وبنى مسجدا بقسنطينة التي دخلها سلما وصلى فيها عقبة أول جمعة..... وترك أول قاض، وهو ظافر بن حسان السلمي"[3].

ونجد إبن أبي العرب صاحب كتاب "طبقات علماء إفريقية"، يذكر" أن أبا معمر عباد بن عبد الله التميمي من أهل البصرة قدم القيروان، وكان قد لقي أنس بن مالك والحسن

---

[1]- ربما يعود هذا الشح في المصادر التاريخية إلى تأخر الكتابة عن تاريخ المنطقة في هذه المرحلة الذي يعود في جانب منه إلى وصية عقبة بن نافع ببنيه: "أن لا يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن"، أنظر: إبن عساكر، أبي القاسم علي بن حسن، تاريخ مدينة دمشق، تح عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، لبنان، 1995، ج2، ص 163.

[2]- بن شغيب محمد المهدي: أم الحواضر في الماضي والحاضر(تاريخ مدينة قسنطينة)، تح سفيان عبد اللطيف، دار الرو ح للنشر، الجزائر، ط2،2015م، ص17.

[3]-أحمد بن المبارك بن العطار: المرجع السابق، ص17.

البصري وغيرهما، وأخذ عنه ناس كثير من أهل طرابلس والقيروان، وخرج إلى قسنطينة فمات بها، وذلك في حدود (203 هـ/830م) وهو من التابعين"[1]، حيث يذكر أن معاوية بن أبي سفيان (رضه) لماإستقرت أمور ه كتب إلى واليه على مصر عمر بن العاص (رضه) أن يرسل جيوشه لاستكمال فتح شمال إفريقيا، فانطلقت أولى جيوشه سنة (41 هـ) بقيادة عقبة بن نافع، حيث تمكن من فتح العديد من المواقع، وا ٍستمرت حملاته حتى سنة(45 هـ) ثم تم عزله وولي أبو المهاجر دينار الذي فتح المغرب الأوسط، ثم عاد عقبة للمرة الثانية ووصل إلى القيروان ثم خرج جيش المسلمين فاتحا في إفريقيا فتمكن من فتح بجاية، قسنطينة، وتلسمان تم توجه إلى المغرب الأقصى[2]. كما وجدت إشارات تدل على أن القائد المسلم "أبو المهاجر دينار" هو فاتح المدينة ومن ذلك ما جاء في تاريخ خليفة بن الخياط في حوادث سنة تسعة وخمسين هجري حيث يقول: "فيها غزا أبو المهاجر دينار ، فنزل على قرطاجة، فإلتقوا فكثر القتل والجرح في الفريقين ....وا ٍنتهى المهاجر إلى عيون أبي المهاجر وافتتح ميلة وكانت إقامته في هذه الغزوة نحوا من سنتين"[3]، وبين ميلة وقسنطينة حوالي50 كلم أي يوم واحد، وبما أنه فتح ميلة فمن الممكن أن يكون فتح قسنطينة أيضا، كما جاء أيضا أن موسى بن نصيربلغ في غزواته بحراً جزيرة ميورقة وبراً السوس الأدنى، حيث أخضع قسنطينة الثائرة والمغرب الأقصى ودرعة والسوس[4]، و قيل أن موسى كان واليا من قبل عبد العزيز بن مروان، فافتتح عامة المغرب[5]، ثم أكمل حسان بن النعمان الفتح، ومنذ ذلك الوقت أصبحت المدينة عاصمة لإقليم نفسه وتابعة إداريا وسياسيا للقيروان في الدولة الأغلبية سنة (800م/184هـ). وبقيت في ظل هذا الاستقرار مواكبة للنهضة الاقتصادية والثقافية

---

[1]- أبي العرب،م حمد بن أحمد تميم التميمي: طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب، لبنان، (د. س. ن)،ج1، ص25.

[2]- العمري، عبد العزيز بن إبراهيم: الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيليا، الرياض، ط3، 1421هـ/1999م، ص174، البلاذري، أبي العباس أحمد: فتوح البلدان، تح عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م/ 1407هـ، ص 230.

[3]- خليفة بن خياط: تاريخه وطبقاته، إع حسين عاصمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص 123.

[4]- الميلي، مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تح محمد الميلي، دار الكتاب العربي،الجزائر، 2010، ج2، ص 499.

[5]- إبن لأبار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البلنسي: الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1923م، ج2، ص333.

والعمرانية في عهد الأغالبة حتى مجيء الفاطميين (296هـ-362هـ)[1]، في هذه الفترة يعود إسم قسنطينة من جديد كقاعدة لانطلاقالدولة الفاطمية وا ٍنتصارها على الدولة الأغلبية.

وقد أورد المقريزي (ت844هـ) قصة وصول عبيد الله إلى قسنطينة فيقول: "فقدمه عبيد الله إلى القيروان فسار إليها، فوجد خبر عبيد الله، فسار إلى قسنطينة ..... ووافى عبيد الله قسطنطينية، فلم بقصد أبا عبيد الله، ووصل إلى سجلماسة"[2].

وكان أبو عبد الله الداعي قدم إلى منطقة كتامة في العقد الثامن من القرن الثالث هجري، التاسع ميلادي، وا ٍستقر في محيط قسنطينة يبث دعوته، وبعد إطمئنانه إلى ترسخ الدعوة في قبائل المنطقة أعلن خروجه على الأغالبة وزحف إلى إيكجان وتازورت في المثلث الواقع بين قسنطينة وميلة وسطيف وا ٍستولى عليها[3].وتحدث إبن خلدون على إنتصار الشيعي على جيش الأغالبة حيث يقول: "وجهز زيادة الله الأغلب العساكر إلى كتامة مع قريبهإبراهيم بن حشيش وكانوا أر بعين ألفا فانتهى إلى قسنطينة فأقام بها وهم – يعني كتامة-متحصنون بجبلهم مدينة بلزمة فإنهزم إلى باغاي ولحق بالقيروان......"[4]، وبذلك تأسست الدولة الفاطمية سنة (243هـ/909م) وحلت محل الدولة الأغالبة، فكانت قسنطينة من نصيبهم، وتوالت الصراعات بين فقهاء السنة والمذهب الشيعي، وظل أهلها وأعيانها يدينون بالولاء السياسي للدولة الفاطمية ويتبعونها إداريا.

ومهما يكن من الأمر أنه في خضم هذه الصراعات المذهبية، إنتعشت الثقافة والأمراء ورجال الدولة، وا ٍزدهرت في صناعة الحرف والفنون والعلوم والأدب، كما شهدت مدينة قسنطينة ثورة صاحب الحمار سنة 336هـ/946م[5]، وبإنتقال المعز لدين الفاطمي إلى مصر مصر سنة (361هـ/971م)، تقلد "بلكين بن زيري" السلطة ولقبه بسيف الدولة، الأمر الذي أثار حفيظة قبيلة كتامة البربرية التي عبرت عن ذلك بعدة ثورات ضد الحكم البر بري بحجة أقدميتها في النضال إلى جانب الفاطميين، ولم تكن قسنطينة ضمن هذه الإضطرابات التي

---

[1]- غربي كمال ، المرجع السابق، ص 57.

[2]- المقريزي، تقي الدين أحمد: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح جمال الدين الشيال، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط2، 1996، ج1،ص 64.

[3]- بومهلة تواتي: المرجع السابق، ص 46.

[4]- إبن خلدون : العبر، المصدر السابق ،ج4، ص45.

[5]- غربي كمال: المرجع السابق، ص 58.

دارت حولها سنة (373هـ/983م)، ولعل هذا ما منحها مكانة لدى حكام بني زيري وبني حماد فكانت في عهدهم ذات مكانة إستراتيجية تجارية وحضارية هامة[1]. ثم إنتقلت إمارة قسنطينة إلى الزيريين سنة (362هـ-542هـ) ونظرا لأهميتها فقد كانت محل نزاع بين الزيريين والحماديين، حيث أصبحت من أهم المراكز الحضارية في بلاد المغرب الأوسط وا إفريقية بعد مدينة القيروان، حيث نشأت حركة علمية شاملة ونهضة ثقافية واسعة،حتى أصبحت المهدية والقلعة قسنطينة و بجاية محط العلماء والأدباء والفقهاء، وقبلة الطلاب من بلاد المغرب والأندلس، فكثرت المراكز الثقافية من كتاتيب ومدراس ومعاهد ثقافية ومساجد توزعت على مختلف أحياء المدينة، كذلك نشطت بها القوافل التجارية و هذا دليل على الاستقرار الذي شهدته المدينة في هذه الفترة[2]، وفي سنة (462هـ/1069م) هاجمها الهلاليون وتحكموا فيها، وبذلك شهدت الدولة الزيرية ضعفا و اضطرابا، ما منح الحماديين إمكانية السيطرة عليها، وذلك في عهد الناصر الحمادي (404هـ-481هـ) ووقعت بها ثورة "بليار" ودامت تحت حكم الحماديين إلى آخر عهدهم[3]، وأصبحت من أهم الحواضر في المغرب الأوسط في العهد المرابطي[4]. وبسقوط بجاية في يد الحماديين تدخل قسنطينة في حكمهم سنة (547هـ/1153م-1154م)[5]، بعدما أسس الحكم لعبد المؤمن الموحدي بالمغرب الأقصى، لفت نظاره إلى المغرب الأوسط وا إفريقية وبسط نفوذه على كل من تلمسان وبجاية وقسنطينة التي حاصرها إلى أن إستسلم أميرها الحمادي يحي بن عبد العزيز سنة 1154م[6].وذلك بعد أن إشترط شروط لنفسه، وبايع عبد المؤمن سنة 574هـ/1178م، وتنازل له عن قسنطينة وأخذه معه إلى مراكش[7]،ويقول إبن عذارى المراكشي:"ولما أطل

---

[1]- المرجع نفسه، ص 59.

[2]- المرجع نفسه، ص59.

[3]- محمد عثمان: المرجع السابق، ص 11.

[4]- الطاهر طويل: المدنية الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من (2هـ إلى 5هـ)، الترقية الثقافية، الجزائرية، 2011، ص 259.

[5]- سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 24.

[6]-مجهول: الحلل الموشية في الأخيار المراكشية، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1979م، ص 114.

[7]- السلاوي: المصدر السابق ،ج1، ص 149.

الموحدون على أرض قسنطينة وما إتصل بها من الصحراء......"[1]، مما يشير إلى استيلاء الموحدين على قسنطينة، وأصبح أهلها يؤدون الطاعة والولاء لهم على أزيد من قرن ونصف قرن من الزمن.

كما شهدت المدينة حصار إبن غانية[2] لها حيث إستمر هذا الحصار إلى أن ضاق أهلها ودمروا، ورغم ذلك لم ينجح في الإستيلاء عليها[3]،وبعد وفاة يعقوب المنصور سنة 1198م. وكذلك هزائم المسلمين بالأندلس وتوافدهم إلى قسنطينة (موقعه العقاب)[4]، ظهرت مؤشرات الضعف والتفكك في جسم الدولة التي لم تلبث أن قامت على أنقاضها ثلاثة دول في بلاد المغرب: الدولة المرينية (591هـ/ 1195م) الدولة الزيانية (663هـ-1235م) الدولة الحفصية (625هـ/1228م)[5]. وبذلك تدخل المدينة مرحلة جديدة من تاريخها وهي مرحلة الحكم الحفصي.

لم يدم الحكم الموحدي إلا حوالي ثلاثعقود، في شر قي المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، والمغرب الأدنى،حتى إستولى على هذه المنطقة أبو زكرياء يحي بن عبد الواحد، وبذلك إنضوت قسنطينة تحت لواء الحفصيين سنة 1229م.

ولقد تمتعت بمكانة ممتازة، رغم الوضع السياسي الذي كانت تعيشه، ونحاول في هذه الأسطر التعرف على هذه الأوضاع السياسية التي عاشتها المدينة في ظل الحكم الحفصي وجل الصراعات والفتن التي شهدتها في هذه الفترة من تاريخها.

---

[1]- إبن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج5، ص 187.

[2]- هي ثورة قام بها علي بن غانية من أنصار المرابطين ضد السلطنة الموحدية، أنظر: إبن خلدون: العبر، المصدر السابق ج6، ص 390، أنظر أيضا: إبن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج5، ص 179، أنظر أيضا: محمد العروسي المطو ي: السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص 17.

[3]- غربي كمال : المرجع السابق، ص 63.

[4]- جرت بين الخليفة الناصر الموحدي والقوات الإسبانية بقيادة ألفونسو الثامن (609هـ، 1212م)، إنتهت بهزيمة الناصر، الناصر، أنظر: نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي: الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م)، (رسالة ماسجتير) إشراف عبد الواحد ذنون طه، كلية التربية، جامعة الموصل، العر اق، 1425هـ/2003م، ص8.

[5]- المرجع نفسه، ص 10.

بعد قيام الدولة الحفصية سنة (628هـ/1230م) تدخل قسنطينة تحت لوائهم[1]ولما إستقل الأمير أبو زكرياء[2]، في تونس وخلع بني عبد المؤمن نهض إلى قسنطينة سنة (628م/1228م) فنزل بساحتها وحاصرها أياما، ثم داخله إبن علناس في شأنها وأمكنه من غرتها، فدخلها ووِلّ عليها ابن النعمان[3] من هنتاتة[4]، حوالي سنة 1249م، وبعد أربع سنوات عقد عليها المستنصر لشيخ من الموحدين هو إبن كلداني، وذلك قبل أن يعقد عليها الواثق الحفصي لعبد العزيز بن عيسى بن داود[5] ويورد لنا إبن خلدون قصة أبو بكر بن موسى بن عيسى، المعروف بإبن الوزير وهي التي إشتهرت بثورة إبن الوزير حيث يقول: "أبو بكر بن موسى بن عيسى ونسبته في كومية من بيوت الموحدين كان مستخدما لإبن كلداني الوالي لقسنطينة، ثم ولاه الواثق ثم السلطان أبو إسحاق،وكان إبن الوزير هذا طموحا جموعا لأموال الناس لا يمل"[6]، وقد كان يفكر في الإنتقاض إذا سنحت له الفرصة معتمدا على حصانة قسنطينة من ناحية، وبحثا عن حليف من ناحية ثانية.

بدأ إبن الوزير في عصيانه،واكتشف أهالي قسنطينة مخططه فبعثوا برسالة إلى السلطان أبي إسحاق إبراهيم يحذرونه، لكن أبا إسحاق لم يعرهم اهتماما، مصدقا الرسالة المضادة التي بعث بها إليه إبن الوزير ثم أعلن ثورته على قسنطينة أواخر سنة (639هـ/1280م)، إلا أن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح،لأسباب منها تأخر وصول أسطول

---

[1]-أنظر: إبن أبي دينار، أبو عبد الله محمد الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286، ص127.

[2]- هو المولى أبو زكرياء يحي بن المولى أبي محمد عبد الواحد إبن الشيخ أبي حفص، ولد بمراكش سنة 599هـ/1203م بويع له يوم الثامن من رجب من عام 625هـ/1228م بالقيروان ثم جددت له البيعة يوم وصوله إلى تونس، وكان من الصالحين والخلفاء والعلماء المؤيدين، وتوفي أثناء توجيه حركته إلى بونة في 29جمادى الأولى/ 1249م، أنظر: إبن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 60.

[3]- كان لبني النعمان من مشيخة هنتاتة ورؤسائهم، لهم في عهد أبي زكرياء مكانة وظهور ثم خلصت ولاية قسنطينة لهم، أنظر: المصدر نفسه، ص 65.

[4]- هي قبيلة ضخمة جدا وفي بعضها رياسة وشرف في الدهر القديم، أنظر: المراكشي، عبد الواحد: المصدر السابق، ص 227.

[5]- تواتي بومهلة: المرجع السابق، ص 55.

[6]- إبن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 349.

النصارى إليه، كذلك زحف الأمير أبو فارس من بجاية مع عسكره، ثم تم القضاء عليه هو و أخوه و أتباعهما، وذلك سنة (681هـ/1282م).

وعادت بذلك المدينة إلى السلطة الحفصية، حيث عين على رأسها والي آخر من الموحدين، هو عبد الله الهرغي[1].وفي سنة (681هـ/1283م) دخل أحمد بن مرزوق[2] مدينة قابس وملكها واحتوى على الكثير من البلاد الإفريقية، ثم أخرج له الخليفة جيشاً من تونس وجمع الأموال، وجعل عليه أبا زكرياء و توجه إلى الدعي (إبن مرزوق)[3]، ثم خرج المولى أبو إسحاق في شوال بجيش عظيم ونزل بالمحمدية (المسيلة) وكان الناس كل يوم يبتعدون عنه وينظمون إلى الدعي ولم يبقى معه إلا القليل، ثم رحل عن تونس في السادس والعشرين من شوال مع أولاده ونساءه، فاجتاز قسنطينة فأغلقها في وجهه صاحبها (عبد الله) خوفا من إبن مرزوق، ثم مضى إلى بجاية فلقيه المولى أبو فارس وكان ولاه على بجاية وخلع السلطان نفسه وبايع إبنه المولى عبد العزيز الذي تلقب "بالمعتمد على الله"[4]، ثم خرج للقاء الدعي وترك والده ساكنا ببجاية، حيث خرج الدعي من تونس في جيش عظيم، وإلتقى الجمعان، وقتل المعتمد وإخوته، وذلك في سنة 682هـ/1283م[5]، ولما وصل الخبر إلى بجاية خاف المولى أبو إسحاق على نفسه، فخرج قاصداً المغرب ومعه ولده أبو زكرياء ثم أرسل الدعي من قتله في(682هـ/1282م)، وبذلك أصحبت ولاية إفريقية بيد الدعي (أحمد بن مرزوق المسيلي)[6]. ثم ظهر المولى أبو حفص عمر إبن المولى أبي زكرياء الذي حاصر حاصر الدعي وقضى عليه، وتولى تونس وذلك سنة (683هـ/1285م)، ويعتبر عهده عهد تمزق لوحدة السلطة، والإنشقاق داخل العائلة الحفصية[7]، حيث تولى أبو زكرياء بن أبي

---

[1]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 243.

[2]- هو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة، ولد في المسيلة، نشأ وتربى في بجاية، كان ظالما سفاكا للدماء إحترف مهنة الخياطة، لحق بصحراء سجلماسة، وإختلط بعرب المعقل، بويع بتونس سنة (681هـ/ 1283م)، أنظر: إبن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 444، أنظر: أيضا: الزركشي: المصدر السابق، ص 47.

[3]- إبن الشماع: المصدر السابق، ص 78.

[4]- إبن خلدون: العبر ، المصدر السابق، ج6، ص 446.

[5]-برنشفيك روبار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م) ، تح حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1980، ج1، ص 118.

[6]- إبن الشماع: المصدر السابق، ص 78.

[7]- إبن خلدون: العبر ، المصدر السابق، ج6، ص 446.

إسحاق بعد رجوعه من تلمسان كل من بجاية وقسنطينة والجزائر، وهنا يمكن القول أن أبا زكرياء تحول من لاجئ من تلسمان إلى ثائر يطالب بالسلطة ضد عمه عمر وبذلك إستقل بالقسم الغربي من السلطة الحفصية كما قلنا سابقا وتلقب "بالمنتخب لإحياء دين الله"[1].

هذا الوضع يشبه ما حدث بين بني حماد وبني زيري في تونس ولكنه لم يفلح ضد عمه.وعندما شعر أبو حفص بإقتراب أجله، عهد لإبنه عبد الله من بعده، ونظراً لصغر سنه لم يرض الموحدون به[2]، ثم تحدث مع الشيخ أبو محمد المرجاني الذي أشار عليه بتولية الأمير أبي عبد الله محمد بن الواثق بن المستنصر، الملقب بأبو عصيدة، بويع سنة (694هـ/1295م) وتوفي سنة (709هـ/1309م)[3]، وخلفه المولى أبو يحي أبو بكر الذي بويع سنة (709هـ/1311م)وإلتقى بجيشه مع الأمير أبي البقاء خالد، وانهزم جيشه (أبي بكر)، ثم قتل[4].

وكان الأمير أبو زكرياء قد ملك بجاية وقسنطينة سنة (684هـ/1285م)[5]، وتوفي في(707هـ/1307م)، وعهد لإبنه أبي البقاء خالد، الذي بويع سنة (709هـ/1311م)، في قسنطينة و بجاية وبذلك إتحدت الدولة من جديد وتلقب "بالناصر لدين الله".عقد لأخيه المولى أبي بكر على قسنطينة، فإنتقل إليها وعندما إضطربت الأحوال بإفريقية، بايع المولى أبي بكر نفسه، وبذلك تنفصل قسنطينة من جديد عن الدولة الحفصية، والإنشقاق داخل الأسرة الحاكمة[6]. وعندما سمع السلطان خالد بذلك جهز جيشاً وأرسله إلى قسنطينة، في هذه هذه الأثناء سمع أبي بكر بقدوم الأمير أبي يحي بن اللحياني فبعث له في طرابلس بهدية ووعد بأنه مظاهره، وقد تمكن إبن اللحياني من السيطرة على تونس سنة (711هـ/1311م)

---

[1]- المصدر نفسه، ص 449.

[2]- إبن قنفذ، أبو العباس أحمد القسنطيني (ت810هـ/1407م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 152.

[3]- ذكر إبن بطوطة أنه عندما وصل إلى قسنطينة كان حاكمها أبا الحسن الذي أكرمه وقدم له المال، وهي في ذلك الوقت الوقت مستندة إلى الأمير أبي عبد الله محمد أحد أبناء أبي يحي أبي بكر الحفصي، أنظر: إبن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة إبن بطوطة المسماة تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح،عبد الهادي، مج1، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص 164.

[4]- إبن الشماع: المصدر السابق، ص 84.

[5]- إبن قنفذ: المصدر السابق، ص 155.

[6]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 252، الزركشي: المصدر السابق، ص 61.

وسجن أبا البقاء حتى توفي عام (723هـ/1323م). وعادت السلطة إلى الإنقسام من جديد شرقية وغربية، ولم يلبث أبو بكر أن هاجم اللحياني وكان هذا الأخير كبيراً في السن، وعندما أدرك أنه لا يقدر على مقاومة أبي بكر خرج من تونس إلى قابس، وبذلك سيطر أبي بكر على تونس سنة (717هـ/1317م) وتلقب بالمتوكل على الله[1]، وكانت بينه وبين بنو عبد الواد حروب كثيرة.

ففي سنة(724هـ/1323م) غادر المولى أبو بكر تونس من أجل إيقاف زحف الجيش القادم من تلمسان بمعونة أبي تاشفين صاحبها، وينتهي إلى قسنطينة إلا أن الجيش الوادي سبقه إلى ذلك حيث يقيم موسى بن علي قائد جيش تلمسان حوالي خمسة عشرة ليلة، وكان قد نهض بالجيوش وأفسد الزرع والضرع وعاد إلى صاحبه بتلمسان[2]، وفي سنة (728 هـ/1335م) أعاد موسى بن علي حصار قسنطينة ثم رجع إلى وادي بجاية، فإختط به، واستمر الوضع على حاله وقبل وفاته عقد لإبنه أبا العباس أحمد على قسنطينة وأوصاه بهم، وجعل على حجابته أبا القاسم من مشيخة الموحدين، وتوفي سنة (747هـ/1346م)[3].
وكان السلطان أبا العباس غائبا لما توفي والده، لذلك إستلم الملك أخوه أبو حفص عمر[4]، وعندما سمع أبا العباس بذلك، حشد الجيوش ودخل تونس في الثامن من رمضان، وخرج أخوه أبو حفص عمر،وا رتحل عن تونس، ثم عاد المولى عمر وسيطر على الأوضاع[5]، ونظراً لهذه الفوضى، استغل أبو الحسن المريني الوضع، فقام بحملة سيطر من خلالها على قسنطينة و بجاية وهزم أبي حفص عمر وبذلك سيطر على البلاد كلها، وصرف إلى المغرب ولاتها، ثم نزل قسنطينة وأخرج أميرها أبو زيد الذي أتاه طاعته وبعث به إلى وجدة، ثم بعث بأمير بجاية أبو عبد الله إلى ندرومة[6]وعقد المولى الفضل على بونة، لمّا غلب على ظنّه من عافيته وسابقية معرفته به، ولما وقعت الواقعة على السلطان أبي الحسن، كاتب الأمير الفضل أهل قسنطينة ثم قدمها وحاصرها فدخلها صبيحة يوم الجمعة سنة(

---

[1]- روبار برنشفيك: المصدر السابق، ج1، ص 164.
[2]- إبن خلدون، أبو زكريا يحي:المصدر السابق، مج1، ص 137.
[3]- الزركشي: المصدر السابق، ص 72.
[4]- إبن خلدون: العبر، المصدر السابق،ج6، ص 517.
[5]- المصدر نفسه ، ص 518.
[6]- نفسه، ص 520.

749هـ/1348م)، وأقام بها ثلاثة أشهر وتحرك إلى بجاية وأخذها[1]، ثم وصل أميري كل من قسنطينة و بجاية وأخذ مكانتهما، وتولى العباس الفضل بونة، وبعد وفاة هذا الأخير سنة (750هـ/1349م)، تولى أخيه أبو إسحاق إبراهيم وفي عهده غزا أبا عنان قسنطينة وتونس سنة (758هـ/1356م)[2]. وقد تحدث إبن الحاج النميري في رحلته "فيض العباب" على الغزو المريني لمدينة قسنطينة وذكر سبب الغزو، حيث يفيد أن السلطان أبي عنان المريني أراد إخضاع الأعراب لسلطته والقضاء على عصيانهم وفسادهم، ور دع الفتن في المدينة، لكن يبدو أن الهدف الأول تمثل في ضم قسنطينة إلى ملكه، وذلك لتوسيع حكمه ومجال نفوذه، وتعرض لوصف صمود المدنية أمام الغزاة وشجاعة أبناءها[3].

وأكد مؤرخ قسنطينة الحاج أحمد بن المبارك في حديثه على من غزا قسنطينة قائلا: "وأما من غزاها ووصل خبره إلينا، فقد غزاها أبو عنان المريني من بونة، وحاصرها بجنود كثيرة وقوة عظيمة، وقطع النهر وجعل الماء يمشي إلى ناحية أخرى، وحلف لا يرحل حتى يدخلها ويجعل عاليها أسفلها"[4]. وعندما دخل الجيش المريني إستسلم أميرها أبي العباس أحمد الذي كان واليا عليها وا عترف بالسيادة المرينية عليها، إلا أن أهل قسنطينة رفضوا هذه السيطرة، والموقف الذي بدر من أميرها[5]، ولما ملك قسنطينة بعث رسله إلى أبي محمد بن تافراجين في الأخذ بطاعته والنزول عن تونس، فردهم وأخرج سلطانه المولى أبا إسحاق إبراهيم، ثم أرسل جيشا وتمكن من الإستيلاء على تونس. ومكث السلطان أبا إسحاق في الجر يد، وكان السلطان لما بعث بعسكره أرسل معه الفقيه إبن مرزوق برسم خطبة السلطان أبي يحي أبي بكر[6]،ثم قرر رجال بني مرين الرجوع عن سلطانهم خوفا من أن يصيبهم بإفريقية ما أصابهم من قبل، فإنقضوا متسللين إلى المغرب، بعدها إستلم الأمر أبا إسحاق سنة 758هـ، وتحرك إلى قسنطينة وأقام فيها مدة وبها بنو مرين ثم رحل إلى بجاية[7].

---

[1]-الزركشي: المصدر السابق، ص 86.

[2]- روباربر نشفيك: المصدر السابق، ج1، ص 206.

[3]-خالد بلعربي: الغزو المريني لقسنطينة من خلال رحلة إبن الحاج النميري، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي،ع 08، جامعة وهران، الجزائر، 1434هـ/2015م، ص، ص: 60، 61.

[4]-أحمد بن المبارك بن العطار: المصدر السابق، ص 33.

[5]- خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 62.

[6]- الزركشي: المصدر السابق، ص 97.

[7]- إبن خلدون: العبر،المصدر السابق،ج6، ص540.

بعد وفاته بويع إبنه الأمير أبو البقاء خالد ودخل أبو العباس بلاده قسنطينة سنة 771هـ/1370م، بقي فيها إلى أن إستدعي إلى حضرة تونس حيث بويع سنة 772هـ/ 1370م، ويعد عهده فترة عدم الاستقرار[1]، وبعد وفاته سنة (796هـ/1394م)، بويع السلطان أبو فارس عبد العزيز، وكان أخوه المولى أبو بكر ولي العهد، فكان عاجزا عن القيام بأمور الخلافة فرضي بولاية قسنطينة[2]، وحاصر أبو زكرياء إبن عمه في قسنطينة إلى أن خرج إليه المولى أبو فارس وهزمه وفر إلى المغرب، وبقي هناك إلى أن تحرك إلى تونس فقتل وأخذ رأسه إلى المولى أبي فارس، وعقد على قسنطينة لمولاه نبيل وعلى قصبتها لأبي القاسم بن تافراكين التنمالي، وتوفي سنة (837هـ/1433م)[3].

ثم بويع المولى أبو عبد الله محمد المنتصر بالله، بالجامع الكبير بقسنطينة، وجددت له البيعة في تونس وقام بأعمال جليلة، توفي سنة(839هـ/ 1435م)[4].بعده تولي شقيقه أبو عمر عثمان سنة (839هـ-844هم/1435-1440م) الذي كان في عهده والي على مدينة قسنطينة حيث قام صاحب بجاية الأمير أبو الحسن بحصار قسنطينة نحو شهر وتمكن قائدها من صده وقتاله فرحل خائبا مهزوما[5].

شهد عهده أوضاع متأزمة كقيام الأعراب بصراعات ضده أمثال أعراب أولاد الليل وأولاد مهلهل وغيرهم، ونتج عن ذلك موقعة وادي سراط[6] سنة (840هـ/1436م).فانتصر فيها عمر عثمان، وتمكن من إسترجاع بجاية بعد انفصالها مرتين وعين عليها القائد منصور الذي كان يتولى قسنطينة.

وبعد وفاة أبي عمر عثمان سنة (894هـ/1488م) تدخل السلطنة فترة من الغموض[7]، وتولى الحكم أبو زكرياء يحي بن محمد المسعود الذي كان يشغل إمارة قسنطينة، فدخل في صراع مع إبن عمه عبد المؤمن الذي تولى الحكم بعد أن قتله سنة

---

[1]- إبن الشماع: المصدر السابق، ص 109.

[2]- إبن خلدون: العبر،المصدر السابق، ج6، ص 582، روبار برنشفيك: المصدر السابق، ج1، ص 245.

[3]- تواتي بومهلة: المرجع السابق، ص 77.

[4]- المولى أبو عبد الله محمد المنتصر بالله هو صاحب بونة، دخل في صراع مع إبن عمه، لأن أحمد بن الكماد أقنعه بملك قسنطينة فأخذ يهتك بلزرع والمناهل إلى أن هزمه المولى أبي فارس، أنظر: إبن قنفذ: المصدر السابق، ص 197.

[5]- إبن الشماع: المصدر السابق، ص82 الزركشي: المصدر السابق، ص 137.

[6]- أنظر: محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 645.

[7]- مباركية عبد القادر، طايبي زيد: النخب العلمية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011، ص 28.

(932هـ/1525م)، ثم خلف زكرياء إبن عمه أبو عبد الله محمد، وفي عهده تشهد الدولة بداية فترة الإنحطاط الذي لا رجع فيه[1]، حيث ظهر الأتراك ولم يتمكن السلطان من البقاء على العرش، فتوفي سنة

(933 هـ /1526 م)، وتمكن الإسبان من إفتكاك جزء من دولته (بجاية-وطرابلس)[2] إلى غاية سنة (923هـ/1517م) امتلك الأتراك قسنطينة وهاجمها حسن قائد خير الدين سنة 1515وا إحتلها[3]، وكانت قسنطينة المدينة الثانية بعد الجزائر العاصمة في العهد العثماني[4]، العثماني[4]،وتضاربت الآراء وا ختلفت روايات المؤرخين[5]بشأن تحديد تاريخ دخول الأتراك مدينة قسنطينة.

وعليه فالمدينة عاشت بين مد وجزر خلال الفترة التي كانت فيها تابعة للسلطة الحفصية، فعرفت أوضاع سياسية مضطربة و مفككة جدا بسبب تنافس الأمراء على حكمها، وبالتالي هل هذه الأوضاع الغير مستقرة كان لها انعكاس سلبي أم ايجابي على الأوضاع الثقافية في قسنطينة.

ثانيا: مصطلح البيوتات دلالته ونشأته:

يعد موضو ع البيوتات من المواضيع التي عالجها التاريخ، كونها ظاهرة ضاربة فيه، ومن المظاهر الاجتماعية بإمتياز مر تبطة بالقبيلة العربية إرتباطا وثيقا، حيث ساهمت في تطور الحركة العلمية والفكرية، كما كان لها دور في المجال السياسي والإقتصادي.

1-مفهوم البيوتات :

أ_ المفهوم اللغوي:

---

[1]- في القرن 15م، لم يحدث بها–قسنطينة- ما يستحق الذكر وكان يتولى حكمها أبناء صولة وهمفر قة من الذواودة، وبعض عائلاتها كعائلة عبد المؤمن وعائلة إبن الفكون، وعائلة إبن باديس، أنظر: أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 81.

[2]-روبار برنشفيك: المصدر السابق، ج 1، ص30.

[3]- أحمد بن المبارك بن العطار: المصدر السابق، ص 81.

[4]-يمينة سعودي: المرجع السابق، ص 30.

[5]-بشأن تاريخ دخول الأتراك إلى مدينة قسنطينة، ينظر: إبن أبي دينار: المصدر السابق، ص 169. وأيضا: محمد صالح صالح بن العنتري: تاريخ قسنطينة، تح يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 10 ، وأيضا: عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 88.

بالنسبة للمفهوم اللغوي لمصطلح اليوتات فنجد إبن منظور قال: "البيوتات جمع بيوت، ومفرده بيت، فيقال: بيت العرب أي شرفها، والبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة كآل حصن الفزاريين وآل الجدّين الشيبانيين وآل عبد المدان الحارثيين، وهي أعلى بيوتات العرب عزة وسؤدد، حسب إبن الكلبي، يقال: بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها وقد قال العباس يمدح النبي (صلى الله عليه وسلم):

حتّى احتوى بيتُك المهيمِنُ من خِنْدِفَ عَلْياءَ، تحتها النُّطُقُ .

جعلها في أعلى خندف بيتا، أراد ببيته: شرفه العالي، والمقصود بالمهين هنا: الشاهد بفضلك، وتقول العرب فلان بيت قومه أي شريفهم[1].

وذهب الفيروز أبادي أن البيت: ج أبيات وبيوت، جمع: أبابيت وبيوتات أي الشرف والشريف[2]، وهو ما نجده عند الجوهري[3].

ولمصطلح البيوتات مرادفات عدة كالأسر والعيال والأبيات، حيث يذكر الرازي: جمع البيت بيوت وأبيات، والعامة تقول بِيُوت، و(البيت) أيضا عيال الرجل[4]. وجاء في المعجم الوسيط "بيت" مفرده وجمعه "بيوت" و"أبيات"، وجمع جمعه بيوت وأبيات. والبيت في العموم المقصود به المسكن الذي يأوي إليه الإنسان، وقد يعني البيت كذلك عيال الرجل ويقصد به أيضا المرأة[5]، لذلك نقول أنه عادة ما يقصد بالبيت هو الأسر.

ب- التعريف الإصطلاحي:

وفيما يخص التعريف الاصطلاحي فنجده عند إبن خلدون في كتابه "المقدمة": يقول "معنى البيت هو أن يعد الرجل في أبنائه أشراف مذكورين تكون له بولادتهم إياه، و الانتساب

---

[1]-إبن منظور، جمال الدين بن محمد مكرم: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، 1119م،ج1، ص 393.

[2]-الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي: القاموس المحيط، تح، محمد نعيم قسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 20005، ص 148.

[3]- الجوهري: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص 244.

[4]-الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:مختار الصحاح، تح حائرة المعارف في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 28.

[5]- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق العربية، القاهرة، ط4، 2004، ص 78.

إليهم، تجلة من أهل جلدته، لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم"[1]، والشريف الذي يعنيه إبن خلدون هنا فهو يرتبط إرتباطا وثيقا بالحسب والعصبية في القبيلة التي منها البيت. وذهب الزمخشري بقوله: "إننا إذا قلنا أن هذا الشخص أو ذاك من أهل البيوتات أقصد بذلك أنه من بيت كريم[2]"، لقوله (صلى الله عليه وسلم): "إنما الكريم إبن الكريم إبن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[3]، دلالة على العفة والعظمة والمجد.

ويفيد لنا الإمام النسابة عبد الكبير بن هشام الكتاني في "زهر الآس" في بيوتات أهل فاس: "والمراد به بيت المجد والتعظيم، وبيت المجد والتعظيم يكون في القبائل بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة ونحو ذلك"[4]، وقد ذكرت البيوت عند هشام بن عبد الملك بن مروان الذي قال: "البيت هو ما كانت له سابقة ولاحقة، وعماد الحال، ومساك دهر، فإن كان ذلك فهو بيت"، يريد بالسابقة: ما سلف من شرف الأباء، وباللاحقة: ما لحق من شرف الأبناء، وبعماد الحال: الثروة، وبمسالك الدهر: الجاه[5].

أما في القرآن الكريم فلم يرد مصطلح البيوتات بصيغة الجمع بل ورد مفردا، لقوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}[6]. كما ورد مصطلح <<آل>> في القرآن بمعنى البيوت الكبيرة، منها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ}[7]، فالله تعالى ذكر هذه هذه البيوتات الكبيرة لما إحتوت عليه من رجال حازوا الكمال وتسلل الفضل في ذراريهم [8].

---

[1]- إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 167.

[2]- الزمخشري: الأساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة، بيروت، (د. س. ن)، ص 34.

[3]- بن عمر علال: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7 – 10هـ/ 13م-16م)، (رسالة ماجستير)، إشراف عبد العزيز فيلالي، كلية الآداب العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2011، ص 173.

[4]- محمد بن زين العابدين بن رستم: بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار إبن حزم، لبنان، ط1، 2009، ص 8.

[5]- المرجع نفسه، ص 9.

[6]-سورة الأحزاب ،الآية (33).

[7]-سورة آل عمران ، الآيات(33-34).

[8]-لزعم فوزية:البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925_1246هـ/1520 - 1830م)،(رسالة دكتوراه) ، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ،1435هـ/2014م،ص 26 .

وبناءاً على ما سبق ذكره يتبين لنا أن مصطلح البيوتات المقصود به تلك الأسر التي أنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدوا للتدريس والتأليف والإفتاء والقضاء وغيرها من المجالات،وقد حازت المجد والتعظيم والجود والشجاعة نظراً لما لعبته من دور فعال في ذلك الوقت.

ويتكون البيت من أربعة أبناء فما فوق لقول النسابة عبد الكبير هشام الكتاني: "ولا يعدو في الغالب أربعة أباء"[1]، وهو ما ذهب إليه الأصفهاني نقلا عن إبن الكلبي: "قال كسرى للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم: بأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة أبناء متوالية رؤساء، ثم إتصل ذلك بكمال رابح، والبيت من قبيلته فيه"، ولما جمعت البيوتات التي إنطبق عليها هذا الوصف أمر كسرى شعراءها أن تتكلم بمآثر بيوتاتها فذكرت: وراثة الملك عن الآباء الأقدمين، الثبات في القتال، أخذ الثأر، قول الحق، منعة الجار، كثرة العدد، وغيرها من الغلا، فلما سمح كسر ى ذلك منهم قال: ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه"[2].

ويرى إبن خلدون أن نهاية شرف البيت وحسبه يكون بعد أربعة أباء حيث يقول:"وقد يز يد فضلا من الله ونعمة، كما هو في أفراد منها، مع مزيد الشهرة لها"[3].

2 - ظاهرة البيوتات العلمية والسلطة:

وظاهرة البيوتات هي ظاهرة متجذرة في التراث والتاريخ العربيين، تجذر الفكر القبلي والقبيلة نفسها، ذلك أن منشأ كل قبيلة هو بيت ، نبيه بدأ بشخصية واحدة ذات تأثير واسع ومكانة مرموقة ور ثها في عقبه المتناسل[4]، وفي الكثير من الأحيان كان الولاء للبيوتات يوازي يوازي الولاء للقبيلة، وبالتالي الإستفادة من الخطوة والجاه والسلطة، كما كانت قوة القبيلة تتبع من قوة البيوتات المكونة لها والعكس كذلك، فمن الفخر أن يقول المرء عن قبيلته أو وطنه

---

[1]- محمد بن زين العابدين بن رستم : المرجع السابق ، ص10.

[2]- رفيق خليفي: البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط (من نهاية القرن 3 هـ إلى القرن 9 هـ)،(رسالة ماجستير)، إشراف إشراف نجيب بن خيرة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008م، ص16.

[3]- إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 170.

[4]- رفيق خليفي: المرجع السابق، ص 17.

أنه أصل البيوتات، وهذا ما عبر عنه إبن القربة لما أخذ أسيراً للحجاج فحين سأله هذا الأخير عن أهل اليمن قال: أصل العرب وأهل البيوتات والحسب"[1].

أ-البيوتات والسلطة:

لعبت البيوتات دوراً أساسيا لدى السلطة السياسية نظراً لحاجة هذه الأخيرة لفئة العلماء الذين هم على قدر كبير من الثقافة، وذلك أنه لم يكن في ذلك الزمن مدارس لتكوين الموظفين الإداريين يعتمد عليهم في تسيير شؤون إدارة المدن والأقاليم ومختلف المناصب، فجاء الإعتماد على أهل البيوتات الذين رباهم آبائهم تربية نموذجية من طراز عالي، فعلموهم الكتابة والقراءة والأدب والشعر والفصاحة والسير والأخبار والأيام وما إلى ذلك ، كما علموهم مبادئ الوظائف التي كانوا يشغلونها ، وينقلون إليهم تجارتهم في الممارسة السياسية وطرق الوصول إلى المناصب والإحتفاظ بها[2].

وا ِهتمام السلطة بالبيوتات لم يقتصر على فتح المناصب الرفيعة بل تعدى ذلك إلى رعاية أحوالهم الإجتماعية والمادية، وبذلك إستفادت البيوتات من جاهها ووجهاتها التي جعلتها تحتكر العمل السياسي وتتصدر المناصب الرفيعة في الدولة، وهذه الوجاهة منها هو مكتسب ذاتي ومنها ما هو نتيجة مباشرة لتلك المكتسبات، من مال ورجال وخصال وفضائل وغيرها، لذلك فالعلاقة بين الطرفين علاقة جدلية قائمة على مصلحة،فهي تقوم على الصراع والمعارضة غالبا، وعلى الاتفاق في بعض الأحيان عند فئة من ممثلي المعرفة، وكذلك الحال مع بيوتات القضاء والكتاب والوزراء.

إن البيوتات مهمة في حياة المجتمع، لأن ذلك فيه دلالةعلى ر قيه ومكانته، ولابد من المحافظة عليه حتى لا يتلاشى مع الزمن لقول إبن خلدون:"واشتراط الأربعة في الحساب إنما هو في الغالب، وا ِلا فقد يتلاشى و ينهدم، وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس إلا أنه في انحطاط وذهاب..."[3].

واستعمال مصطلح البيوتات شاع في القرن 8هـ/14م، من طرف نخبة المغرب الأوسط الذين كتبوا في مناقب الأسر العلمية وأرخوا لها كعبد الرحمان إبن خلدون

---

[1]- المرجع نفسه، ص20.

[2]- نفسه، ص 24.

[3]- إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 171.

(ت808هـ/1405م)، وأخوه يحي (ت870هـ/1378م)، وكذلك مؤرخ قسنطينة إبن قنفذ الخطيب (ت810هـ/1407م)[1].

وهناك نماذج كثيرة تناولت دراسة البيوتات نذكر منها: بيوتات فاس الكبرى[2]، البيوتات العلية الأندلسية في قرطبة وا إشبيلية وغرناطة وغيرها من الحواضر المشهورة في الأندلس، بيوتات الحديث بدمشق لصاحبه الدكتور محمد بن عزوز، بيوتات مكناسة الزيتون على عهد المولى إسماعيل لمحمد عبد الجليل، زهر الآس في بيوتات أهل فاس للإمام النسابة الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني، وأيضا من بيوتات سبتة في القرن الثامن لعبد السلام شقور، البيوتات في مدينة سلا لجان كوستي وغيرها من النماذج التي تناولت البيوتات وتتبعت أنسابها ومشاهير كل بيت منها[3].

ب -ظهور البيوتات في مدينة قسنطينة:

أما ظاهرة البيوتات في مدينة قسنطينة فقد بدأ ظهورها منذ العهد الموحدي، وذلك لما شهدته المدينة من حياة علمية نشطة قادها رجالها و علماؤها الذين إشتهروا بالوظائف و التدريس والتأليف، ولقد لعبت تلك الأسر العملية دورا فعالا ونافذا بالمدينة، على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، وحتى على الصعيد التجاري، مما أدى إلى تنشيط الحركة الاقتصادية نفسها.

ومن عوامل ظهور هذه البيوتات ما يلي:

1-الجو الثقافي الملائم الذي وفرته السلطة وذلك من خلال المنافسة بين أمراء المغرب وتشجيع الإشتغال بالعلم حيث قربوا العلماء و إستقطبوا مشاهيرهم، من مختلف أنحاء المغرب والأندلس، حتى صار البلاط يعج بهم وكل ذلك راجع إلى أن بعض الأمراء كانوا على نصيب من العلم والثقافة، يعقدون المجالس العلمية ويتصدرون المناقشة لها، ويقدرون رجال الفكر ويرفعون من قدرتهم ومنزلتهم[4].

2-كان أغلب سكان مدينة قسنطينة من الحضر، واستطاعت العديد من عائلاتها أن تحصل ثروات كبيرة سيما العائلات القريبة من السلطة أو تلك التي تشتغل بالتجارة، وبالتالي الجاه

---

[1]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 173.

[2]-شارك في تأليفه إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 8.

[3]- محمد بن زين العابدين بن رستم: المرجع السابق، ص 14.

[4]- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم،المرجع السابق، ص 13.

والمكانة الاجتماعية المرموقة، تكونت بيوتات قسنطينة التي إشتهرت بالتنافس فيما بينها حول النفوذ والإمتيازات في المدينة، والحادثة التي أوردها إبن قنفذ، وهو أحد أبناء بيوتات قسنطينة في كتابه "الفارسة" أكبر دليل على تلك المنافسة، ومفادها أن الأمير الحفصي أبا زكرياء في آخر القرن 7هـ/13م، مرض مرة بقسنطينة، وبعد شفائه قدم إليه وفد من أهل بجاية للتهنئة، يرأسهم الفقيه أبو العباس الغبريني، ووفد من أهل قسنطينة برئاسة الفقيه إبن الديم، فدخل وفد بجاية وتلاه وفد قسنطينة، إلا أن الوفد البجائي دخل بوقار وأدب مع قاضيه ورئيسه،في حين دخل وفد قسنطينة وهم يتزاحمون مع قاضيهم كأنه واحد منهم ولكل واحد يريد أن يكون الموالي للسلطان في جلوسه، فعلق قاضي بجاية على ذلك قائلا لقاضي قسنطينة:"رأيْت أدب أهل بلدنا معي، و أنت لا وقار لك مع أهل بلدك"، فرد عليه هذا الأخير مبينا سبب تلك المزاحمة بقوله: "إن فقهاكم محدثون ببلدكم، وهؤلاء كل بيت ترى أنها أرفع من الأخرى بأصالتها في بلدهم وقدم نعمتهم". وجواب إبن الديم يؤكد ترفع البيوتات عن بعضها بمكانتها في المدينة"[1].

3-الإعتناء بالمؤسسات التعليمية والدينية وبرجال الفقه والعلم والأدب، وتشجيع البحث والتأليف والتصنيف، وإنشاء المكتبات والمراكز التعليمية المختلفة، كالمدارس والمساجد والزوايا، وتوفير الكتب لها"[2].

4-تعود هذه ظاهرة خاصة إلى الوعي الذي كان سائدا لدى الأسر بالمدينة وأعيانها[3].

5-وجود النساخين والخطاطين والوراقين الذين يتمتعون بمكانة علمية هامة، حيث كانت دكاكينهم ومحلاتهم مقراً للعلم والقراءة والطبع والنسخ[4].

6-الشرف والنسب العربي الذي كانت تتمتع به هذه العائلات، كما كانت كلها صاحبة عصبية ونفوذ ولها العديد من الحلفاء، من أهل القبائل والعشائر المجاورة (النواودة، الحراكتية ...إلخ) والتي كانت على علاقة تحالف مع تلك الأسر، مما جعلها تحتكر الجاه والمال والعلم والوظائف الدينية[5].

---

[1]-إبن قنفذ: المصدر السابق، ص-ص: 148-149.

[2]- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة ، المرجع السابق، ص 19.

[3]- المرجع نفسه، ص.ن .

[4]-فيلالي عبد العزيز: جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة، المرجع السابق،ص 73.

[5]-بن عمر علال: المرجع السابق، ص175.

وعليه يمكن القول أن مدينة قسنطينة خضعت لبعض البيوتات القسنطينية المشهورة بالعلم والفقه، حيث لعبت دور مهم في العهد الحفصي ساهمت في تطور الحياة الثقافية،أشهرها": بيت إبن قنفذ، و إبن باديس، إبن الفكون، بيت الكماد وغيرها، وسنتعرض إليها لاحقا، وقبل ذلك لابد من معرفة نشاط الحركة العملية ومظاهرها في المدينة.

ثالثا: مظاهر الحياة العملية في مدينة قسنطينة خلال القرن (7-10هـ/13-16م):

يعتبر العهد الحفصي في المغرب الأدنى من أزهى العصور، حيث إزدهرت فيه الثقافة والتعليم وعرفت البلاد أوج مجدها الحضاري والفكري والعلمي، ويعود ذلك إلى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء الذين قادوا المسيرة العلمية إلى الأمام.

كما كانتقسنطينة من أهم المراكز الثقافية التي ساهمت في الإشعاع الثقافي وا ٍرساء قيم الحضارة الإسلامية[1]، فتعد في هذه الحقبة من الزمن العاصمة السياسية الثانية للدولة الحفصية[2]، وقد وقدم لنا الحسن الوزان صورة المدينة في أزهى أيامها، ومن دون شك أيام إنتمائها إلى الدولة الحفصية، بقوله:"وكانت من عادة ملوك تونس أن يعطوا قسنطينة لإبنهم الأكبر"[3]، وذلك راجع إلى موقعها الإستراتيجي الممتاز، وبما تتمتع به من مكانة إقتصادية هامة، نزح إليها الناس من كل مكان، فإتسع بذلك العمرانوا ٍزداد عدد السكان، وا ٍنتقل إليها التجار والطلاب والعلماء من الحواضر المغربية والأندلسية المختلفة مقيمين وزائرين[4].

فالحركة العلمية ظلت نشطة رغم الإضطراب السياسي المتدهور[5]، فكان لها مكانة وحظوة لدى أمراء بني حفص الذين إهتموا بالعلم والعلماء[6]، وقربوهم إليهم ومنحوهم مناصب

1- غربي كمال: المرجع السابق، ص 63.

2- فيلالي عبد العزيز: جوانب من الحياة الثقافية ، المرجع السابق، ص 13.

3- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2 ، ص 56 .

4- فيلالي عبد العزيز :جوانب من الحياة الثقافية ، المرجع السابق، ص 13.

5- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998، ج1،ص 39.

6- أحمد الطويلي: في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، تونس، (دس ن)، ص10.

مناصب عليا في الدولة، وقدموا لهم الرعاية والدعم لأعمالهم العلمية والثقافية[1]، وكان من بينهم من ينتمي إلى نخبة العلماء والفقهاء كالسلطان أبي زكرياء الأول (625هـ-647هـ/1227م-1249م) الذي إشتهر بالأدب والشعر،فله شعر مدون وكان يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة[2]، وغيرهم من السلاطين، وكان من مظاهر هذا الاهتمام إنشاؤهم للمؤسسات التعليمية التي كان لها فضل كبير في تفعيل النشاط الفكري، فإنتشرت الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، وظهر عدد هائل من العلماء، خلفوا تراثا علميا هاما ما يزال متوارثا بين الأجيال.

1-المؤسسات التعليمية والعلمية:

كان للمؤسسات التعليمية دور فعال في النشاط الثقافي بالمغرب الإسلامي في الحواضر العلمية منها مدينة قسنطينة التي حظيت برعاية الملوك والحكام، من خلال تشييد المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب، وجلب العلماء للتدريس، وعقد الحلقات و المجالس العلمية.

أ-الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب[3] من أقدم المؤسسات التعليمية وجوداً في العالم الإسلامي[4]، حيث كان المتعلم يتلقى فيها القراءة الكتابة وحفظ القرآن[5]، وكانت الكتاتيب في الغالب تنشأ من قبل الخواص أو تستأجر من قبل المعلمين[6]، وهي مختصة فقط بالتعليم بخلاف المساجد، وأطلق وأطلق على الشخص الذي يباشر عملية التدر يس في الكتاتيب بمؤدب صبيان[7]، ومكانها في في الغالب يكون عبارة عن حجرة أو دكان، أو غرفة في منزل، كما يطلق على الكتاب أيضا "المسيد" الذي عادة ما يكون مجاور للمسجد ويختلف عنه، ويسمى المكتب كذلك[8].

---

[1]- بوعزيز يحي: المرجع السابق، ص 100.

[2]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 58.

[3]-المكتب موضع الكتّاب والمكتب و الكتاب هو موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والكتاب الصبيان، أنظر: إبن منظور: المصدر السابق، مج1، ص 699، أنظر أيضا: الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص 1392.

[4]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 273.

[5]-إبن منظور: المصدر السابق،ج1، ص 672.

[6]- إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 422.

[7]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص، ص: 322، 277.

[8]- أبي عبد الله محمد الأنصاري: المصدر السابق، ص 15، أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 276.

وقد كانت الكتاتيب هي النواة الأولى للحركة التعليمية بمدينة قسنطينة، ومنها انطلقت المدارس وتطورت[1]،والكتاتيب نوعين عامة وخاصة[2]، ولم تحفظ لنا المصادر أسماء الكتاتيب الكتاتيب التي كانت منتشرة بالمدينة، ولعل ذلك يعود إلى أنها من جملة المدارس[3]ويكمن دورها في تعليم الأطفال القرآن الكريم وتحفيظه وتعليمهم فنون الخط والكتابة وعلوم اللغة والنحو والفقه، وقد يتعلم الحساب والشعر وأخبار العرب. على أن أهم ما يدرس الصبي هو القرآن الكريم[4]، حيث يرى إبن خلدون أصل التعليم الذي ينبني عليه في هذه الكتاتيب هو" القرآن"، ويرى كذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا[5].

وتميز الكتاب منذ ظهوره ببساطة أثاثه حيث كان يفرش بالحصير المصنوع من الحلفاء أو الدوم التي يجلس عليها الصبيان مشكلين حلقة حول المعلم، وكانت وسائل التعليم متمثلة في ألواحمسطحة وأقلام مصنو عة من القصب وقطع حجر الصلصال، أما بالنسبة لعطلة التلاميذ فكانت يومين في الأسبوع، فضلا عن الأعياد الدينية[6].

ب-المساجد:

تعتبر المساجد ثاني مؤسسة تعليمية، فعلاوة على العبادة فهي بمثابة الجامعة أو المعهد تعقد فيه حلقات البحث وتنظم فيه المناظرات العلمية ودروس الوعظ والإرشاد[7]. ويجتمع فيه أصحاب المصالح العامة والخاصة، وكانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة[8]. فكان الشيوخ يجلسون عند أعمدة المسجد ويلتف الطلبة حوله ويقومون بتدريسهم العلوم الشرعية والنحو و اللغة[9].

---

[1]- المرجع نفسه، ص34.

[2]- الخاصة: هي التي تنتصب في قصور الأمراء والوزراءوعليه القوم، و العامة:هي التي كانت منتشرة في زوايا وأركان المدينة. أنظر: يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العملية في إفريقية (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري)، أم القرى، مكة،2000م ، ص 228.

[3]- فيلالي عبد العزيز: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص 49.

[4]- سحنون محمد : آداب المتعلمين، تح حسين حسني عبد الوهاب، (د.د.ن)، تونس،(د. ط)، 1972، ص 44.

[5]- إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 740.

[6]- إبن أبي دينار: المصدر السابق، ص 157.

[7]- فيلالي عبد العزيز: تلسمان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002، ج1، ص 145.

[8]-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 246.

[9]- كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1996، ص 109.

وله موظفون كثيرون من أئمة ومؤذنين وقيمينوحر اس ومدرسين وقراء حزب وأهل إفتاء فضلا عن المتطوعين للتدريس والإرشاد، وكان المسجد قبل تأسيس المدارس هو المؤسسة الوحيدة التي تحتضن طلبة العلم[1].

وقد شهدت مدينة قسنطينة تشييد العديد من المساجد من فجر الإسلام إلى يومنا، ولعل أقدم مسجد معروف في قسنطينة لا يزال قائما هو الجامع الكبير[2]"[3]، الذي يعود بناؤه إلى القرن 6هـ/12م، في عهد آخر ملوك بني حماد الصنهاجيين، "يحي بن العزيز بن الناصر بن علناس بن حماد بن بولوغين بن زيري بن مناد بن منكوس". يوجد ببطحاء السويقة بشارع بن مهيدي، على اليمين المتوجه نحو القنطرة القديمة، الواصلة بين المدينة ومحطة السكة الحديدية[4]، ويعد من أكبر وأجمل جوامع المغرب الإسلامي[5].

ذكره الحسن الوزان عندما زار قسنطينة في القون 10هـ/16م، بقوله: "...... ومتحضرة قسنطينة، ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة بالجامع الكبير ....."[6]، وكان وكان بيت الصلاة على شكل مربع، منبره مصنوع من الخشب، يقع على يمين المحراب، وفي مؤخرة المنبر نجد مسند على شكل قوس نصف دائري عليه كتابتين بالخط الكوفي جاء فيها: "بسم الله الرحمن صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما هذا عمل محمد بن بوعلي الثعالبي سنة ثلاثين وخمسمائة"، كما وجدت كتابة في الجدار الشرقي مفادها "بسم الله الرحمن الرحيم" عمل مناد (كلمات غير مقروءة) سنة خمس وخمسين و أربعائمة"[7]، ومن ومن العلماء والمشايخ الذين تولوا التدريس فيه نذكر: محمد المكي أبو طالبي ومحمد عيسى الشاذلي البوزيدي[8]، كما قضى الحسن الوزان معظم حياته مدرسا في مساجد قسنطينة. سيما

---

[1]- فيلالي عبد العزيز :الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص ـــ ص: 75ـــ73.

[2]-أنظر: ملحق رقم (03)، ص 167.

[3]- بومهلة تواتي: المرجع السابق، ص 110، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 43.

[4]- قشي فاطمة الزهراء: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية والثقافية (Crask)،ع 19-20،وهران، جانفي،جوان 2003م، ص22، بومهلة تواتي: المرجع السابق، ص 111.

[5]- التنسي:المصدر السابق، ص 52

[6]- الحسن الوزان: المصدر السابق ،ج2، ص56 .

[7]- دحدوح عبد القادر: المساجد والمدارس بمدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، مجلة دراسات تراثية، معهد الآثار،ع 03، الجزائر، 2009، ص 344.

[8]- غربي كمال: المرجع السابق، ص 94.

مسجد السيدة حفصة، وأسهم في إخراج العديد من تلامذة المدنية منهم، عبد الكريم الفكون الجد الذي تولى بدوره التدريس في هذا الجامع، وهو يعد من أشهر بيوتات قسنطينة[1].

كما عرفت المدينة مساجدا أخرى نذكر منها: مسجد سيدي الحسن بن مخلوف (ت 808هـ/1460م)، مسجد أبي عبد الله الصفار (ت761هـ/1359م)، مسجد سيدي النقاش برحبة الجمال، مسجد سيدي محمد أبو عبد الله الشريف[2].

وهكذا فقد لعبت المساجد دوراً هاما في تنشيط الحركة الثقافية في قسنطينة، حيث يعد مؤسسة هامة، لذلك حرص السلاطين على العناية بها، كما أوقفوا الأحباس الكثيرة عليها لقول أبو القاسم سعد الله[3]:"كان المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والإجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة".

ج-المدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية المستحدثة في العالم الإسلامي[4]، وأول مدرسة بنيت في العلم الإسلامي هي المدرسة البيهقية بنيسابور (أوائل القرن 5هـ/11م) وبعد هذا قام الوزير السلجوقي قوام الدين الطوسي ببناء المدرسة النظامية ببغداد سنة 457هـ/1065م[5].

ويبدوا أن ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي يكتنفه بعض الغموض، لتباين المصادر، وقد نقل الرحالة المغاربة الذين جابوا بلاد المشرق وترددوا على معاهده العلمية وأعجبوا بالمدارس النظامية التي عمت شهرتها من ذلك ما أورده إبن جبير في رحلته عام (582هـ/1186م) عن حاضرة العباسيين قوله: "..... والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي

1- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 37.

2- مباركية عبد القادر، طايبي زيد: المرجع السابق، ص 36،أنظر أيضا ترجمتهم في إبن مريم،أبو عبد الله بن أحمد التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908،ص – ص: 85-87.

3- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 246.

4- بوحسون عبد القادر: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)،(رسالة ماجستير)،إشراف لخضر عبدلي، قسم التاريخ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008م، ص 37.

5-المقريزي، تقي الدين أحمد: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الذخائر، القاهرة، 2002، ج2، ص 362.

كلها بالشرقية وما منها مدرسة إلا وهي يقصر البديع عنها وأنظمها وأشهرها النظامية وهي التي إبتناها نظام الملك،ولهذه المدارس أوقاف و عقارات محبسة ......"[1]، وهذا فيه إشارة إلى أن المدرسة مؤسسة نظامية ذات طابع تعليمي وا ٍداري ومالي ظهرت في المشر ق منذ القر ن 5هـ/11م ثم إمتدت إلى أنحاء العالم الإسلامي[2].

وأما فكرة إنتقال المدارس من بلاد المشرق إلى المغرب، فقد ربطوا ظهورها بالصراع بين أهل السنة والشيعة، إذ أستخدمت المدارس لتثبت الفكر السني والحفاظ عليه وتطويره، وا ٍنتشرت المدارس بعد ذلك في بلاد الشام ومصر ومن مصر إنتقلت إلى إفريقية والأندلس والمغرب[3]، وقد أشار إبن مرزوق إلى أن إنشاء المدارس في المغرب غير معروف[4].

وأول مدرسة ظهرت هي التي بناها يعقوب المنصور الموحدي في حدود سنة 593هـ/1196م، في مدينة سلا شمال الجامع الأعظم الذي شيد في عهده، وقد مهدت لظهور المدارس النظامية خلال القرن 7هـ/13م الذي شهد ظهور أول مدرسة نظامية في بلاد المغرب أنشأها أبو زكرياء يحي الحفصي (624هـ/1227م،647هـ/1349م) سنة (633هـ/1235م) عرفت باسم المدرسة الشماعية وقد توالى بعد ذلك بناء المدارس في إفريقية منذ النصف الثاني من القرن 7هـ/13م[5]، ثم ظهرت في المغرب الأقصى بقيام الدولة الدولة المرينية كمدرسة سبتة بنيت سنة (634هـ/1249م)، ومدرسة الصغارين (680هـ) شيدها يعقوب، ثم ظهرت في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي[6].

وا ٍنشاء المدارس في المغرب الأدنى ثم المغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط، هذا يعني إنتصار الإسلام السني بعد سقوط دولة الموحدين والعودة إلى المذهب المالكي في المغرب

---

[1]- إبن جبير، أبو الحسن البلنسي: رحلة ابن جبير ، دار صادر، بيروت، (د. ت. ن)، ص 205.

[2]- المصدر نفسه، ص 256.

[3]- صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني ، الجزائر، 2007، ص 136.

[4]- أنظر: إبن مرزوق ،محمد التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي السحن، تح ماريا خيسوس بيغيرا، تق محمود بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1981، ص 405.

[5]- عباس قويدر: المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين (8هـ/14م)، دورية كان التاريخية، ع18، دار ناشري، الكويت ، 2012، ص 86.

[6]-المرجع نفسه، ص.ن.

الإسلامي، ورد الاعتبارلعلمائه الذين تعرضوا للمضايقات وا بتلاءات من الموحدين، وهكذا شيدت المدرسة حتى تكون أداة للسلطة وذلك لتكوين الأطر والعلماء المختصين في المذهب المالكي، مع الاهتمام بتدريس مختلف العلوم والمواد الأخرى[1].

أما مدينة قسنطينة لم تكن أقل عناية بالمدارس، رغم صمت المصادر في هذا الباب، إلا أن مدارسها الإبتدائية كثيرة على العهد الحفصي، ورغم أن تطور إنشاء المدارس لا تؤكده لنا الإحصائيات فإن الذي يدرس كتاب مثل (منشور الهداية)، يدرك أن حالة المدارس لم تكن سيئة[2]، كما أفاد لنا الوزان أنه يوجد بها مدرستان[3] ولا نعلم أسماءهما، وتعد المدرسة بمثابة المعهد الذي يكمل فيه المتعلم مراحل تعليمه الأخرى. وقد أثبتت الإحصائيات أن عدد مدارس تلمسان في نهاية القرن التاسع هجري خمس على الأقل، ومن الممكن القول أن مدينة قسنطينة و بجاية قريب من ذلك[4]؛ ومعظم المدار س التي ورد ذكرها تنسب لبيوتات قسنطينة ومنها مدرسة إبن الخطيب (عائلة إبن قنفذ)[5]،حيث ذكر الشيخ محمد بن عبد الله الفر اوسني (كان حيا في سنة 860هـ/ 1455م)، في مؤلفاته أنه عاش في قسنطينة ودرس بهذه المدرسة[6].

وذكر إبن الفكون مدرستان هما: مدرسة إبن آفونس، عاش في القرن 10هـ/ 16م، ينتمي إلى عائلته مشتهرة بالعلم والتصوف[7]، ومدرسة الفكونيين تنسب هذه العائلة إلى أهم البيوتات العلمية في المدينة، وهي عائلة الفكون[8] التي عكفت على الإهتمام بالتعليم، وقد

---

[1]- رشيد خالدي: دور علماء المغرب الأوسط في إزدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين (7و8هـ/ 13-15م)، (رسالة ماجستير)، إشراف لخضر عبدلي، قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص31.

[2]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 275.

[3]-الحسن الوز ان: المصدر السابق، ج2، ص 56.

[4]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص45.

[5]-المرجع نفسه، ج1، ص102.

[6]-المرجع نفسه، ج1، ص ن.

[7]- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1987م، ص 48.

[8]- من أشهر البيوتات والأسر القسنطينية العريقة ذات الأصالة والعلم والصلاح، وسأتناول هذه الأسرة لاحقا.

جددوا بناءها وقاموا بتوسيعها وبناء قبتها، ويعود أصلها إلى جد جد إبن الفكون، وقد قدمت الكثير لتحصيل العلم والمعرفة لأهل قسنطينة[1].

وبذلك نقول أن المدرسة عبارة عن مؤسسة رسمية بنيت بإيعاز من السلطان الحاكم من ذلك ما قام به الأمير أبو زكرياء إبن الأمير أبي إسحاق مالك ببجاية وقسنطينة عام 684هـ/1285م حيث قام ببناء المدارس وا إقتناء الكتب لها، ومنها المدرسة الجديدة بقسنطينة التي أقام بها مسجدا وجلب لها الرخام الحسن، ورتب لها المساكن للطلبة، وأوقف عليها حبس وتولى أمورها، وعندما تولى إبنه أبو البقاء خالد سنة (709هـ/1284م) سار على نهج أبيه من حمل الكتب والإنفاق عليها[2].

وعليه فقدلعبت المدارس دوراً كبيرا في تنمية الحركة العلمية والفكرية، من خلال بناء المحاكم المستجيب لوظائفها التربوية والإجتماعية المتمثلة في إيواء الطلبة وتدريس العلم وا إقراء القرآن[3].

د-الزوايا:

تعتبر من المؤسسات العلمية الهامة في بلاد المغرب،[4] تطلق الز اوية على البناية ذات الطابع الديني الثقافي، تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلبة[5]، كما يسمح لهم أحيانا بالسكن فيها، ولهذا فقد كثرت الأحباس عليها لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه وقد أنشأ هذه الزوايا إما سلاطين أو أهل خير أو رجال الطرق الصوفية ومن أموالهم الخاصة[6].

وكان بمدينة قسنطينة العديد من الزوايا تقوم بتعليم القرآن والدروس العلمية والصلوات المكتوبة، وذكر الوزان إحتواء المدينة على ثلاثة أو أربعة زوايا[7] المنتشرة في هذه الفترة هي:

هي:

---

[1]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 41.

[2]- إبن قنفذ: المصدر السابق، ص 155، روبار برنشفيك: المصدر السابق، ج1، ص 376.

[3]- صالح بن قربة وآخرون: المرجع السابق، ص 141.

[4]- كمال السيد أبو المصطفى: المرجع السابق، ص 117.

[5]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان: المصدر السابق، ج1، ص 148.

[6]- كمال السيد أبو المصطفى: المرجع السابق، ص 117.

[7]- -الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 56.

-زاوية الملاّري: وهو صوفي، وهو جد المؤرخ العالم القسنطيني إبن قنفذ من أمه المتوفى سنة 764هـ/ 1362م، أسسها الشيخ "أبو يعقوب بن عمران البويوسفي" (ت747هـ/1346) واستمرت في النشاط إلى عهد ولده "يوسف بن يعقوب" (ت764هـ/1362م)[1] يبدو أن هذه الزاوية كانت وجهة للعلماء والفقهاء من مختلف أنحاء المغرب،وذلك يعود إلى إرتباطها بزاوية العباد المدينية بتلمسان، فقد كان الشيخ يوسف بن يعقوب الملاري (ت764هـ/1362م) كثير التردد على ضريح أبي مدين، وتقوم الزاوية الملارية بدورها على أكمل وجه، وفضلا عن كونها مركز ديني وعلمي في قسنطينة، فيمكن إعتبارها مركز السلطة داخل المدينة والواسطة بين أهل قسنطينة والسلطة الحفصية، هذا ما زاد من مكانتها لدى أمراء بني حفص،[2] وقد تأثرت قسنطينة كغيرها من حواضر بلاد المغرب بهذا العصر الذي ظهر في التصوف، إذا إنتقلت هذه الظاهرة من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب، واستقرت به ولا سيما العهد الموحدي ولعل الإعتقاد بالشيخ والالتفاف حول الزاوية والضريح إزداد لولوا إنتشارا في الأواسط الشعبية في القرن التاسع هجري، والخامس عشر ميلادي، وأصبحت بذلك الزاوية تنافس المسجد والمدرسة في نشر التعليم[3]، حيث ساهمت في تخريج العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفين[4].

ومن الزوايا المنتشرة في المدينة نجد: زاوية أبي هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي (ت 748هـ/1347م)[5]، بنيت هذه الزاوية في المكان الذي مات فيه الشيخ الهادي الذي كانت له علاقة مع البيت الملاري، حيث يورد إبن قنفذ قائلا: "دفن بالزاوية المعروفة بإسمه"[6]، وقد أسس العديد من الزوايا في بلاد إفريقية والمغرب، توفي في قسنطينة، وترك كل ما يملكه لطلبة العلم والمنقطعين للعبادة[7].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 55.

[2]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 56، إبن قنفذ: المصدر السابق، ص 20.

[3]- فيلالي عبد العزيز: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص 74.

[4]-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 267.

[5]-إبن قنفذ: الوفيات، تح عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983، ص 351.

[6]-إبن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث، الرباط، 1965م، ص 52.

[7]-المصدر نفسه، ص 53.

وكان للعائلات الكبيرة في قسنطينة زواياها الخاصة، مثل زاوية بني الفكون التي لعبت دوراً رئيسيا في نشر التعليم في قسنطينة وفي المغرب الأوسط، وزاوية ملارة لبني القنفذ وزاوية إبن نعمون، وأولاد جلول[1]، وزاوية سيدي عبد المؤمن[2]، وغيرها.

وبالتالي فقد إعتبرت الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم وتعميقه لدى شرائح المجتمع القسنطيني.

و -المكتبات:

مما لاشك فيه أن هذه المؤسسة العلمية ظهرت في قسنطينة كغيرها من حواضر العالم الإسلامي، حيث إهتم السلاطين بإنشاءها وتزويدها بالكتب الضرورية لكي تؤدي مهمتها على أكمل وجه، من ذلك أن الأمير الحفصي أبو زكرياء كان يعتني بإقتناء الكتب، كان بعضها في مكان خاص جعل عليه أمين من أهل الصلاح والعلم، وذكر أنه ترك في قسنطينة أكثر من 33 ألف سفر من الكتب[3]. والمكتبات نوعان عامة مفتوحة لجميع الطلبة خصوصا ثم لجميع المسلمين القراء، وهي ملحقة بالمسجد والمدارس والزاوية، أما النوع الخاص فقد إشتهرت به العائلات المشهورة، وهي كثيرة نذكر منها: عائلة الفكون، إبن باديس، وعبد المؤمن، وحتى الأسر التي لا تتحلى بالثقافة والمعرفة إحتفلت بتكوين خزائن ضخمة من الكتب[4].

وقد زاد في إثراء المكتبات هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب وا فريقية حاملين معهم مكتباتهم ومصنفاتهم[5]. وبذلك تكون المكتبات قد لعبت دورا هاما في إنعاش الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة.

وخلاصة القول أن أهل قسنطينة كغيرهم من الحواضر المغربية الكبرى اعتنوا بالمؤسسات التعليمية والدينية، فشجعوا البحث والتأليف ونسخ الكتب، و أنشأوا المدارس و المساجد والزوايا والمكتبات العامة وتوفير الكتب لها، والخاصة في المنازل.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 265.

[2] -بنيت له زاوية سميت بإسمه نظرا لمكانته الدينية وكثرة أتباعه، وقد حددها صالح خوجة بن مصطفى الذي تزوج من أسرة عبد المؤمن سنة 1185م، أنظر: المرجع نفسه، ج1، ص 264.

[3] -مباركية عبد القادر، طايبي زيد: المرجع السابق، ص 38.

[4] - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 97.

[5] - مريم بوعامر: المرجع السابق، ص 47.

2-نظام التعليم (طرقه ومقرراته):

يعد التعليم من العوامل الأساسية التي تدفع عجلة الحركة الفكرية نحو التقدم والتطور والإزدهار، وترقية العلوم والآداب ونشر الثقافة والعلم بين أفراد المجتمع وترقيته سلوكيا وحضاريا[1]، كونه الأساس لأي تقدم في المجتمع الإنساني[2].

والتعليم في مدينة قسنطينة مر بثلاثة مراحل كما هو الشأن في الحواضر المغربية الأخرى.

ففي المرحلة الأولى، يذهب التلميذ إلى المدرسة أو الكتاب في سن السادسة يتعلم فيها فن القراءة والكتابة وحفظ القرآن والحديث وبعض القواعد العامة والخط.

وفي **المرحلة الثانية** كان الطلبة يدرسون قواعد النحو والأدب والفقه وروايات القرآن لتمكنهم هذه المواد من بلوغ مستوى ثقافي وتعليمي معتبر يمكنهم من الوقوف عند معرفة تعاليم الدين وأصوله والإلمام بالعلوم الإنسانية .

ثم تأتي **المرحلة الثالثة** التي يتلقى فيها الطالب العلوم الدينية بشيء من التعمق والتوسع بعلوم التفسير وفن القراءات والتوحيد والحديث ومختلف العلوم الاجتماعية في ذلك الوقت كالأدب واللغة والفلسفة والتاريخ وغيرها، يتلقى الدارسون علمهم في المدارس القسنطينية وفي المسجد الكبير والمسجد الأعظم بالقصبة[3]، ومن يستزيد من مناهل هذه العلوم والإجازة[4] فيها. ينتقل إلى جامعة الزيتونة والقرويين والجامع الأزهر بمصر، وهو الأمر الذي سهل على طلاب العلم الانتقال من بلد إلى آخر سعيا وراء المعرفة وأصبحت بذلك الرحلة في طلب العلم[5] من التقاليد الراسخة عند المسلمين جميعا، وهناك نماذج كثيرة على ذلك.

---

[1]- عبد العزيز فيلالي تلمسان، المرجع السابق، ج1، ص 338.

[2]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 313.

[3]-عبد العزيز فيلالي: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص-ص: 77-78.

[4]هي بمثابة الشهادة التي يسلمها الأستاذ إلى طالبه أو مستجيره، وهي إذن شخصي من طرف الشيخ، فكان هدف طلاب العلم من خلال الرحلة هو الحصول على الإجازات في مختلف العلوم، وهناك أمثلة كثيرة، وعادة ما ترتبط الإجازة إرتباطا وثيقا بعلم الحديث، لما لها من أهمية في حفظ رواياته، أنظر: الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج1، ص 16، أنظر أيضا: القلصادي، أبو الحسن علي: رحلة القلصادي، تع محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، تونس، 1985، ص 119.

[5]- أنظر: إبن خلدون: المقدمة، المرجع السابق، ص 605.

وقد صنف إبن خلدون[1] التعليم إلى صنفين هما: **التعليم الشعبي العام** الذي بدأ مع الفاتحين الأوائل بحيث كانوا فاتحين ومعلمين في نفس الوقت، الذين بذلوا جهودا كبيرة لترسيخ الإسلام في نفوس أهل المغرب، وتلقين أهل المدن المفتوحة اللغة العربية لكونها لغة القرآن الذي يبحث على العلم، وأصبح هو أساس التعليم، وهذا الصنف موجه لعامة الناس، وكان يلقى في المساجد والكتاب وغيرها، فهو ضمان الحد الأدنى من المعارف الدينية التي يجب على المسلم تعلمها ومعرفتها من الشعائر الدينية[2]، وفي هذا الصدد يقول إبن خلدون: "يكون فكر الإنسان راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء يبلغونه للناس، فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعمله"[3].

وقد أثر هذا النوع من التعليم على مناهج وأساليب **التعليم الإحترافي** وهو الصنف الثاني من التعليم الذي عده إبن خلدون من جملة الصنائع المعاشية[4]، ووضح إختلافه عن التعليم الشعبي العام، وهذا الصنف هو موجه إلى النشأ، الذين تتراوح أعمارهم ما بين السابعة والعشرين سنة في الغالب، بحيث يعتمد على اللغة العربية الفصيحة، ويهدف إلى تكوين المتخصصين الذين يمكن الإعتماد عليهم لتولي المناصب العلمية، بعد قيامهم بالرحلة إلى حواضر العالم الإسلامي، فيتولون التدريس وا دارة المجالس وتولي المناصب والخطط الإدارية للدولة، ويكون عمره حوالي ثلاثين سنة[5].

أ-طرق التدريس:

بالنسبة لطريقة التدريس في هذه الفترة، فيبدوا أنها إختلفت من مدرسة إلى أخرى ومن شيخ إلى آخر، باختلاف المدارس الفكرية والعلمية التي تعلم فيها علماء ذلك العصر، ويمكن أن نجملها في طريقتين هما:

1- المصدر نفسه، ص 542.

2- عبد العزيز فيلالي: تلسمان، المرجع السابق، ج1، ص 341.

3- إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 543.

4- المصدر نفسه،ص ن.

5- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، المرجع السابق،ج1،ص 343،الحسن أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط الوسيط (1-9هـ/ 7-15م)، معهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004، ص 15.

. الطريقة التقليدية: تعتمد على أسلوب الإلقاء والشرح والتلقين، وهو ما كان سائداً في المدارس المغربية ويكون دور الطالب هنا سلبيا، بحيث كان الإعتماد على الحفظ و الذاكرة في هذه الفترة بشكل كبير[1].

. طريقة المحاورة والمناقشة: تعتبر طريقة حديثة في ذلك الوقت يعتمد فيها على الحوار (سؤال وجواب) وهي من الطرق الأندلسية التي إنتقلت إلى بلاد المغرب، بحيث يتم إدراج الطالب في الحوار والتحليل والبحث والتعليل[2].

وقد إنتقد إبن خلدون الطريقة الأولى بقوله: "فنجد طالب العلم سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم..... نجد ملكته قاصرة"[3]، أما الطريقة الثانية فقد فضلها إبن خلدون نظرا لما لها من إيجابيات في تحصيل العلوم.

وحصة الدرس في هذه الفترة كانت غير محدودة، من وقت الفجر إلى وقت صلاة العصر، وهي المدة الزمنية اليومية المقررة للدراسة، ويستريح الطلاب يومين في الأسبوع يوم الخميس ويوم الجمعة[4].

ب-مقرراته:

كان الطالب يقوم بحفظ الكتب مقررة عليه، لأشهر العلماء والفقهاء والأدباء، وتنوعت هذه المواد منها، كتب مشرقية وأخرى مغربية وحتى أندلسية ومن هذه الكتب نجد:

-كتب تفسير القرآن: نذكر منها كتاب "**الكشف والبيان**" (لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي) "**أحكام القرآن**" (الطبري)، "**الوجيز في شرح كتاب الله العزيز**" (لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي)، وغيرها[5].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق ، ص 82.

[2]- المرجع نفسه، ص ن، أشار إليها أيضا: الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، ط2، 1979، ص 28.

[3]- إبن خلدون: المقدمة: المصدر السابق، ص 545.

[4]- عبد العزيز فيلالي: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص 82.

[5]- أنظر الغريني: المصدر السابق، ص 26.

-كتب الحديث: نجد كتاب "**الموطأ**" (للإمام مالك بن أنس)، "**جامع البخاري** "(محمد بن إسماعيل البخاري)، وكذلك "**مسند مسلم**" (المسلم بن الحجاج) و"**سنن أبي داوود**" و "**جامع الترميذي**"، "**جامع النسائي**" ....إلخ[1].

-كتب الفقه: ككتاب"**المدونة والمختلطة**" لسحنون (عبد السلام بن سعيد)، كتاب "**الطرطوشي**"، كتاب "**التبصرة**" (لأبي الحسن اللحمي)، كتاب "**التهذيب**" (لأبي سعيد البراذعي)، "**كتاب عبد الله بن الحكم**" وغيرها.

-أما كتب اللغة العربية: فهي كثيرة نذكر منها: كتاب "**سبويه**"،كتاب"**الجمل**" (للزجاجي)، كتاب "**العقد الفريد**" (لإبن عبد ربه)، "**ديوان**" (أبي العلاء المعري)، "**الكامل**" (للمبرد)، "**البيان والتبيين**" (للجاحظ).

-كتب التصوف والتذكير: كرسالة "**القشيري**" (للقشيري)، "**رسالة فضل مكة**" (لأبي سعد الحسن البصري)، كتاب "**أبي الفرج الجوزي**".

-كتب علم أصول الدين وأصول الفقه: كتاب "**الإرشاد**" لأبي المعالي، كتاب "**المسند الكبير**" للإمام أحمد بن حنبل[2].

هذا فيما يخص العلوم الدينية، أما العلوم الأخرى المقررة للدراسة تشمل: الفلسفة، الطب، المنطق، الفلك، الحساب، غير أنها تعتبر أقل شأنا من العلوم الدينية، كون هذه الأخيرة كانت تحتل الصدارة في هذه الفترة، وقد خصص علماء قسنطينة العديد من المصنفات، ودونوا المسائل الفقهية، وتناولوا بالشرح والتحليل والتعليق على مشاهير الكتب في بلاد المشرق والمغرب والأندلس[3].

وخلاصة القول أن هذا المناخ الثقافي الجيد ساهم في ظهور أسر وبيوتات من مدينة قسنطينة، التي حملت بدورها مشعل العلم والفكر والثقافة العربية الإسلامية، وسنفصل فيها فيما يأتي.

---

[1]- أنظر: إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 551.

[2]- أنظر الغريني: المصدر السابق، ص - ص:27 - 28.

[3]- عبد العزيز فيلالي: أبرز علماء، قسنطينة، المرجع السابق، ص 14.

الفصل الثاني :

بيت الفكون ودوره الثقافي والسياسي بمدينة قسنطينة

أولا:التعريف بالبيت الفكوني.

ثانيا:علماء البيت الفكوني وا إسهاماتهم الفكرية.

ثالثا: علاقة أسرة آل الفكون بالسلطة الحاكمة(دورها ومكانتها سياسيا).

شهدت مدينة قسنطينة نهضة علمية وثقافية في عهد بني حفص، كغيرها من الحواضر المغربية الإسلامية، فقد عرفت ظاهرة البيوتات التي بدأت مع العهد الموحدي، وكانت المحرك الأساسي لعجلة الحياة الفكرية والثقافية، ومن بين هذه البيوتات التي حملت على عاتقها مسؤولية نشر العلم داخل المدينة وخارجها، بيت آل الفكون، الذي يعد من أشهر العائلات وأقدمها في المدينة، كما يعد صرخة في وجه الفساد توارث أفراده العلم والصلاح، وأصبحت مكانتهم مرموقة في المجتمع، فقد ساهموا في شتى المجالات، وطوروا المدينة بأفكارهم، ووصلت شهرتهم إلى المغرب و الأندلس وحتى المشرق .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان لها دور سياسي كبير من خلال المناصب التي حصلت عليها، هذا ما يوحي بالصلة الوثيقة للبيت الفكوني مع السلطة الحاكمة في ذلك الوقت ابتداءا بالموحدية ثم الحفصية ثم العثمانية، ومع هذه الأخيرة برزت الأسرة بشكل كبير وفعال، وفيها لقب رجالها بشيوخ الإسلام.

ولا:التعريف بالبيت الفكوني[1] :

أ_ الأصل والنسب:

تعتبر عائلة الفكون من العائلات العريقة بقسنطينة، بيت علم وأدب ورئاسة ودين، توارث أبناؤها المجد والسؤدد منذ دهر طويل وقرون متتابعة بالجزائر[2]، تنتسب هذه الأسرة إلى إحدى القبائل العربية وهي تميم،هذا ما يراه كثير من المؤرخين وأفراد عائلة الفكون ومن ثم فهي من العائلات العربية العريقة، لكن أحد المؤرخين وهو عبد القادر الراشدي في كتابه (عقد الآلي المستضيئة لنفي ظلام التبليس) والذي توفي سنة 1194هـ/1780م، ذكر أن أصل عائلة الفكون يعود إلى بلدة فكونة في جبل الأوراس[3]، هذا ما يرفضه أبناء الأسرة بشدة ويقولون أن إنتسابهم إلى هذه القرية بسبب إستقرار أحد أجدادهم بها، فقد جاء أربعة إخوة من الجزيرة العربية وا إستقروا بالمغرب الأوسط، الأول عبد الرحمن وقد إستقر بفكونة بأوراس والثاني محي الدين بعين الصفراء، ويقال أن البيض سيدي الشيخ سميت عليه، أما محمد فقد إستقر بقسنطينة وتوفي الرشيد مباشرة بعد وصوله[4]، ويضيف الفكون صاحب "منشور الهداية " أن جده من قبل أمه كان من الأشراف الحسينيين، وكان قد تولى في قسنطينة وظيفة مزوار الشرفاء ولكننا لا نعلم إن كان جده لأمه من عائلة الفكون أيضا أو من فروع أخرى، فإذا كان منها فإن العائلة كلها شريفة حسنية[5].

ونستشهد بشأن نسب هذه العائلة بأقوال بعض المؤرخين خاصة الرحالة ، منهم العبدري الذي ذكر نسب هذه العائلة من الحفصيين الأشراف[6].

ب- النشـــــأة:

---

[1]- أنظر: ملحق رقم(04)، ص 169 .

[2]-حسين بوخلوة: عبد الكريم الفكونالقسنطيني حياته وآثاره (988هـ-1073م/ 1580-1663م)، رسالة ماجستير، إشراف، الجيلالي سلطاني، قسم الحضارة الإسلامية،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران ، 2009/2008م، ص72.

[3]- أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص43، أنظر أيضا: سليمان الصيد، المرجع السابق، ص21.

[4]- حسين بوخلوة: المرجع السابق، ص72.

[5]-أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكون: المرجع السابق، ص43.

[6]- العبدري: المصدر السابق، ص59.

ولعل أقدم شخصية من أسرة الفكون ذكرتها المصادر التاريخية هي شخصية حسن بن علي الفكون القسنطيني الذي كان حيا سنة (602هـ/1205م)[1]، قال عنه الغبريني في ترجمة له: "أصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها، ومن كريم أرومتها"[2]، والأرومة هنا يقصد بها الأصل الشريف وهذا دليل على أن أصول هذا البيت سابقة لحسن بن علي، بمعنى سابقة بكثير إلى الفترة التي عاش فيها جدهم هذا.

يعد الشيخ أبو علي حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني من أشهر العلماء في هذه الأسرة، فقد توارث أفراد عائلته العلم عنه مدة تزيد عن سبعة قرون من الزمن[3]، وهو بذلك يعد أقد شخصية فكونية، وبروزه هو بداية ظهور هذه الأسرة.

أكد لنا الغبريني مكانته العلمية بقوله: "هو من الفضلاء النبهاء، وكان مرفع المقدار، ومن له الخطوة والإعتبار، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة أود، أو إصلاح حال"[4].

ويضيف المقري قائلا: "سلالة العلماء الأكابر، ووارث المجد كابرا عن كابر" وهو يقصد عبد الكريم الفكون صاحب" منشور الهداية"، ثم يذكر أن: "له سلف علماء ذو شهرة، ولهم في الأدب الباع المديد..."[5]، هذا تأكيد على أن أفراد هذا البيت عرفوا بنباهتهم وعلمهم الأمر الأمر الذي زاد شهرة.

إشتهر بالشعر حتى قيل عنه شاعر المغرب الأوسط في وقته، لقول برنشفيك،: "في عهد أبي زكرياء برز الشاعر أبو الحسن بن الفكون الذي ينتمي إلى عائلة ماجدة من

---

[1]- بشأن تاريخ الوفاة لم نعثر في كتب التراجم على تحديده، وكل ما ذكر أنه كان حيا سنة 602هـ، وأنه توفي بعد هذه السنة، لكن وجدنا في كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "لصاحبه الإمام الذهبي" بقوله: "إتقاد العلم إلى بنانه، ...... لقيته ببجاية، ومات على رأس الثلاثين، وله نيف وستون سنة" وهذا يعني سنة وفاته 360هـ/970م. أنظر: شمس الدين الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (521هـ -630هـ) ، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 1998، ج45، ص 386.

[2]-الغبريني: المصدر السابق ، ص 334

[3]- بوكريدمي نعيمة:البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها الثقافي، مجلة عصور جديدة، ع 18، جامعة وهران، الجزائر، 2015، ص80.

[4]-الغبريني: المصدر السابق، ص334.

[5]-المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط)، 1988م، ج2، ص- ص: 480-482.

قسنطينة"[1]، فقد كان أديبا وفقيها،غز ير النظم والنثر، وهو ما أكده الغبريني: "أنه من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم و وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر"[2]، له ديوان شعر وهو: "موجود بين أيدي الناس، ومحبوب بينهم..."[3].

ومن روائع شعره قصيدة يصف من خلالها مدينة الناصرية (بجاية)[4]، ويعلي مكانتها فوق بغداد مستعذبا جمال طبيعة فيها[5].

وأشار المقري[6]إلى أنه أحد أشياخ العبدري، هذا الأخير الذي زار قسنطينة، وا إلتقى بالشيخ أبي علي حسن بن بالقاسم بن باديس، وسأله عن الأديب أبي علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني، وذكر له أنه أدركه وهو طفل صغير ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة[7].

إشتهر برحلته من قسنطينة إلى مراكش، والتي نظمها في قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب، وهي من در النظام وحر الكلام[8]، التي ذكر فيها المدن والبلاد التي مر بها، مادحا أصحاب المكارم السامية والعزائم القوية[9].

يقول في وصف رحلته في قصيدة، كتب بها إلى أبي البدر بن مردنيش وهو بقسنطينة:

ألا قلْ للسري بن الســـويِّ	أبــي البــدر الجـواد الأريحي ّ
أيــا معنى السيادة والمعــالي	ويا بحــر النـّـدى بدر النديّ
أما وبحقّك المبدي جــلالاً	وما قد حزتُ من حسبٍ عليٍّ
ومــا بيني وبينك من ذِمامٍ	وما أوتيتَ من خلق رضــيٍّ

---

[1]- برنشفيك: المصدر السابق، ج2، ص146.

[2]- الغبريني: المصدر السابق ، ص 334.

[3]- السملالي العبّاس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، رج عبد الوهاب ابن منصور ، دار الغولاص، الرباط، ط2،1997م، ج3 ، ص138.

[4]- يقول فيها: دع العراق وبغداد وشامها فالناصرية ما إن مثلها بلدُ

بر وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكدُ

أنظر: الغريني: المصدر السابق، ص334.

[5]- بلمداني نوال: عرض رحلة أبو علي حسن بن الفكون إلى مراكش، محاضرة ألقيت بقسطينة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، بتاريخ 27 و 28، نوفمبر 2016،(س 10:45-11:00) ، د.ص.

[6]- المقري: المصدر لسابق، ج2، ص 482.

[7]- العبدري: المصدر السابق، ص59.

[8]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص 483.

[9]- فيلالي عبد العزيز: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص 24.

لقد رمت العيون سهام غنج ... وليس سوى فؤادي من رمي[1]

فحسبك نار قلبي من سعير ... وحسبك دمع عيني من أتي

وكنت أظن أن الناس طرا ... سوى زيد وعمرو غير شيء[2]

فلما جئت (ميلة) خير دار ... أمالتني بكل رشا أبي[3]

وكلورت ظباء (بني ورار) ... وأرق الشوق بالبريق الشهي

وجئت (بجاية) فجلت بدورا ... يضيق بوصفها حرف الروي[4]

وفي أرض (الجزائر) هام قلبي ... بمعسول المراشف كوثري

وفي (مليانة) قد ذبت شوقا ... بلين العطف والقلبي القسي[5]

وفي (تنس) نسيت جميل صبري ... وهمت بكل ذي وجه وضيء[6]

وفي (مازونة) مازلت صبا ... وبي سدانن المحاجر ولا ذعي

وفي (وهران) قد أمسيت رهنا ... لظامي الخصر ذي ردف روي[7]

وأبدت لي (تلمسان) قدودا ... جلبن الشوق للقلب الخلي[8]

ولما جئت (وجدة) همت وجدا ... بمخنث المعاطف معنوي

وحررشا (الرباط) شاربا طي ... ويتمنى بطرف بابلي

---

[1]- قال أهل اللغة الغنج الدال على حسن الشكل فقوله: لقد رمت العيون سهام غنج غير ملائم. وقائله لا يسلم من لائم ولا يحسن في الأدب خطاب ذوي الرتب بمثل قوله: فحسبك نار قلبي من سعير وإذا نعني على أبي الطيب المتنبي قوله "طويل": كفى بك داء إن ترى الموت شافيا، أنظر: العبدري: المصدر السابق، ص 61.

[2]- العبدري: المصدر السابق، ص 61، أيضا: إبن القاضي ، أحمد المكناسي(ت 1025هـ/1615م): درة الحجال في أسماء الرجال، تح محمد الأحمد بن أبو النور دار التراث القاهرة، (د. س. ن)، ج1، ص 236.

[3]- ميلة: بالكسر ثم السكون، ولام: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وبينها وبين قسنطينة يوم واحد، أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 244.

[4]- بجاية: مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين إفريقية والمغرب، أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص 339.

[5]- مليانة: مدينة في آخر إفريقية، بينها وبين تنس أربعة أيام وهي مدينة رومانية قديمة، أنظر: المصدر نفسه، ج5، ص 196.

[6]- تنس: مدينة بينها وبين البحر ميلان، وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب بينها وبين وهران ثمانية مراحل، أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 48.

[7]- وهران: مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، أنظر: المصدر نفسه، ج5، ص 385.

[8]- تلمسان: بعضهم يقول تنمسان بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة إسمها تافرزت، والقديمة أقادير، أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 44.

و أطلع قطر (فاس) لي شموساً	مغاربهن في قلب الشجي[1]
وما (مكناسة) إلا كلنس	لأي الطرف ذي حسن سني[2]
وا إن تسأل عن أرض (سلا) ففيها	ظباء سائدات للكمي[3]
وفي (مراكش) ياويح قلبي	أنني الوادي فطم علي القوي
دوير بل شموس بل صباح	بهي في بهي في بهي
فها أنا قد أتخذت الغروب داراً	وأدعى اليوم بالمراكشي
على أن إشياقي نحوزيد	كشوقي نحو عمر و بالسوي
يقاسمني الهوى شرقاً وغرباً	فيا للمشرقي المغربي
لقلبي بأرض الشرق عان	وجسم حل بالغرب القصي
ولولا للهمت هوى ووجدا	وكم لله من لطف خفي[4].

علق على هذه القصيدة العبدري في رحلته المشهورة[5]، وهذه القصيدة تدل على مكانته الأدبية الأدبية كونه يعد من فحول الشعراء الذين تستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم[6]، كما ذكر هذه القصيدة الحفناوي، وتطرق إلى ما جاء في كتاب "نفح الطيب" لصاحبه المقري أورد: "أن العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني أحد أشياخ العبدري صاحب الرحلة قصيدة (تقدم ذكرها) مشهورة عند العلماء بالمغرب وهي من در النظام وحر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي شاهدها في إرتحاله من قسنطينة إلى مراكش، وذكر كذلك أنه كان

---

[1]- فاس: إحدى المدن المغربية المشهورة، كانت في القديم مهداً للثقافة الإسلامية، وبها جامع القرويين وقد جعل منها كعبة لرواد العلم من أنحاء المغرب، أنظر: المصدر نفسه، ج4، ص230.

[2]-مكناسة: مدينة بالمغرب في بلاد البربر الأعظم، بينها وبين مراكش أربعة عشرة مرحلة نحو المشرق، وهي مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصن جواد، أنظر: المصدر نفسه، ج5، 181، أنظر أيضا: أبو الفداء، المصدر السابق، ص 145.

[3]-سلا: مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور، أنظر: ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج3، ص 231.

[4]-إبن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص 238، إبن القاضي،أحمد المكناسي (ت1025هـ/1616م): جذوة الإقتباس في في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1393هـ/1973م، ص 184.

[5]-العبدري: المصدر السابق، ص- ص: 62 -63.

[6]-الغبريني: المصدر السابق، ص 334.

من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم، وله ديوان شعر، وهو في أيدي الناس محبوب عندهم"[1]، ويبدوا أن الحفناوي نقل هذا الكلام من ترجمة الغبريني.

ومن قصائده كذلك نجد القصيدة القافية القطعة الميمية التي نظمها في بعض سادات بني عبد المؤمن، في وصف جمال قصر الربيع يقول :

عشونا إلى نار الربيع وإنما   عشونا إلى نار الندى والمحلَّقِ

ركبنا إليه جِيد زلدوَ راقٍ   نزلنا إليها عن ضوامر سُبَّق

وخضنا حشــاه والأصيل كأنــه   بصفحته تبــدى مروَّق زنـــبق

وسيدتا قـــد صار فيه لأنــــه   بـزورقه إنسان مُـقْـلـة أزرق

ولما نزلنا ساحة القصر راعـنــــا   بكل جمال مُـبهج الطرف مرتـق

فيا حسن ذاك القصر لازال ءاهلاً   ويـــا طيب رايَّنشرِ ه المتنشِـق

رتعنا به في روضة الأنس بعدما   هصرنا به غصن المسرَّة مورِقِ

ويضحكنا طول الوصـــال وربمـا   يمُـر على الأوهام ذكر التفرق

فتضحي موصونات الدموع هدالة   ونحن على طرف الدهر أبلـــق

لمثلـــهما مــن منـــزه ونزاهـــة   يجُـر ذيــول الــذل كل موقَّق

خــلعنا عليها النسك إلا أقلَّــ   وإن عاودتَ نْخلعْ عليها الذي بقي[2]

وقد أورد الغبريني أن امرأة تسمى عائشة إبنة الفقيه أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسيني، كانت أديبة، فصيحة، ومما كتبته:

أخذوا قلبــــي وسلوا   وإشْـــتياقي أودعـــنِي

لا غــــدا إن لم يعــودوا   فأعذروني أوْ دعوني

ويقال أنها أرسلت بهما إلى إبن الفكون شاعر وقته، طالبة منه أن يعارضها أو يزد عليها فكتب إليها،معتذراً من أن الإقتصار هو الصواب[3].

---

[1]- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906، ج2، ص ـص:125 -126، المقري: المصدر السابق، ج2، ص 482.

[2]- الحفناوي المرجع السابق،ج2، ص129، أنظر أيضا: الغبريني: المصدر السابق، ص 335.

[3]- المصدر نفسه، ص- ص:47 - 48.

وعليه يمكن القول أن البيت الفكوني يعد من أشهر وأقدم العائلات التي كانت لها مكانة في المجتمع، ظلت محل إهتمام العلماء والباحثين، وأنجبت عددا من العلماء الذين نشطوا الحركة العلمية بالمدينة.

ثانيا: علماء البيتالفكوني وإسهاماتهم الفكرية:

كانت أسرة الفكون تتمتع بإحترام الجميع، وذلك يعود إلى الروابط الوثيقة التي كانت تتمتع بها سواء مع السلطة أو المجتمع، فقد برزت في جوانب عدة خاصة الجانب العلمي، حيث خلفت هذه العائلة عددا من العلماء الأفاضل في شتى العلوم والتخصصات، ومن أفراد هذه الأسرة نذكر:

1-أبو علي حسن بن علي بن الفكون القسنطيني (ت بعد سنة 602هـ/1205م).

2-عبد الرحمن الفكون (عاش في القرن 9هـ/15م).

3-محمد شقرون بن حليمة (عاش في القرن 9هـ/ 15م).

4-أبو زكرياء يحي بن محمد الفكون (ت 941هـ/ 1534م).

5-أبو الفضل قاسم بن يحي بن محمد بن الفكون (ت 965هـ/ 1575م).

6-عبد الكريم الفكون الجد (ت 988هـ/ 1580م).

7-أبو عبد الله محمد الفكون (ت 1045هـ/ 1635م).

8-عبد الكريم الفكون الحفيد صاحب "منشور الهداية" (ت 1073هـ/ 1162م)[1].

وكنا قد تناولنا سابقا ترجمة أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني وذلك لأنه أول عالم في هذه الأسرة، ولكونه الشخصية لأقدم التي ذكرتها المصادر في عائلة الفكون، ونحاول الآن التعرف على ترجمة لباقي العلماء مع إبراز مكانتهم العلمية.

1-عبد الرحمن الفكون (عاش في القرن 9هـ/ 15م):

وهو الذي ذكره عبد الكريم الفكون في (منشور الهداية) فيمن إدعى العلم والولاية بقوله: "الجد العبد الفقير إلى الله"[2]، وقال عنه كذلك "كان من الصالحين وهو مدفون في زاويتهم القديمة التي آلت إلى عائلة إبن نعمون"[1].

---

[1]- بوسطلة راضية: خزائن المخطوطات أعلام مدينة قسنطينة (خزانة عائلة الفقون القسنطينية_ دراسة حالة_)، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة -2-، قسنطينة،(د.س.ن)، ص 8.

[2]-وهو يريد بذلك أنه كان من الزهاد الصلاح، أنظر: أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 39.

2-محمد شقرون بن حليمة (عاش في القرن 9هـ/ 15م):

وهو جد جد عبد الكريم الفكون (ت 988هـ/ 1580م) لأمه، كان من علماء وصلحاء مدينة قسنطينة لقول عبد الكريم الفكون في "منشور الهداية":"كان من الصلحاء وممن عمّر، وظني أنه صاحب الدعوة من الخضر عليه السلام، حتى سمعت من الوالد أنه من غيره من الأسلاف"[2].

غير أن الفكون لم يعطي لنا تفصيلا عن أجداده[3]، ولم يشر إلى تواريخ حياتهم، بحيث لم نعثر على معلومات تشير إلى ترجمتهم، وذلك يعود إلى صمت المصادر، أما عن مكان وفاته، فقيل دفن في رحبة قسنطينة المسماة "بآكدال"[4]، ويعود إليه الفضل في بناء مدرسة الأسرة التي دفن فيها الشيخ عبد الكريم الفكون الجد كما هو مبين في هذا النص: "وهي (أي مدرسة) في الأصل محدثة البناء لجده سيدي محمد شقرون، دفين رحبة البلد، وكان من الصلحاء وممن عمّر[5].

3-أبو زكرياء يحي بن محمد الفكون (ت 941هـ/ 1534م):

قال عنه عبد الكريم الفكون في "منشور الهداية": "كان من العلماء المتقنين تصدر للإفتاء في زمن مشيخة أكابر وله اليد الطولى في الفقهيات، وممن يعرف المدونة"[6]، وله حاشية ضمنها نوازل ووقائع قلما يوجد في المطولات، وهي مسودة بخط يده[7]، وكان من شيوخه الشيخ العواد (عاش في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م)، والذي كان قاضي الجماعة بتونس[8].

ومن المقربين للجد كذلك نجد أبو عبد الله محمد بن آفانوس (ت قبل 965هـ/1557م) كان فقيها عالما ذا مال وجاه، إشتهر بالعلم والولاية له، صاحب مدرسة

1-عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص70.

2- المصدر نفسه: ص،ص: 28، 47، 50، أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 39.

3- المرجع نفسه، ص 39.

4- عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 50.

5- المصدر نفسه، ص_ص: 50-51-54 .

6- المصدر نفسه، ص،ص:41 ،43.

7- بوسطلة راضية: المرجع السابق، ص8، أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 40.

8- عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 42.

سميت بإسمه، وكانت له علاقة وثيقة بالجد، لكنها لم تدم طويلا حسب قول عبد الكريم الفكون[1]. وقد كان أبو زكرياء حريصا طالبا للعلم، ودليل ذلك قصته مع تأليف إبن القاسم بن أحمد البرزلي[2] (ت 844هـ/ 1440م)، وهو الوحيد الذي يملك نسخة منه، حيث طلب قاضي الجماعة في قسنطينة وهو (إبن عبد الرفيع9هـ/ق15م) من الشيخ عمر الوزان (ت 960هـ/1557م)[3]بأن يتوسط له عند الشيخ الفكون لإعارته تأليف البرزلي، فأعاره الجدّ له لمدة لاتزيد عن ثمانية أيام، ثم عاد إبن عبد الرفيع وطلب بنفسه إعارة التأليف من الفكون، فأعاره الشيخ الفكون إياه، وما زال القاضي كذلك دأبه مع الكتاب، حتى أكمل كتابة الكتاب كله بأسفاره الأربعة عن طريق الإعارة والرد، وبعد ذلك ظهرت نسخة أخرى بالبلد بخط القاضي إبن عبد الرفيع، ووصل الخبر للشيخ الفكون الجد، فغضب وأرسل الشيخ الوزان وحدثه بالأمر وذكر له أن الواقع لا يليق لأن أصل الإعارة للمطالعة لا للإستنساخ، فإعتذر الشيخ الوزان له وأكد له أنه لا علم له بذلك ولم يكن في ظنه إلا المطالعة فقط، ولما سمع القاضي إبن عبد الرفيع الحفيد بذلك، أرسل للجد بما إستنسخه وطلبه في أن يقبل منه ذلك ويردّ له النسخة الجديدة، أو يحتفظ بالنسخة عنده، فردّ الجد له نسخته وأعطاها إياه عن قبول وتر اض بينهما[4]، هذا ما يدل على المنافسة على طلب العلم والرغبة في تحصيل الكتب الكتب النادرة وا ٍقتنائها في زمانهم.

خلف أبو زكرياء الشيخ الزندوي (ت 941هـ/ 1534م) في تولي الإمامة بجامع الزيتونة بتونس ثم إستقل بالإمامة، وتزوج بحفيدة البرزلي، وله بنت منها[5]، ويعد زواجه هذا، مصاهرة للبيوتات العلمية، للحفاظ على مكانته ومكانة أسرته الاجتماعية، وبذلك حرست البيوتات العلمية بمختلف أصنافها على أن تكون علاقاتها منصبة على المحافظة على تفوقها، وعلى عراقتها بالمصاهرة في البيوتات العريقة مثلها، من أجل أن تحافظ على

[1]- المصدر نفسه، ص-ص: 38-40.

[2]- من تآليفه الحاوي في الفتاوي، أنظر: المصدر نفسه، ص41.

[3]- هو عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني المشهور بالوزان، من أبرز علماء قسنطينة في القرن العاشر، كرس حياته للتدريس ورفض الوظيفة الرسمية حين عرضت عليه، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 379، أنظر أيضا: الفكون: المصدر السابق، ص 35.

[4]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 187.

[5]- عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 42.

سلطتها وقيمتها، لذلك عملت أغلب البيوتات على تجنب مصاهرة الأسر الأقل شأنا منها[1] ، كما يحافظ على توارث العلم في أبنائه وأحفاده[2].

في آخر حياته وقعت له حوادث عظام، حيث قتل بجامع الزيتونة على أيدي الإسبان، وهو في حلقة علم يروي ويشرح كتاب البخاري سنة 941هـ، وقتل معه الشيخ الزندوي أيضا[3].

4- أبو الفضل قاسم بن يحي بن محمد الفكون(ت956هـ/1575م):

هو قاسم بن يحي بن محمد الفكون[4]، يطلق عليه عبد الكريم الفكون اسم: العم قاسم[5] كان قاضيا ومفسرا وفقيها،نشأ بمدينة قسنطينة وتعلم بها عدة مواد، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس ليوسع معارفه، فإنتظم في حلقاته عدة سنوات إلى أن نبغ في العلوم الفقهية والأصول[6]، وبذلك يكون قد جمع بين علمي الظاهر والباطن[7].

ومن شيوخه ذكر ابن الفكون الشيخ "مغوش" وهو محمد بن محمد التونسي قيل إن خير الدين نفاه بعد احتلاله لتونس،فهاجر إلى الأستانة فإلتقى بمفتيها الأستاذ أبو السعود المفسر الشهير ونال خطوة بها وقد توفى بالقاهرة سنة 947هـ، وكذلك الشيخ العارف الوزان (ت1557/960م)، وذكر أن أبو الفضل قاسم سئل مرة عن الفرق بين الشيخين فقال لمن سأله: الشيخ مغوش عالم إلا أنه يستشكل المسائل، والشيخ الوازن لا يستشكل شيئا[8].

وكان الشيخ قاسم قد فاق عصره في علم المعقول وكان ممن تصدى للتفسيرزمن مشيخة عصره، وأثنى عليه الشيخ الوزان وأجاز له، وكان الشيخ الوزان قد حضر مجلسه

---

[1]- بوكرديمي نعيمة: المرجع السابق، ص 86.

[2]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 187.

[3]-أبو القاسم سعد الله: الشيخ عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 39، أنظر أيضا: عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص،ص: 43، 44.

[4]-بوسطلة راضية: المرجع السابق، ص 8.

[5]- الفكون: المصدر السابق، ص 43.

[6]-عبد العزيز فيلالي: الأوضاع الثقافية، المرجع السابق، ص 25.

[7]- عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 43.

[8]-المصدر نفسه.

أكثر من مر ة، وكان من القلائل الذين نهجوا نهج التفسير إذ كانت العلوم الفقهية هي التي تحتل الصدارة في ذلك الوقت[1].

كان الشيخ قاسم من أكبر العلماء الفكونيين سنًّا، حيث وردت له عدت أجوبة فقهية في كتاب "النوازل المالكية" الذي ألفه الشيخ المفتى سيدي محمد بن عبد الكريم بن محمد الفكون التميمي، وقد أورد فيه العديد من النوازل التي كانت معظم أجوبتها من علماء البيت الفكوني، وقد نسبت له نازلة في شهادة زور من شهد على حميّة وعصبية وهذا نصها: "وقد وقفت على فتوى بخط عمي الفقير قاسم الفكون قائلا: أن شهادتهم باطلة وزور و شهادتهم عين الجرحة فيهم لظهور التعصب والحمية والحزن والتخمين[2]، وكان قاسم من العلماء المؤلفين أيضا[3]، وله حواش مختلفة على بعض الكتب والمؤلفات، قام بشرح كتاب إبن هشام(ت 761هـ/1395م)الموسوم (بأوضح المسالك إلى الفقيه ابن مالك)، جعله في عدت كراريس[4].

وكان قاسم آخر علماء الأسرة الفكونية في العهد الحفصي لتشهد المدنية بعده مرحلة السلطنة العثمانية[5].

5-عبد الكريم الفكون الجد(ت 988هـ/1580م):

هو عبد الكريم الفكون الجد المكنى أبا محمد، كان عالما فقيها، وكان عارفا بالمنطق والبيان والفقه المالكي وغيرها من العلوم أخذ عن أبي حفص الوزان القسنطيني المعقول[6]. وصفه حفيده بقوله:"كان مشتغلا بما يعينه دينا معتكفا على الإقراء والتدريس"[7].

1- المصدر نفسه.

2- بن عمر علال : المرجع السابق، ص 189.

3- أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 40.

4-الفكون: المصدر السابق، 43، عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 25.

5- ما تجدر الإشارة إليه أن البيت الفكوني على العهد الحفصي يتوقف هنا، وما بعد هذا العالم فيعد من العلماء الذين عاشواز من مخضرم -كقاسم وأبوه يحي الفكون-، عرفته مدينة قسنطينة عند إنتقالها من إدارة حفصية إلى إدارة عثمانية، لكن لاحظنا أن هذا البيت إستمرت سلطته ونفوذه إلى العهد العثماني على عكس الأسر الأخرى التيتر اجعت في هذه الفترة (كالبيت القنفذي سيأتي عرضه) ونظرا للأهمية التاريخية لهذا البيت تطرقنا إلى ترجمة ثلاثة علماء من بعد العالم قاسم.

6- بوشريط أحمد: إبنالفكون وا إسهاماته في التأليف "منشور الهداية" نموذجا، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي،ع 18، جامعة وهران ، الجزائر ، 2015، ص 91.

7- الفكون: المصدر السابق، ص _ص:48-50، انظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 42.

ولثقافته الدينية تولى إمامة الجامع الأعظم وأصبح من خطبائه، وهي أول مرة يتحدث فيها الفكون عن أحد أجداده بأنه كان متوليا هذه الوظيفة الهامة[1].

ولتمكنه في الفقه، كانت نوازله مما يرجع إليها وكذلك أحكامه في الفقه[2]، كما ذكره حفيده بأنه كان من الصلحاء، (الأولياء الصالحين)، وأنه كان ملازماً للأذكار وقيام الليل، وأنه من تلامذة الشيخ الوزان، وأنه على عناية بعلم البيان، وأنه كان يقرئ كتاب سعد الدين التفتزاني المطول (ت793هـ/1390م)، (كتاب في البلاغة)، وهو شرح على تلخيص الخطيب القزويني (ت 739هـ) جمع فيه الآيات القرآنية التي استشهد بها التفتزاني في كتابه المذكور، كما أنه جدد في أسلوب الخطابة بالجامع، فأحدث نوعاً من الخطب تقوم على الأحاديث النبوية[3].

والجدير بالذكر أن البيت الفكوني في آخر العهد الحفصي، برزت مكانته، من خلال المناصب والإمتيازات التي حصل عليها، وسنتعرض إلى علاقة البيت بالسلطة فيما سيأتي.

أما عن وفاته، فيذكر أنه توفي يوم الجمعة رجب 988هـ/1580م، ودفن بمدرسة عائلتهم وقبره معروف إلى الآن بدار آل الفكون، وهي معروفة باسم الزاوية التيجانية الفوقانية[4]

6-أبو عبد الله محمد الفكون (ت1945هـ/ 1735م):

محمد بن عبد الكريم الإبن المكنى "أبا عبد الله"، بعد وفاة الجد خلفه إبنه الذي تولى كل الوظائف التي كانت لوالده من الإمامة والخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة، وكان ولده هذا كما ذكره إبنه عبد الكريم الفقون، من الفقهاء المتصوفة، يقوم أناء الليل وأطراف النهار، ويدرس العلم، وكان من الفقهاء الصوفيين، ولذا كان يرجع إليه في المسائل والإفتاء، توفي في طريق العودة من الحج، ودفن "بالمويلح" الرصيف البحري الحجازي المقابل لمصر[5]، وكان العياشي قد تحدث في كتابه "الرحلة العياشية" عن "زيارة قبره"[6].

1-المرجع نفسه.

2- المرجع نفسه ، ص91، أنظر أيضا: الفكون: المصدر السابق، ص _ص:48- 50.

3- أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 43.

4- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 193.

5- الفكون: المصدر السابق، ص 52،أبو القاسم سعد الله:عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 43.

6- العياشي، عبد الله بن محمد (ت 1090هـ/1679م) : الرحلة ، تح سعيد الفاطمي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر، أبو ظبي ، 2006، ج1، ص 286.

7-عبد الكريم الفكون الحفيد صاحب "منشور الهداية": (ت 1073هـ/ 1662م):

هو العلامة أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني، وهو شخصية فذة مهمة كان لها باع طويل في ميدان الثقافة والتأليف والإمتثال بالعلماء في عصره داخل الجزائر وخارجها، وكان لوظيفته الدينية التي كان يشغلها دور كبير في الإتصال بالعلماء فقد كان رئيس ركب الحج إلى البقاع المقدسة لمدينة قسنطينة وما يتبعها من المدن الجزائرية وقراها[1].

لم تفدنا بعض كتب التراجم التي ترجمت لهذه الشخصية بالسنة التي ولد فيها هذا العالم، من أمثال الزركلي[2]، وعمر رضا كحالة[3]، في حين ذكر أبو القاسم سعد الله أنه ولد سنة (988هـ/ 1580م)، ثم أضاف قائلا: "وهي السنة التي توفي فيها جده عبد الكريم الفكون، ولذلك تسمى باسم جده هذا تيمنا به"[4].

أما والده فهو أبو عبد الله محمد تمت ترجمته سابقا، وأما أمه فهي عربية وزيادة عن ذلك تنتمي إلى النسب الشريف فقد ذكر الفكون، في منشور الهداية، فتنة وقعت بقسنطينة وذكر أن جده للأم كان مزوار الشرفاء، وقاد الشريف جيش البلد، أي أن جده لأمه كان شريفا[5]. وقد ذكر أن إسمه أبو عبد الله محمد قاسم الشرف وعدّه من الذين تعاطوا المنصب الشرعي لإدعائهم العلم[6].

ويذكر الفكون أنه أدرك دعوة جده، وذلك لمّا كان في آخر مرضه وكانت والدته حاملا به وكانت تعز على جده كثيرا، فسألته الدعاء فأخبرته، أنه قال لها جعل الله عمارة الدّار منك[7].

[1] - سليمان الصيد: المرجع السابق، ص 21.

[2] - الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، 2002، ج4، ص 56.

[3] - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، إخ وجم، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ج2، ص 210.

[4] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 519.

[5] - الفكون: المصدر السابق، ص 49.

[6] - المصدر نفسه، ص 68.

[7] - المصدر نفسه، ص، ص: 51، 52.

ولم يذكر لنا الفكون إلا القليل عن حياته الشخصية من ذلك أنه تزوج من إبنة حميدة بن حسين الغربي وأن هذه الزوجة بقيت عنده ثلاث سنوات ثم طلقها لأمور لا يمكن إبقاؤها مع ذلك[1].

عرفه العلامة محمد بن مخلوف بقوله:" الإمام العلامة العمدة القدوة الفهامة الناسك الظاهر والباطن"[2]، كما ترجم له العلامة أبو سالم العياشي بقوله: "العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني، رضي الله عنه ونفعنا به"[3]، أما عن المقري فيقول: "عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الأكابر ووارث المجد كابراً عن كابر، المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفقون حفظه الله ..... عالم المغرب الأوسط غير مدافع، وله سلف علماء ذو شهرة ولهم في الأدب الباع المديد..."[4]، وحلاه تلميذه أبو مهدي عيسى الثعالبي في(كنز الرواة) بقوله:"علامة الزمان ورئيس علوم اللسان وفخر المنابر إذا خطب ولسان المحابر إذا شعر أو كتب"[5].

نُسب الفكون إلى المدينة لتي ولد بها وهي قسنطينة، ومنها جاءت "القسنطيني"، وهناك من أورد هذا النسب بذكر النون ميما، أمثال الزركلي الذي قال: "القسمطيني بالميم"[6] ومرة أوردها أوردها القسنطيني، كما نجد عبد الكبير الكتاني أنه ذكرها بهذا الرسم" القسمطيني"[7].

نشأ الفكون في كنف والده فحفظ القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولية للعلوم في زاوية العائلة، ثم كلف على تحصيل مختلف العلوم الشرعية واللغوية[8]، كان والده أحد أبرز أساتذته

---

[1]- المصدر نفسه، ص 76.

[2]- محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1439هـ، ص 309.

[3]- أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج2، ص 514.

[4]-المقري: المصدر السابق، ج2، ص 482.

[5]محمد زرمان: عبد الكريم الفكون وكتابه "منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية"، مجلة معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، العدد 02، قسنطينة، 1914هـ/1999، ص150.

[6]- الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص 56.

[7]- الكتاني ،عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، إعتناء إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م، ج2، ص 783.

[8]محمد زرمان: المرجع السابق، ص 149.

أساتذته ثم تولاه كبار شيوخ عصره من أمثال: يحي الأوراسي، كما قرأ على محمد بنزر اشد الزواوي، وسليمان القشي الذي قال عنه: "ومن أشياخنا في البداءة الشيخ البركة أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي نسبا، أصله من بلدة نقاوس[1]، إنتقل إلى قسنطينة مراهقا بعد موت والده سنة ثلاث وستين ...... وقرأت شرح الصغرى والقطر[2]والجرومية بشرحها جبريل، وبعض أوائل الألفية"[3]. وعبد العزيز النفاتي (درس عليه الفكون الحساب والفرائض)، ومحمد الفاسي المغربي (قرأ عليه القليل من مسائل الإسطرلاب، والقليل من الفرائض)، ومحمد التواتي المغربي (قرأ عليه شرح المرادي، و التذكرة للقرطبي، وغير ذلك من التآليف)[4].

تولى التدريس بالجامع الكبير في حياة والده الذي كان ينوب عنه في غيابه، وكان في تلك الفترة عاكفا على طلب العلم، ساعيا لتوسيع دائرة معارفه، متنقلا بين مكتبة العائلة الزاخرة بأنواع الكتب وبين حلقات شيوخ العلماء، كان بارعا في "فنون العربية لغة ونحوا وتصريفا وبلاغة مع المشاركة التامة في الفقه والأصليين والحديث والتصوف وغير ذلك"[5].

تولى الإمامة والخطبة بعد وفاة والده (عام 1045هـ/1635م) وقد أهلته مواهبه وعلو كعبه في العلم والشرف أن يتقلد إمارة ركب الحج وحصل على لقب شيخ الإسلام بعد أن بلغ نفوذه العلمي والروحي ذروته، فأحبته القلوب ومالت إليه النفوس[6].

قضى معظم حياته في التدريس (في المسجد، مصلى بيته، والمدرسة التابعة لعائلة الفكون)، وكان الطلبة يقصدونه من مختلف أنحاء البلاد، ومن خارجها، وقد تخرج على يده مجموعة كبيرة من الطلاب، من بينهم: إبنه محمد بن عبد الكريم ، عيسى الثعالبي، وأبو سالم العياشي المغربي، ويحي الشاوي، ومنهم كذلك بركات بن باديس، وأحمد بن سيدي عمار، ومحمد وارث الهاروني، ومحمد البهلولي، وعلي بن عثمان بن الشريف وغيرهم[7].

---

[1]- تابعة ولاية باتنة وهي مشهورة بفاكهة المشمش، ومنها العصير الذي يباع بكثرة في الجزائر.

[2]- الصغرى عقائد السنوسي الثلاث ،وقطر الندى وبل الصدى لإبن هشام النحوي، أنظر: الفكون :المصدر السابق، (ها رقم 7،8)، ص 60.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- المصدر نفسه، ص-ص: 59- 60- 61.

[5]- محمد زرمان: المرجع السابق، ص 149.

[6]- أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج2، ص 503.

[7]- محمد مخلوف: المصدر السابق،ج1، ص 310.

وبذلك تحلى الفكون بمكانة علمية مميزة، وهو ما نجده في كتب التراجم الذين رفعوا من منزلته هذه ومنهم: المقري التلمساني الذي أكد على رفعة منزلته العلمية،وافاه الفكون برسالة كانت موجهة إلى المقري[1] كذلك إبراهيم الغرباني القيرواني الذي كانت بينه وبين الفكون مراسلات تدل على تلك العلاقة الوطيدة بينهما، فمما فرضه من شعره والذي يدل على رفعة منزلته قوله:

شيخ فقيه ولي عالم علم به   إفتخاري وعهدي عنده لم يحل

إلى قوله:

ر بي ينهلو ادي إني هجفي ي   قومر لدي ذ ق ي أمل ي

لأنه فاضل فاق المناظر في   كل الم كارم من جاروم رت حل[2]

كما ذكره محمد الحفناوي حيث ترجم لإبنه محمد بأنه: "العلامة الفهامة الناسك الخاشع"[3]، كذلك قول محمد مخلوف "الإمام العلامة القدوة الفهامة"، وذكره أحمد بن قاسم البوني بقوله:

سيدي عبد الكريم العالم   الصالح الفكون ذي المكارم[4]

وترجم له عادل نويهض بأنه من النحويين الأدباء والمحدثين، ولذلك فقد جمع بين مختلف العلوم، ولذا حق لنا أن نطلق عليه عالم المغرب الأوسط في عصره، وبذلك طارت شهرته شرقا وغربا[5].

ومكانته هذه قد أكسبت البيت الفكوني مستوى راقي ازدانت به قسنطينة، وأضحت تتمتع بشهرة عالية في ذلك الوقت، وذلك يعود لإحتضانها لمثل هؤلاء العلماء والأسر.

توفي عشية الخميس السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وألف شهيدا بالطاعون[6]، الموافق لـ3 أوت 1663م، عن عمر ناهز خمسة وثمانين سنة[7].

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص 483.

[2]- الفكون: المصدر السابق، ص 221.

[3]-الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص 162.

[4]- البوني، أحمد بن قاسم: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة تق وتح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص 96.

[5]- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، لبنان، ط2، 1980، ص 254.

[6]-أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج2، ص 504.

[7]- محمد زرمان: المرجع السابق، ص 150.

كان لعبد الكريم الفكون إسهامات جليلة في الإنتاج الفكري، فقد جاءت قريحته بعدد من المؤلفات، وهذا ما شهد له بها البوني[1] حيث قال:

مـ ؤلَفٌ لنوال يـــف الكثيرة وكـ ـلن اذمـ ذاقب ثأ يـــ ه[2]

ومن هذه التآليف نذكر منها ما هو مفقود ومنها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع:

1ـ العلـــــوم الدينية:

أ ـ في الفقه والعقيدة:

ـ المخطــوط:

-محدد السنان في نحور إخوان الدخان:وهو في تحريم الدخان وا ٍجازته[3].

-نظم الدرر على شرح المختصر: وهو شرح وضعه على مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري[4].

ب ـ في النوازل الفقهية :

ـ المخطـــوط:

-نوازل الفكون (نوازل قسنطينة): وهو أهم مصدر إلى جانب " منشور الهداية" للتأريخ لعائلة الفكون، ودراسة الحراك الثقافي للمجتمع القسنطيني في القرنين (10-11هـ/16-17م)، حظي مخطوط نوازل الفكون، باهتمام الباحثين، ، وهو مخطوط عائلي. إحتوى المخطوط على (350) نازلة أجاب عنها عدد هائل من العلماء منهم المحليون والمغاربة و المشارقة. وقد شملت مختلف جوانب الحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية. جمعها محمد بن عبد الكريم بن محمد ابن عبد الكريم الفكون (ت1114هـ/1702م).

---

[1]- عند إطلاعنا على كتاب البوني، صادفنا خلط في بعض المعلومات، وبعد تأكدنا منها، لاحظنا أن البوني قد أخلط بين عبد الكريم الفكون وإبنه محمد بن عبد الكريم الفكون، وذلك انه نسب مؤلفات الوالد التي سنتطرق إليها إلى إبنه محمد، و"يذكر==أن الخفناوي قال أنه توفي سنة 1073هـ/ 1663م، إلا أن أحمد البوني يقول: "إنه سمع منه أيام الباي عمر الذي بدأ حكمه بعد سنة 1073هـ، أنظر: البوني: المصدر السابق، ص 140.

[2]- المصدر نفسه: ص 96.

[3]- ورد عند عبد الكريم الفكون بهذا العنوان، أنظر: الفكون:المصدر السابق، ص،ص: 39، 74، 203، 204، وذكر عند الزركلي بـ:(رسالة في تحريم الدخان)، أنظر: الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص 56.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج1، ص 552، أنظر أيضا: الفكون: المصدر السابق، ص 206.

- تقييد في كرامات الشيخ عمر الوزان:أشار إليه في منشور الهداية غير أنه لم يذكر أنه ألفه وا ٕنما تمنى على الله أن يقوم بذلك.[1]

ج ـ في القـــــراءات :

-فتح الهادي في شرح جمل المجرادي ومخارج الحروف من الشاطبية في القراءات.

_سربال الردة في من جعل السبعين لرواة الإقراء عدة:هو كراس في واقعة وقعت له مع أحد معاصريه وهو أحمد بن حسن الغربي (ت1030هـ/1620م).[2]

2ـ العلوم الإجتماعية والإنسانية:

أـ التراجـــــــم:

ـ المطـــــــبـــوع:

-منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية: وهو في محاربة البدع، ونقد علماء عصره ، تناول فيه مجموعة من التراجم بلغت حوالي ثمانين ترجمة لعلماء قسنطينة وناحيتها في القرنين (10-11هـ/16-17م)، سجلها على مراحل مما جعلها قد تقصر أو تطول، انتهى من تأليفه (1045هـ/1635م).[3]

ب ــ في اللغة والنحو والصرف :

ـ مخطـــوط:

-فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف: وهو مجلد (أجاد فيه غاية الإجادة)[4].

-فتح المماليك: وهو شرح على لامية إبن مالك في التصريف.

-شرح على شواهد الشريف بن يعلى على الأرجومية: إلتزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسك للشاهد معنى وا ٕعرابا[5].

ج ــ في السيرة والمديح النبوي:

---

[1]- عواد منور :التأليف والتصنيف في البيت الفكوني ،محاضرة ألقيت بقسنطينة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، بتاريخ 27و28 نوفمبر 2016،(س30 :11_ 11:45)، ص7.

[2]-أنظر: سليمان الصيد: المصدر السابق، هاش رقم (2)، ص 23، عواد منور: المرجع السابق، ص13.

[3]- يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي يمكن أن نرجع إليها في حال ترجمة أعلام الأسرة الذين كانوا قدوة للمؤلف،أنظر الفكون: المصدر السابق،ص34.

[4]- محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص 310، الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 56، الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص 163، أنظر أيضا: عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص 151.

[5]- الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص 56، عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج2، ص 210.

ـ مخطـــوط:

-ديـــوان شعر: سماه مؤلفه قصائد، وأطلق عليه العياشي إسم الديوان، نظمه الفكون في المديح النبوي تحت ضغط المرض الذي ألم ّ به، وقد أنهى قصائده بالتوسل وطلب الشفاء واصفا حالته العليلة. انتهى منه بعد أن خف عنه المرض سنة (1031هـ/1621م). نقل العياشي من هذا الديوان نحو مائة بيت في رحلته.[1]

_شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض أو العدة في عقب الفرج بعد الشدة : و هو نظم في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه والتابعين والفقهاء والأولياء (رضه).[2]

_سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل:نظمه للتنفيس عن كرب الدنيا.

_ مجموعة خطب:أشار إليها في "منشور الهداية" عند الحديث عن الخطبة التي كتبها لأحد معاصريه ، وهو أحمد بن باديس[3].

مما سبق ذكره نقول أن الأسرة الفكونية حافظت على عراقتها وأصالتها ومكانتها لمدة طويلة من الزمن ويعود ذلك إلى أفرادها العلماء الذين توارثوا العلم جيل بعد جيل وساهموا في إخراج أمة حملت مشعل العلم، وبقيت أثارهم وا ٍسهاماتهم الفكرية سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة أو حتى تلك المفقودة محل إهتمام الباحثين والدارسين للإطلاع على هذا الموروث الذي خلفته الأسرة علما على أنها تحتوي على خزانة مخطوطات لنوادر الكتب في مختلف المواضيع إلى جانب إمتلاكها لمدرسة وزاوية.

كما حصلت هذه العائلة على العديد من الوظائف والرتب هذا ما يدل على مكانتها السياسية وا ٍرتباطها الوثيق بالسلطة السياسية.

ثالثا:علاقة الأسرة الفكونية بالسلطة الحاكمة:

على ضوء ما ذكرناه يمكننا أن نقرر أن مدينة قسنطينة عرفتسأر ة علمية وثقافية يعود الفضل فيها إلى البيوتات والأسر العلمية التي حملت راية العلم،وتمكنت من البروز في عدة مجالات، منها المجال السياسي وعليه سنحاول إلقاء الضوء على دور الأسرة الفكونية

---

[1]- أنظر: أبو سالم العياشي:المصدر السابق ،ج2 ، ص _ص: 514_520 ، سليمان الصيد:المر جع السابق، ص-ص: 24 - 25.

[2]- المرجع نفسه.

[3]-عواد منور: المرجع السابق، ص 16

ومكانتها في السياسة وكيف كانت العلاقة بينها وبين السلطة الحاكمة ؟ مع ذكر أهم الوظائف والمناصب التي حصلت عليها.

لقد ساهمت بيوتات قسنطينة في السياسة وذلك لحرص الدولة الحفصية كغيرها من الكيانات السياسية آنذاك على استعمال رجال العلم والأدب في جهازها الإداري[1].

حيث لعب آل الفكون دور مهم في أحداث مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي فشاركوا في المجالس العلمية، واستشيروا في القضايا السياسية[2]، إلا أن المصادر أغفلت دوره ولم تتكلم عن مكانته إلا في العهد العثماني عندما كان ارتباطها بالسلطة وثيقا[3].

ولا نعلم لماذا هذا الصمت؟ ورغم أننا نملك مصدر مهم "كمنشور الهداية"[4] الذي قام صاحبه بتقديم ترجمة لأجداده الذين عاشوا خلال الحكم الحفصي لمدينة قسنطينة، إلا أنه لم يتحدث كثيرا عن دورهم ومساهمتهم السياسية هذا ما يجرنا إلى القول بعزوف الأسرة الفكونية وتحسسها من تولي المناصب السياسية.

هذا لا يعني أن علاقتها بالسلطة كانت متوترة بل على العكس من ذلك، فالمكانة التي وصلت إليها تعود أولا إلى رصيدها العلمي العالي، وثانيا إلى علاقتها الجيدة مع رجال السلطة الحاكمة خاصة أن هذه الأخيرة هي التي كانت تقوم بتوريث الوظائف الرفيعة في الأسرة الواحدة هذا ما يعد في حد ذاته امتيازا مادياً ومعنوياً [5].

تولى علماء وفقهاء الأسرة الفكونية العديد من الوظائف والمناصب سواء كانت إجتماعية أو دينية أو إدارية[6]، هذا ما يدل على قربها من الأسرة الحاكمة حيث استفادوا منها، وعلى رأس هؤ لاء الجد الأول للأسرة الذي ورد ذكره في النصوص التاريخية علي بن عمر بن الفكون القسنطيني، هذا الذي اكتسب شهرة في البلاط الموحدي، حيث قام بمدح خلفائهم في العديد من قصائده حتى أجزلوا له العطاء ونال منهم العديد من الهدايا[7]،حيث قام

---

[1]- فوزية لزعم: البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة و بجاية في ظل الحفصيين، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي، ع 14-15، جامعة وهران ، الجزائر، 1435هـ/ 2014، ص 197.

[2]- بوسطلة راضية: المرجع السابق، ص 10.

[3]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 184.

[4]- أنظر: عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 39.

[5]-لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق ، ص590.

[6]- بوكرديمي نعيمة: المرجع السابق، ص87.

[7]- الغبريني: المصدر السابق، ص 334.

قام ابن الفكون بمدح الخليفة الناصر عن زيارته إلى قسنطينة(602هـ/1205م) بقصيدة عظيمة لم تدون[1].

وعند زيارته لمراكش، كان يخرج مع موكب الخليفة في الزيارات، منها زيارة قبر الإمام المهدي حيث نظم شعرا أهداه إلى سادات بني عبد المؤمن فنال إعجابهم و أكرموه على ذلك، هذا ما يعبر عما كان بينه وبينهم من حسن المعاشرة والمودة[2]. وذكر الغبريني عن الحسن الفكون أنه أمن أحد الثوار عند الأمير الموحدي عام 1204م مما يدل على أنه كان ذا نفوذ ووجاهة في قسنطينة.[3]

كما كان لأبو زكرياء يحي بن محمد الفكون نفوذ ووجاهة لدى السلطة الحفصية، هذا ما يعبر على علاقته الجيدة بأمراءها، حيث كانوا يعتقدون فيه ويأخذون بمشورته خاصة في الفترة التي قضاها بتونس حيث تولى الإفتاء والإمامة بجامع الزيتونة كما قلنا سابقا.وعندما استقل بالإمامة هذا ما زاد من مكانته ومكانة عائلته، وقد استطاع هذالجدّ منافسة علماء البلاط في حاضرة تونس وتفوق عليهم في الخطوة والمكانة، وخاصة عل عهد آخر أمرائهم السلطان الحسن بن أبي عبد الله (ت932هـ-988هـ /1525-1541م)[4].

وقد فسر انتقاله إلى تونس على أنه من أجل إعلان الولاء لخير الدين، وهو ما شكل نقطة انطلاق لصعود عائلة الفكون في العهد التركي لكن لا أثر لهذا التوجه في النصوص المعاصرة له، بل إن الفكون يشير إلى غير ذلك فيحي انتقل لأمور وقعت بقسنطينة،و أنه يريد السكن قرب مركز القرار الذي كان بيد الحفصيين، وقد صاهر الزندوي وتزوج من حفيدته وتولى الإمامة وهي مدة تفوق المدة الذي مكثها خير الدين في حلق الوادي. ولو كان يريد التقرب من خير الدين لذهب إليه إلى الجزائر حيث استقر بها حوالي سنة 1525م من بعد عزلته في جيجل لعدة سنوات وقد حررها تماما من الغزو الإسباني[5].

ويعقب يحي الفكون ولده قاسم الذي عاش نهاية الحكم الحفصي القسنطيني، ثم مرحلة انتقالها إلى الحكم العثماني، حيث شكل الاستثناء في تاريخ عائلة الفكون الطويل بتولي

[1]-إبن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 104.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص 335.

[3]- بوخلوة حسين: المرجع السابق، ص62.

[4]- أبو القاسم سعد الله الفكون: المرجع السابق، ص 39.

[5]- فاطمة الزهرة قشي: قسنطينة في عهد صالح باي ، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص 40.

منصب القضاء وهي أول مشاركة سياسية مباشرة لآل الفكون[1]، هذا المنصب الذي تولاه كان باقتراح من الوزان بعد اعتذاره هو عنه في عهد حسن آغا على بداية العهد العثماني.كما تولى إمامة جامع البلاط بتونس في عهد والده بعد إلتحاقه به[2].

وعندما تحولت المدينة إلى حكم العثمانيين سنة 932هـ/1525م، بعد مقاومة شديدة أبداها أهلها بقيادة شيخ الإسلام آنذاك سيدي عبد المؤمن[3]، وفي ذلك يذكر بعض المؤرخين الدور الكبير الذي لعبته البيوتات العلمية في الحياة السياسية على آخر العهد الحفصي وبداية العثماني.

حيث يرى بعض المؤرخين أن سكان قسنطينة انقسموا فيما يتعلق بدخول الأتراك إلى المدينة لفرقين فريق مساند بزعامة عائلة الفكون وفريق معارض بزعامة عبد المؤمن،وقد ساهم شيخ الإسلام عبد المؤمن في تأخير دخول الترك إلى قسنطينة، مما جعلهم يتصلون بعبد الكريم الفكون الجد لتسهيل دخولهم للمدينة[4].

والجدير بالذكر أن أسرة عبد المؤمن في هذه الفترة تولت الإمامة والخطابة في الجامع الكبير(جامع البطحاء) كما تقلد فقهؤ ها منصب القضاء الدال على علاقتهم الوطيدة مع أواخر السلاطين الحفصيين، وزيادة عن ذلك كله تولوا إمارة ركب الحج وبذلك أخذوا لقب شيخ الإسلام الذي ارتبط بذلك المنصب وتوارثته العائلة حتى العهد العثماني[5].

ذكرنا أن قاسم بن يحي تولى خطة القضاء، أما الفكون الجد(ت988هـ) فقد تولى الخطابة بالجامع الأعظم وهي الوظيفة التي بنى عليها بعض المؤرخين نتائج سياسة من خلال علاقة العائلة الفكونية بالسلطة في ذلك الوقت[6].كانت إمامته للجامع الأعظم بتكليف من شيخه الوازن نفسه، وكان من وجهاء البلد وممن لهم الوساطة بين السلطة والمجتمع[7].

[1]- عواد منور: المرجع السابق، ص7.

[2]- أبو القاسم سعد الله : عبد الكريم الفكون: المرجع السابق، ص، ص:15، 40، كما ينظر الفكون: المصدر السابق، ص 41.

[3]-ترأست عائلة عبد المؤمن وظيفة أمير ركب الحج التي آلت إلى عائلة الفكون لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الكريم الفكون: المصدر نفسه، ص102.

[4]- بخلوة حسين: المرجع السابق، ص 75.

[5]-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص _ص:76_ 77.

[6]-المرجع نفسه، ص 42.

[7]- الفكون: المصدر السابق، ص46.

ولقد وجد هذا الجد في زمن مضر م ومضطرب عرفته قسنطينة، فقد تعرض هذا الجد للخطر أثناء فتنة قسنطينة سنة (975هـ/1567م) حيث وجهه أهل البلد (قسنطينة) وصحبه أبو محمد عبد اللطيف المسبح في سفارة لمحروسة الجزائر دار سلطنتها (الباشا محمد بن صالح ريس) للصلح، وبعد أن فرج بهم الأمير وأجلهم دار الكرامة أتاها الخبر بما أحدثه أهل البلدة بعدهم من خلع البيعة ففروا من دار السلطنة قاصدين زواوة فسجنهم الباشا، ثم تبصر فلم ير بهم وجها يوجب ذلك فأطلق سبيلهم، و بالرغم من الدور السياسي الذي قام به عبد الكريم الفكون (الجد)إلا أنه لم يشغل منصبا إداريا ولم يسع لذلك بالرغم من قربه للعثمانيين[1].

وبذلك يمكن القول أنه كان يتحسس من تولى الوظائف لهم خاصة وظيفة القضاء، وذكر الفكون الحفيد في "منشور الهداية"أنه لما حضرته الوفاة اقترح عليه مكان دفنهومن الأمكنة المقترحة الموضع الذي به أخوه قاسم الفكون فأجاب أنه ثقيل موحش وظن أنه فرمن مخالطة دفنه قائلا: "إن سيدي كان قاضيا ولا أحب الدفن هناك"[2].

ولما توفي الفكون الجد عام (988هـ) خلفه إبنه محمد في إمامة الجامع الكبير[3]، ويورد مرسي الشهادة المسلمة من قبل جعفر باشا أواخر أوت عام 1581م فيها:" وقد عين لكرامة الإمام، وخطيب المسجد الكبير خلفا لو الده المتوفى يؤدي الصلوات الخمسة، ويلقي الخطبة ويتولى كل الوظائف التي كان يشغلها والده، بناءا عليه تحول له كل السلطات المطلقة لإدارة

أموال المسجد الكبير ويعد جميع نفقاته، ويوجه جميع عامليه، ولا أحد يعترض على ما يراه مناسبا لا الموظفين في المسجد ولا القضاة ولا ممثلي سلطتنا، ولا دإر ة الحبوس ولا أحد آخر[4].

ور غم أن الحديث عن هذا الشيخ خارج إطار الدراسة، إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أن الأسرة الفكونية برزت مكانتها السياسية خلال العهد العثماني خصوصا ـ عهد الفكون

---

[1]-أبو القاسم سعد الله: الفكون، المرجع السابق، ص 41.

[2]- الفكون: المصدر السابق، ص 48.

[3]- المصدر نفسه: ص 50.

[4]- E.Mercier : Elévation de la famille el Feggoun, Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1878, P 226.

الحفيد ـ حيث أصبحت تتدخل في الشؤون السياسية، وأضحت في قمة مجدها روحيا وماديا[1].

وذكر عبد الكريم الفكون في "منشور الهداية "أن أمه كانت شريفة حسينية من عائلة محمد بن قاسم الشريف الحسني(عاش في القرن10هـ/16م) الذي كان متوليا وظيفة الفتوى مزوار الشرفاء بقسنطينة-أي نقيب الأشراف-قال ابن الفكون:" ومن أهل الفتوى الجد للأم مزوار الشرفاء أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد شقرون الشريف الحسني أبو والدتي، تصدر للفتوى في زمن الجد ـ يقصد الشيخ عبد الكريم ـ وكان له فطن معرفة وا ٍدراك"[2].

ومن المناصب الرفيعة والعالية التي حصلت عليها أسرة آل فكون إمارة ركب الحج حيث يقول المهدي البوعبدلي عنها :" كانت خطة إمارة ركب الحج لا تسند إلا لأمثل عالم، تراعى فيه عدة مقاييس أهمها التبحر في العلم والاستقامة إذ هو الممثل لبلاده ولنخبة علمائها حيث يجتمع بجل علماء الأقطار الإسلامية، ويتبادل معهم الإجازات و التآليف ويشارك في المناظرات العلمية التي كانت تعقد لحل المشاكل العويصة فكانت مهمة الركب في رحلاته الإفادة والاستفادة"[3].

وتولى زعامة هذا المنصب عبد الكريم الفكون الحفيد ، حيث تكلم أبو سالم العياشي في رحلته عن محمد الفكون قائلا:"وممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه ، محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن عبد الكريم الفكون القسنطيني قدمها حاجا وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسنطينة، وتلك النواحي وعلى نهج أبيه وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده"[4].

إضافة إلى قيادة ركب الحج فقد تقلدت أسرة الفقون منصب مشيخة الإسلام،هذا المنصب الذي كان بحوزة مفتي الحنفية فقط دون غيره وحصول آل الفكون على هذا المنصب دلالة على مكانتها الدينية والاجتماعية وحتى السياسة[5].

---

[1]-عواد منور: المرجع السابق، ص 9.

[2]- الفكون: المصدر السابق، ص 68.

[3]- البوعبدلي المهدي: عبد الكريم الفكون والتعريف بتأليفه "منشور الهداية"، مجلة الأصالة، العدد 51، ص 15.

[4]- أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج2، ص514.

[5]- عواد منور: المرجع السابق، ص 10.

من هنا يتبين لنا العلاقة الوثيقة التي تربط بين الأسرة الحاكمة،فتولي مثل هذه المناصب الرفيعة والعالية، يدل على قرب الأمراء من العلماء،حيث كانوا يحترمونهم ويقدمون لهم الرعاية الاجتماعية،و عملوا على توريث العائلة الواحدة للمناصب الرفيعة، وهو ما وجدناه في عائلة الفكون التي توارثت العلم والمناصب السياسية،لكن لاحظنا أن هذه الأسرة لم تكن تهتم بالسياسة كثيرا كغيرها من الأسر الأخرى(كبيت ابن قنفذ وابن باديس)، خاصة على العهد الحفصي، بحيث انحصرت وظائف علماء هذا البيت في المدينة على الإقراء و التدريس والإفتاء فقط، حيث لم يتم ذكر أن أحد أجداد البيت قد تقلد منصب الإمامة أو الخطابة بالجامع الأعظم بقسنطينة في هذه الفترة، وإن كان هناك تقلد بها، فهو بتونس وليس بقسنطينة، و ذلك ما وجدناه عند الجدين قاسم ويحي.

أما القضاء فقد كان بحوزة آل القنفذ طيلة العهد الحفصي، حتى إنتقل في العهد العثماني إلى البيت الفكون في عهد الشيخ قاسم-الذي سبق ذكره-وقد كان أول من تولى من العائلة الفكونية هذا المنصب[1]. وبالتالي فجل هذه المناصب هي دينية هذا ما أكسبها الرئاسة وتوارث أنبائها ذلك الجاه والمجد. وبذلك تكون العائلة الفكونية قد حققت ثروة وجاه، ازدادت خاصة على العهد العثماني،وعدت من أغنى العائلات بمدينة قسنطينة .

وفي صدد الحديث عن الحالة المادية للعلماء ورجال القلم، يرى العلماء أنه عادة ما تكون متدهورة مقارنة مع رفاهية أهل السيف والسلطة ويورد ابن خلدون على أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب[2].

ولكن هناك فوارق شاسعة بين ثروة بيوت العلم أمثال بيت الفكون الذين ينتمون أبا عن جد إلى النخبة الحاكمة، ذلك أن البيوتات التي ينحدر منها هؤلاء حائزة على الجاه، والجاه مفيد للمال[3].

وخلاصة القول أن عائلة أو بيت الفكون أنجب علماء اشتغلوا بالعلم وتوارثوا ذلك أبا عن جد، وأخرجوا لمة متقلة تواصلت جيل بعد جيل، هذه العائلة التي تعود إلى القرن

[1] - أبو القاسم سعد الله: الفكون، المرجع سابق، ص 50.

[2] - إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 492.

[3] -لزعم فوزية : البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص610.

السادس هجري بقيت راسخة إلى ما بعد ذلك متصدرة مكانة اجتماعية و إقتصادية وثقافية هامة،وتولت المناصب السياسية العالية ما يدل على علاقتها الجيدة والوثيقة بالسلطة الحاكمة حيث كانت لهم حظوة في بلاط السلطة، نافسوا علماء البلاطات وتفوقوا عليهم، و إهتمت بالتأليف والتصنيف وتركت لنا العديد من المؤلفات في فروع علمية مختلقة، إلا أننا نجد غياب إنتاج أبناء البيت الفكوني الأوائل الذين أسسوا للإرث العلمي للعائلة ماعدا قصيدة أبو علي الحسن الفكوني، أما باقي المؤلفات فهي تعود إلى عبد الكريم الفكون الحفيد صاحب منشور الهداية وهو أهم كتاب تركته عائلة الفكون.

الفصل الثالث:
البيت القنفذي ومكانته العلمية والسياسية

أولا:بيت إبن قنفذ أصله ونسبه.

ثانيا:أشهر علماء الأسرة القنفذية ومكانتهم العلمية.

ثالثا: علاقة الأسرة القنفذية بالسلطة الحفصية.

تعد مدينة قسنطينة خلال القرن الثامن هجري،الرابع عشر ميلادي، من المدن الهامة في الشرق الجزائري، حيث شهدت إنتاج فكري وثقافي غزير، لم تشهده من قبل، وذلك يعود إلى علمائها الأفاضل الذين حملوا راية العلم وبرزوا في شتى المجالات، وسافروا إلى البلدان طلبا للعلم،ومن بين هؤ لاء نجد علماء أسرة إبن قنفذ التي تعد هي الأخرى من البيوتات العريقة في المدينة،بلغ صيتها ليس في المغرب فقط وا ٕنما إلى المشرق والأندلس وحتى أوروبا، وقد إشتهر من هذه العائلة ابن قنفذ الخطيب الذي عرف بتآليفه المتنوعة وترك تراثا لا مثيل له في شتى العلوم خاصة العلوم العقلية.

وأضحت هذه العائلة لها مكانة إجتماعية كبيرة، تمتعت بالجاه والثروة، إضافة إلى مكانتها العلمية التي اكتسبتها بفضل ما قامت به من مجهودات علمية وحرصها على تعليم أبنائها شتى العلوم هذا ماجعلها تتولى المناصب الرفيعة للسلطة الحاكمة.وتقديم الولاء والطاعة لها تجسد في تلك العلاقة المتينة لأفراد هذه العائلة مع السلاطين والأمراء.

أولا: بيت إبن القنفذ أصله ونسبه:

يعد بيت إبن القنفذ من البيوتات العريقة بمدينة قسنطينة أما فيما يخص أصله فيورد الفكون روايتان في كتابه " منشور الهداية" الأولى:" أنهم من بلد ميلة[1]"[2]، ثم ينسبهم مرة أخرى إلى الشيخ أبي العباس أحمد الخطيب، وذلك في سياق ترجمته للشيخ الغربي (القرن 10 هـ) الذي تولى الإفتاء في قسنطينة غير أنه لم يعد يمتلك المؤهلات الكافية لذلك المنصب حسب الفكون:"وأخبرني جمع كثير ممن يقتدى بقوله أنه لا باع له في العلم إلا أن شهرة أسلافه أورثته المنصب المذكور،وينسبون إلى الشيخ أبي العباس أحمد الخطيب"[3].

ورغم عدم وضوح من يقصده الفكون بأبي العباس الخطيب إلا أن أبو القاسم سعد الله يرجح أن المقصود هو أحمد الخطيب المعروف بابن قنفذ المتوفى سنة (810 هـ/1407م) صاحب "الوفيات"[4]،لأنه ليس في قسنطينة عالم مشهور ذو صيت ونفوذ بهذا الاسم غير من ذكر.وشهرته ببيت ابن القنفذ قديمة ولا يعرف لها سبب"[5].

وقد كان هذا البيت ميسور الحال أو بعض أفراده على الأقل، وذلك ما نستخلصه من حديث علي بن حسن بن قنفذ (ت 733 هـ/1332م) لإبنه عند دنو أجله بقوله:" أبقيت لك عددا من الدور والجنات والأرضيين وغير ذلك مما تعلم .... "[6].

ويعد الفقيه حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت 644 هـ/1265م) على رأس بيت إبن القنفذ الذي أسسه على أساس علمي[7].

---

[1]- مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وبينها وبين قسنطينة يوم واحد، أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 244.

[2]- الفكون: المصدر السابق، ص40.

[3]-المصدر نفسه، ص56.

[4]- لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق،ص175، أنظر أيضا: الفكون: المصدر السابق، (ها رقم3)، ص56.

[5]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص268.

[6]- ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص47.

[7]- فوزية لزعم: البيوتات العلمية بقسنطينة و بجاية في ظل الحفصيين، المرجع السابق، ص196.

والقنافذة هم بطن من أَشْجَ َع من العدنانية[1]، وهم بنو قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن أشجع[2]، إذ يعرفون بإسم" إبن قنفذ"، وذهب المؤرخون إلى أن تسمية بني قنفذ هي كنية لأحد أجدادهم الأوائل، إذ لو كانت غير ذلك لما استطاع أحد علماء الأسرة وهو إبن قنفذ الخطيب (ت810هـ /1407م) الإستغناء عن هذه الكنية،لأن ذلك يعتبر تنكرا لأصله، وقد رجح ذلك بأن العرب كانوا كثيرا ما يتخذون لألقابهم أسماء حيوانات،ربما لأسباب إعتقادية لديهم[3]، وهو ما نجده في " الفارسيية"حيث يذكر أنه ربما يكون جده الملقب شبيها بهذا الحيوان خُلقا أو خِلقا[4].

وا ِشتهار هذه العائلة بهذا اللقب إمّا بالتعريف: إبن القنفذ أو التنكير إبن قنفذ، والأقرب إلى الصواب هو الأول لأن إبن قنفذ لما ذكر وفاة جده في" الوفيات" ذكره بهذه الصيغة: "علي بن حسن بن القنفذ"[5]. كما ذكر في "أنس الفقير" عن والده أنه من بني القنفذ لكنه مع ذلك ذكر الإسم نكرة أيضا أكثر من مرة، لذا فإن التسمية ليست لها أي علاقة بالتعريف[6].

أما الإسم الجديد الذي يضفي صفة العلم على العائلة وهو "الخطيب" فقد كان إبن قنفذ كثيرا ما يذكرها في وفياته فقال عن والده:" وفي هذه السنة 750هـ/1349م توفي الخطيب والدي حسن بن علي"[7]، وبذلك فإن شهرة العائلة بابن الخطيب ظاهرة السبب، حيث توارث أبناء البيت الخطابة في الجامع لعدة أجيال متعاقبة[8]، بدءاً بالجد حسن بن علي بن ميمون (ت733هـ /1333 م)، الذي تولاها مدة ستين سنة أو خمسين سنة، إلى الحفيد أبي العباس أحمد الشهير بابن الخطيب القسنطيني (ت810هـ /1407 م)[9]، وقد استعمل هذا اللقب

---

[1]- ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص39.

[2]- القلقشندي، أبي العباس أحمد: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980، ص404، ابن حزم الأندلسي، أبو محمد: جمهرة انساب العرب، تح ، تع عبد السلام محمد هارون، ط3، دار المعارف، مصر،1971م، ص 305.

[3]- فيلالي عبد العزيز: إبن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته،مجلة سيرتا،ع11، جامعة منتوري، قسنطينة، محرم 1418هـ / ماي ماي 1998م، ص110.

[4]- إبن قنفذ: الفاريسية، المصدر السابق، ص40.

[5]- المصدر نفسه .

[6]- المصدر نفسه .

[7]- ابن قنفذ، الوفيات، تح عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط1983،4، ص 357.

[8] http:// noonnoma.mam9.com

[9]- ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، 40.

بكثرة في المشرق، حيث كانوا ينعتون بابن الخطيب أو الخطيب من تولى سلف هذه الخطّة[1].

وما زاد من مكانة بيت إبن قنفذ مصاهرته لبيت آخر،مشهور في العلم، وعريق في التصوف وهو البيت الملاّ ري[2]، وذلك عندما تزوج والد ابن القنفذ الخطيب الشيخ حسين بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت 750هـ/1349 م) بنت شيخه يوسف بن يعقوب الملاري (764 هـ/1362م)، فتعزز بذلك التواصل بين البيتين،فكان تواصلا إجتماعيا وعلميا وصوفيا، إذ أن إبنة الشيخ يوسف وصفت بأنها كانت من الصالحات الفقيهات، ولقد لقنها أبوها الفقه والتصوف[3]. وكانت له(يوسف بن يعقوب الملاري) مكانة مرموقة عند الحفصيين[4].

وقد ذكر إبن قنفذ أخباره في كتابه "أنس الفقير"[5]، فلذلك أطنب في الحديث عن تاريخ هذه العائلة كونه كان متعلقا بجده لأمه حيث أدركه وهو في سن الشباب. وقد أشار إلى مدى إرتباط البيت الملاّري بأمراء وسلاطين الدولة الحفصية[6].

وخلاصة القول أن بيت إبن القنفذ ظل محافظا على مكانته الإجتماعية والعلمية والإدارية خلال العهد الحفصي،لذلك يعد من أقدم البيوتات في قسنطينة وأعرقها، وذلك بفضل الدور العلمي الذي لعبه علماء وفقهاء هذه الأسرة .

ثانيا : أشهر علماء الأسرة القنفذية ومكانتهم العلمية :

إن القرن الثامن الهجري من العصور التي ازدهرت فيها العلوم والآداب في المغرب الإسلامي ونبغ فيه رجال استفادوا من التراث الثقافي الذي خلفته الدولتان العظيمتان المرابطية و الموحدية.وا ٕن كانت الإنتاجات التي ظهرت في أواخر هذا القرن إلى السنين الأولى من القرن التاسع لا تضاهي إنتاجات الحقبة الأولى منه[7].

---

[1] -المصدر نفسه.

[2] أنظر ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص43 وما بعدها.

[3] - بن عمر علال: المرجع السابق، ص 218.

[4] - فيلالي عبد العزيز: ابن القنفذ مؤرخا لأسرته، المرجع السابق، ص111.

[5] - بن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص40 وما بعدها.

[6] -إبن قنفذ: الفارسية ، المصدر السابق، ص40.

[7] - أنظر مقدمة ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص (ب).

ثم إن هذا العصر يمتاز بانتشار الأفكار الصوفية واستيلائها على عقول المثقفين نتيجة للحركة التي بدأت أيام الموحدين وقد قوى هذا الاتجاه ضعف المسلمين بالأندلس وتغلب النصارى عليهم مما جعل العلماء يحاولون بث الروح الدينية في نفوس المسلمين وا إيقاد شعلتها من جديد ليتثبتوا بعقائدهم ويتحمسوا لها دفاعا عن الإسلام[1].

وقد شهد هذا القرن حركة علمية متقدمة وا إنتاجا ثقافيا كبيرا،فقد ازدهرت العلوم الإسلامية وكثر الإقبال عليها، ولا سيما أنها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء وفي الدواوين الإدار ية،وغير ذلك من المناصب التي كان الناس يتهافتون عليه[2].

وقد نبغ في هذه الفترة علماء كثيرون، منهم زيد الإمام (ت743هـ/1342م)، وشرف الدين الزواوي (ت743هـ/1342م) وأبو عيسى بن الإمام (ت 749هـ/1348م) وحسين بن على بن قنفذ-والد المؤلف- (ت 750هـ/1350م) وأبو عبد الله المغربي (ت759هـ/1357م) وأبو عبد الله الشريف (ت 771هـ/1369م) و إبن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م)[3] وأبو زيد الوغليسي (ت786هـ/1384م) و غير هؤولاء كثير[4].

ومن الشخصيات التي تمثل هذا العصر خير تمثيل ابن قنفذ القسنطيني(ت 809 هـ/1406م) وقبل التطرق إلى الدور الثقافي والعلمي لهذه الشخصية الفريدة علينا أولا التعرض لعلماء البيت القنفذي.

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: أبرز علماء قسنطينة ، المرجع السابق، ص18.

[2]-إبن قنفذ: شرف الطالب في أسنى المطالب، تح عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض،2003، ص16.

[3]- تنتمي عائلته إلى قبيلة عجيسة التي تقطن بمنطقة المسيلة، وقلعة بني حماد بجبال الحضنة و إقليم الزاب في الهضاب الهضاب العليا الشرقية القسنطينية، وكان البعض من أجداد هذه الأسرة يقطنون بالجنوب الغربي لتونس المعروفة آنذاك بافريقية، ولد محمد بن مرزوق الخطيب بمدينة تلمسان عام (710هـ/ 1310م) درس في مسقط رأسه، سافر إلى الحجاز لآداء فريضة الحج، كما زار أماكن كثيرة في بلاد المشرق والمغرب، وتضلع في علوم كثيرة كالطب والخط والرواية وخاصة علم الحديث، كما تولى الخطابة والإمامة في بلاد شتى، كما أنه وصل إلى قسنطينة وشهد العديد من الحوادث بها، له العديد من المؤلفات إلاّ أنّه طبع وحقق منها إلا القليل، أنظر: محمد بن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص12 وما بعدها، أنظر أيضا: نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/19 م إلى القرن 10هـ/16م، (رسالة دكتوراه)، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 1431هـ/2010م، ص 633.

[4]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص16.

لقد أنجب بيت إبن قنفذ العديد من العلماء الأجلاء والأفاضل، الذين اشتهروا بالعلم في بلاد المغرب الإسلامي كله، حيث إشتغل جلهم بالخطابة والإمامة، وقد ذكرت المصادر أربعة منهم خلال هذه الفترة.

1. حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت 644 هـ/1265 م):

أول أبناء هذا البيت ذكرا، وهو من أعيان مدينة قسنطينة ووجهاءها، وهو جد إبن قنفذ الخطيب، المؤرخ والفلكي الكبير، ترجم له حفيده في كتابه الموسوم "بالوفيات" وأثنى عليه كثيرا[1]، حيث قال:"وعمدة درسه ببلده قسنطينة الحديث"[2] أي أنه كان مختص في علم الحديث، ومن طرق روايته فيه نجد: عن أبي يعقوب الغماري[3]، وعن أبي علي السخاوي[4]، عن أبي الطاهر بن عوف[5]، عن الأستاذ أبي بكر الطرطوشي[6]، الطـرطوشي[6]،

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص26.

[2]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص330.

[3]- نسبة إلى غمارة، قبيلة من الأمازيغ (البربر) في شمال المغرب الأقصى، أنظر: المصدر نفسه، (ها رقم 03).

[4]- وهو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد الهمذاني المصري السخاوي الشافعي: شيخ مشايخ القراء بدمشق، عالم بالأصول واللغة والتفسير، ولد سنة 558هـ وقيل 559هـ في "خا" بمصر، وسمع من السلفي وأبي طاهر بن عوف وغيرهما، إنتقل إلى دمشق وسكنها وأقرأ الناس بها نيفا وأربعين سنة(ت س 643 هـ) من كتبه "هداية المرتاب"، "منظومة في متشابه "كلمات القرآن"، و"جمال القراء وكمال الإقراء" في التجويد، وغير ذلك.أنظر: المصدر نفسه، (ها رقم 04)، ص 331.

[5]- هو أبو الطاهر بن عوف إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الاسكندراني المالكي توفي في شعبان، وله ستة وتسعون سنة، تفقه على أبي بكر الطرطوشي، وسمع منه ومن أبي عبد الله الرازي، وبرع في المذهب، وتخرج به الأصحاب، وقصده السلطان صلاح الدين وسمع منه "الموطأ".أنظر ابن العماد الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح وتع محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، بيروت ،1406هـ/ 1986 م، ج6،ص 441.

[6]-هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القُريشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد، المعروف بابن أبي زندقة، ولد سنة 451هـ وتوفي 520هـ، صحب أبو الوليد الناجي بمدينة سرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجاز له، أديب، حجة في الفقه والحديث، رحل إلى المشرق سنة 476 هـ، وحج ودخل بغداد والبصرة وسكن الشام مدة ودرس بها كان إماماً عالما عاملا زاهداً ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها باليسير ،له تصانيف منها: "سراج الملوك" الذي أهداه إلى المأمون ابن البطائحي، و "مختصر تفسير الثعلبي" و "بر الوالدين"،أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص 104، أنظر أيضا:ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تع إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1398هـ/ 1978م، ج4، ص ـ ص: 262-265.

عن القاضي أبي الوليد الباجي[1]، عن أشياخه بسنده[2].

ولم يشر إبن قنفذ في ترجمته للشيخ بن علي المذكور إلى أنه أحد أجداده، ولكن المتتبع لنسب البيت القنفذي يدرك أن الشيخ هو والد جده، لكن سكوت إبن القنفذ عن ذلك يؤدي بنا إلى إفتراض وجود تطابق الأسماء بين والد جده وبين الشيخ المذكور،وذلك مستبعدا،إذ يكون قد سقط لفظ"والد الجد"من إبن قنفذ سهوا،لكون أكثر اشتغاله كان بترجمة أجداده لأمه من البيت الملاري،نظرا لتأثره الشديد بهم،لدرجة أنه إنتهج نهجهم،كما أن نشأته وتربيته أيضا كانت مرتبطة بجده يوسف الملاري أكثر من إرتباطها بأبيه أو جده[3].

2 . علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ(ت 733هـ/1333م):

وهو جد صاحب كتاب "الوفيات" والد والده[4]، كانت ولادته بعد سنة 644 هـ/1246م[5]،وهو فقيه محدث متمكن من فن الخطابة، تقلد عدة مناصب بقسنطينة، حيث كان خطيبا بالمسجد الجامع بالقصبة،وكانت مدة خطبته بها نحوا من خمسين سنة في "الوفيات"[6]، وستين سنة في"أنس الفقير"،حيث قال:"وتردد على خطة الخطابة ما يقارب من ستين سنة"[7].

---

[1]- هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي الأندلسي الباجي، كان من علماء الأندلس وحُ فاظها،سكن شرق الأندلس أصله من بطليموس ومولده في باجة غرب الأندلس سنة 403هـ، رحل إلى المشرق سنة 426 هـ، أقام بمكة، كما أقام ببغداد والموصل ودمشق وحلب.وأثناء إقامته لقي كبار العلماء والفقهاء وأخذ عنهم الفقه والحديث نظر، وردّ إلى وطنه بعد ثلاثة عشرة سنة بعلمٍ جم، مع الفقر والقناعة،ثم فتحت عليه الدنيا وولي القضاء في الأندلس،وتوفي بالمرية سنة 474هـ،ودفن بالرباط على ضفة البحر،له تصانيف منها،"المنتقى" في شرح "موطأ مالك"،و"شرح المدونة"،"أحكام الأصول" و"اختلاف الموطآت" و" التسديد إلى معرفة التوحيد"،أنظر: المصدر نفسه،ج2،ص ــ ص: 408-409، أنظر: الدمشقي: المصدر السابق،ج5،ص315.أنظر أيضا:ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص255.

[2]-المصدر نفسه، ص331.

[3]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص219.

[4]-بوكرديمي نعيمة: المرجع السابق، ص 82.

[5]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص48.

[6]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص345.

[7]- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم، المرجع السابق، ص26.

كما أنه تقلد خطة القضاء بها مدة ثم إستعفى فأعفي[1]،وعين أيضا على خطة الفتوى لتضلعه في الفقه وقد كان شغوفا بالعلم معتكفا على التدريس بالمدينة،حيث لقي أعلاما من الناس[2].

وكانت به وسوسة في شأن عبادته بلغت به أنه إذا قبّل أحد طرف ثوبه حبسه بيده ليغسله[3]. وأمر مرة بإخراج منبر الجامع حتى طهر له من صعود غيره عليه[4].

ومن المعلوم أن عائلة نبيهة كعائلة إبن القنفذ لابد أن أبنائها كانوا يتزوجون في سن باكرة وهي عادة معروفة في العائلات المحافظة الدينية. ولم يرزق هذا الجد بولد سوى ابنه حسن بن علي والد إبن قنفذ الخطيب، لأنه ملكه كل ما يملك هذا يعني أنه لا يكون له ذكر غيره، إضافة إلى وجود بنات له[5]. وكان قد أورثه جميع ملكه ماعدا داراً واحدة أنفذها لنفسه من أجل التصدق بها عندما شعر بقرب أجله،قام ببيعها فأثار ذلك تعجب إبنه (والد إبن قنفذ الخطيب) لأنه لا يحتاج إلى بيعها ثم فهم عليه وأمر بأن يتصدق بمالها يوم وفاته، هذا فيه دلالة على ورعه وشدة خوفه من لقاء الله تعالى.حيث قال له:" أبقيت لك عددا من الدور والجنات والأرضين وغير ذلك مما تعلم،وما أبقيت لنفسي إلا دار واحدة أريد أن أرتحل بها عنكم، فلم تهن عليكم"[6].

توفي (رحه) سنة733هـ/1333م، وقد ذكر إبن قنفذ في كتابه "الوفيات" بقوله:"وفي هذه السنة (أي 733هـ) توفي الجد والد والدي حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ"[7].

3_حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن القنفذ(ت750هـ/1349م):

هو والد صاحب كتاب" الوفيات"إبن قنفذ الخطيب[8]، ولد بمدينة قسنطينة سنة 694 هـ/1294م[1]، درس وتعلم بها و بجاية، فقيه مالكي محـــدث مشارك في عــدة علوم، تلــقى تلــقى

---

[1]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص346، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 270.

[2]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص346.

[3]- المصدر نفسه ، أنظر أيضا: ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 46.

[4]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص221.

[5]- ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 47.

[6]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص_ص: 47-48.

[7]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص345.

[8]- لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص 175.

تعليمه على شيوخ من المشرق والمغرب[2].

بالنسبة لشيوخه المغاربة الذين أخذ عنهم نذكر: الشيخ أبو علي ناصر الدين المشدالي البجائي المتوفى سنة(731هـ/1330 م)[3]وا بن غريون العالم الصالح خطيب قصبة بجاية (توفي سنة 731هـ/1330م)[4]، وأبو علي حسن بن حسن البجائي (ت 754هـ/1353م)[5]، وكذلك ممن أخذ عنهم الشيخ الصالح أبو العباس أحمد المكناسي شيخ الغماري، هذا الذي أخذ عنه رواية نافع في القراءة قال إبن قنفذ:"حدثه إبن برجز إبن بـ َري عنه عن مؤلفه، هكذا وقفت عليه بخط والدي في حدود سنة سبع و أربعين وسبعمائة وقبره يتبرك به"[6].

أما شيوخه المشارقة فنجد أبو حيان النحوي (ت654–745هـ/1256–1344م)[7]، وشمس الدين الأصفهاني (ت745هـ/1344م)[8].

وقد كان من فقهاء المالكية ومحدثا تبوأ منزلة العلماء بالمدينة،رحل إلى بلاد المشرق مرتين لأداء فريضة الحج ولطلب العلم[1]، كانت رحلته الأولى للحجاز،حيث تحدث إبن القنفذ

1- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص347 .

2- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم، المرجع السابق، ص26.

3-هو العالم الفقيه أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي البجائي، كان قد أخذ عن عز الدين بن عبد السلام وغيره، له مشاركة في علوم شتى، هو من أهل بجاية، رحل إلى المشرق صغيرا مع أبيه، أنظر: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص346، أنظر أيضا: الغبريني، المصدر السابق، ص 229.

4- هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن غريون، أبو عبد الله، الأنصاري البجائي، كان عالم بجاية ومفتيها في عصره، أنظر: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص347

5- هو أبو علي حسن بن حسين، ناصر الدين البجائي، فقيه مالكي من أكابرهم، أخذ عن منصور المشدالي وغيره، أنظر: المصدر نفسه، ص 359.

6- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص69.

7- هو أبوحيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي النِّفْزي، نسبة إلى نفزة قبيلة من البرر، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه،كان أمير المؤمنين في النّحو، ولد في غرناطة أواخر شوال سنة 654هـ/1256م،قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث في العديد من البقاع، وحصل الإجازات، واجتهد في طلب العلم،(ت س 754هـ/1344م)، أنظر: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص351، أنظر أيضا: ابن العماد: المصدر السابق، ج8، ص251، انظر أيضا: الأتابكي، جمال الدين(813-874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تع محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م، ج10،ص 91، أنظر أيضا: المقري، المصدر السابق، ج2، ص428.

8- هو أبو الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) بن أحمد بن محمد الأصفهاني،أو الأصبهاني: مفسر، كان عالما بالعقليات. ولد سنة (674هـ/1276م) في أصبهان، نشأ وتعلم بها، زار بلاد المشرق، مات بالطاعون في القاهرة من كتبه "مطالع الأنظار في شرح الأنوار" ... الخ، أنظر: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص353.

صاحب "الوفيات" عن ذلك عند ترجمته للصفار وبروره بشيخه، فقال:" كان له (يقصد جده الملاري)تلاميذ مباركة وا ٍخوان مباركون.فمن تلاميذه الشيخ الفقيه الصالح الولي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار،المدفون عندنا في المسجد الذي كان يؤم فيه، داخل باب القنطرة من قسنطينة"[2]. وذلك أن أبو قنفذ الخطيب (ت 810هـ/1407م) لما رجع من الحجاز خرج للقاء الصفار، وقال لبعض الفقراء" غرضي أن ينزل الخطيب بيت إبنة الشيخ".لأنه كان لحسين بن علي بن حسن بن ميمون إبن قنفد زوجة أخرى غير والدة إبن قنفذ الخطيب[3].

ويبدو أن شيخه قد فضله وقدمه على تلامذته بقسنطينة.توفي سنة(749 هـ/1348م)[4].أما الرحلة الثانية، فقد كانت قبل سنة (745هـ/1344م)،لأن أبا حيان النفزي، توفي في تلك السنة، وكان حسن بن علي بن قنفذ قد روى عنه[5].

ورغم تعدد شيوخه إلا أن أكثر من تأثر به ممن أخذ عنهم صهره الشيخ يوسف بن يعقوب البويوسفي الملاري(ت 764 هـ/1362م)، حتى أنه كان كثيرا ما يعتمد على كتب الشيخ يوسف في مجالس علمه[6]. وكان إبن قنفذ الخطيب قد ذكر عند ترجمة والده أنه من تلاميذ جده لأمه فقال:" ومن تلاميذه أيضا والدي- رحمه الله- الخطيب الحسن إبن الخطيب علي من بني القنفذ، صافحه وعاهده وسلك طريقه وساعده، قصد الله تعالى من مصاهرته وا ٍعتضد بقربه ومواصلته"[7].

وقد كان الخطيب الحسن يستعين بكتبه في تدريسه للعلم، وشاء القدر فتزوج ابنته وكان يعتقد في بركاته وكراماته، ومن فوائد إستفادته من العائلة الملارية فائدتين:

إحداهما دينية: وهي أنه- حسب رواية إبن قنفذ الخطيب(ت 810 هـ)- حفظ في سفره الطويل حين إنتُهب اللصوص ماله في ركب الحجاز،فببركة صهره استطاع مواصلة السير

[1]- فيلالي عبد العزيز:أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق،ص26.

[2]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 45، أيضا:ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 44.

[3]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 46، أيضا، ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص44.

[4]-بن عمر علال: المرجع السابق، ص223.

[5]-عادل نويهض: المرجع السابق،ص270، ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 357.

[6]- بن عمر علال : المرجع السابق، ص222.

[7]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 46، أنظر مقدمة ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 42.

إلى الديار الحجازية[1]، فيقول إبن قنفذ في "أنس الفقير":"وحدثنا[أي أبوه] متعجبا أنه لما إنتُهِب في ركب الحجاز حين قطعت بهم لصوص الأعْراب لم يسلم له إلا الفرس التي دس فيها شاشية الشيخ مربوطة مع نفقة صالحة جدد بها راحلته"[2].وهذه الحادثة ربطها ببركة الشيخ،عندما ربط شاشيته بفراشه تبركا بها.هذا فيه إشارة إلى العلاقة التي تربط الشيخ حسن بن علي والعائلة الملارية ومدى تعلقه بها[3].

وثاني الفوائد هي علمية: وهي أنه حين التدريس إنتفع بكتب صهره الملاري، فكان يستعير كتبه في تدريس العلم ويقاسمه فيما يحصل له الثواب ويوفر الأجر، وكان انتماء الشيخ حسن بن علي للملاريين مبنيا على الحب والاعتقاد و الاستمداد[4].

إشتغل حسن بن قنفذ بالتدريس متخذا مجلسا له بالجامع الكبير بالقصبة، وبذلك يعد من العلماء الأجلاء الذين أدوا الأمانة العلمية على أكمل وجه. وذكر ذلك إبنه في كتابه" أنس الفقير":" ومازال والدي (رحه)، حافظا على عهده، مشغولا بطلب العلم وتدريسه ببلده مقتديا بسمته بطريقة أبيه وجده حتى لقي الله تعالى بوسيلة العلم وروايته وسنده"[5].

وقد رُزق بذكرٍ واحد وهو ابن قنفذ الخطيب، ويكون بذلك مثل والده الذي رزق به وحيدا وملكه كل ورثه إظافة إلى البنات،حيث يذكر أنهم متعلمات وتلقين تعلمهن على يد الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله الصفار(749هـ/1348م)[6]، قال ابن القنفذ:"واختصه والدي والدي -رحمه الله -ببناته يعلمهن القرآن ولم تفارقه إحداهن حتى ختمت وكررت ثلاث مرات وقرأت عليه الرسالة،وانتفع بها والدي- رحمه الله -كثيرا في مقابلة الكتب ونحوها"[7]. وكان في قمة الأدب حسن الأخلاق وذلك ما شهدت به إحدى بناته المتعلمات، بحيث لم يسمعن منه كلمة في غير التعليم، وكان شديد التعلق بالشيخ يوسف بن يعقوب البويوسفي الملاري، بحيث يتحدث دائما عليه ويكرر ذلك ويخرج لزيارته من باب القنطرة[8].

---

1 -المصدر نفسه، ص 44.
2 - ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 46.
3 - فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا، المرجع السابق، ص 112.
4 - أنظر مقدمة ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 42.
5 - ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص47.
6 - فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا، المرجع السابق، ص 112.
7 - ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 45 .
8 - فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته، المرجع السابق، ص 112.

وتبرز مكانة الشيخ حسن العلمية في تمكنه من علوم الفقه،حيث إشتهر بتضلعه في علم المواريث، فكان كثيرا ما يستشار في ذلك من طرف العامة، واعتمد عليه حتى الأمراء الحفصيين في تقسيم تركاتهم على أبنائهم، ونستدل بذلك مع الأمير أبو عبد الله الحفصي، الذي ترك سبعة ذكور فخص الشيخ حسن كل واحد بميراثه[1]، فيقول إبن قنفذ في هذا الصدد:"ترك – رحمه الله-من الذكور سبعة، وا ٍتصل كل واحد بميراثه منه مما كان مختصا به، بقسمة الخطيب والدي –رحمه الله-"[2].

وقد لعب الشيخ حسن بن قنفذ دور الوسيط بين العلماء والأمراء والسلاطين الحفصيين، لأنه كان مهتما بالعلماء بارا بهم حيث عمل على قضاء حوائجهم، خاصة إذا تعرضوا للظلم من طرف هؤولاء الحكام[3]، وفي هذا الصدد نورد قصة تبين حسن خدمته للعلماء وهو ما نقله إبن قنفذ عن والده الذي قام بخدمة جليلة للعالم الفقيه المحقق الشهير أبي علي بن الحسن البجائي (ت 754هـ/1353)، والذي عمد الأمير الحفصي ببجاية لقطع مرتبه لخلاف وقع بينه وبين الشيخ، فوصل نبأ ذلك للشيخ حسن بن قنفذ، فبعث إليه كتابا قال له فيه: "إن قطع مرتبك ساءني وا ٍني ألزمت نفسي أداءه لك على قدره من مالي في كل شهر"[4]. أما دوره الاجتماعي فتمثل في الأعمال الخيرية والصدقات، مساعدا للفقراء والمساكين والإحسان إليهم فيقول إبن قنفذ عن والده: "وكان أحب أفعاله إليه صدقة السر"[5].

تولي الشيخ حسن بن قنفذ الذي لقبه إبنه بالخطيب، عدة وظائف منها الإمامة والخطابة بجامع القصبة بعد والده[6]. وبالنسبة لوظيفة القضاء فلم يرد إسم حسن بن علي بن قنفذ، وا ٍنما ورد إسم شخصية أخرى في "الفارسية "وهي شخصية حسن بن خلف الله بن القنفذ في قوله: "... ثم دخل الفقهاء الثلاثة القاضي أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس والشيخ أبو علي بن خلف الله بن القنفذ ..."[7]. ولم يعثر على ترجمة لهذه الشخصية، بما أنه يحمل لقب إبن القنفذ فإنه يرجح أن تكون هذه الشخصية هي نفسها شخصية حسن بن علي،لأن

---

[1]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص223.

[2]- ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص167.

[3]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص223.

[4]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص47.

[5]-المصدر نفسه.

[6]- لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بقسنطينة و بجاية، المرجع السابق، ص 197.

[7]- ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص166.

هذا الأخير تزامن مع غزوة أبي الحسن و إبنه أبي عنان سنة(731 هـ - 749هـ/1332 - 1349م)، (750هـ-759هـ/1349م-1357م).

كما أنه تزامن مع السلطان أبو يحي أبو بكر (717هـ-747هـ/1317-1346م) الذي ولي خطة القضاء لحسن بن خلف الله بن القنفذ[1]، وهذا له تفسير واحد وهو أن حسن بن خلف الله بن القنفذ وحسن بن علي بن قنفذ نفس الشخصية.

أما عن وفاته فيذكر أن الشيخ حسن توقع وفاته، لذلك أعد لنفسه جميع ما يحتاج إليه بعد الموت، من كفن ونعش وتعيين نفقة وغير ذلك، وأوصى بوصايا عدة منها أن ترد البغلة التي أعطيت له أيام السلطان أبي الحسن المريني ليركبها، فردت إلى معطيها بعد موته عملا على إنفاذ وصيته[2].

كانت وفاته سنة 750هـ/1349م: فيقول إبن قنفذ: "وفي هذه السنة أي سنة خمسين وسبعمائة، توفي الخطيب والدي حسين بن علي"[3]، وكان سبب الوفاة الوباء الذي حل بالمدينة في هذه السنة المذكورة، "وهو عام الوباء العظيم العام"[4]، الذي حل بالمدينة في هذه السنة المذكورة،"وهو عام الوباء العظيم العام"،الذي فتك بالأرض ولم يترك إنسان ولا حيوان، وبسبب فتنة هذا الوباء في قضية الفرار ممن مرض به،ألف الشيخ حسن كتابا سماه "المسنون في أحكام الطاعون"[5]، هذا الكتاب هو من الكتب المهمة، الذي عالج فيه أعقد قضية حارت فيها العقول -في عهده – ونعني بها مسألة انتشار الوباء والعدوى، فكتابه هذا ألفه في وقت حرج كانت الأنفس البشرية تعاني فيه ويلات الموت كل يوم وقد تكلم فيه عن:

– فتنة الوباء الذي إجتاح المغرب الإسلامي وغيره في ذلك العصر.

–مسألة اختلاف طلبته الذين قالوا:هل يحق للإنسان أن يبتعد عن الشخص الذي مرض بهذا الداء الوبيل، أو يترك الأمر للأقدار؟[6].

---

[1]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص224.

[2]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 47.

[3]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 357.

[4]- ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 47.

[5]- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم، المرجع السابق، ص26.

[6]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، تق، تع سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د.ط.)، (د.س. ن)، ص-ص: 8-9، أنظر أيضا: عادل نويهض: المرجع السابق ، ص 270.

وله كتابا آخر-نظرا لآرائه الصائبة في الفقه- سماه" المسائل المسطرة في النوازل الفقهية"[1].

4. أبو العباس إبن قنفذ الخطيب (ت 810 هـ/1407م) إسهاماته الفكرية والعلمية:

أـ مولده ودراسته:

هو أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ وكذلك بابن الخطيب، كما سمي بالقسنطيني نسبة إلى مدينة قسنطينة[2].

ولد في مدينة قسنطينة في بيت علم وفقه وتعلم بها[3]، أما تاريخ ولادته فإن إبن القنفذ لم يذكره في أي من مصنفاته الكثيرة، ولكننا نجد في كتاب"نيل الإبتهاج" لصاحبه"التنبكتي" فقد جعلها في حدود سنة 740هـ/1339م[4]، ورغم اعتناءه بالتاريخ فإنه لم يذكر سنة ولادته، ولادته، ربما يعود ذلك إلى أنه عندما ولد كان أبوه مسافر لذلك لم يسجل ولادته، وهذا من أمانته التاريخية وتحريه البالغ وكانت ولادته بالنسبة لعمر أبيه في سن متأخرة لأنه ولد وأبوه في السادسة والأربعين[5].

نشأ في بيئة إجتماعية ساهمت في تكوين شخصيته، ومكنته من أن يكون له شأن كبير في مستقبل حياته، فقد كان جده لأمه يوسف الملاري(ت 764هـ/1362م) من المتصوفة وأبوه من الأدباء المتصوفين، وقد أتاح له وسطه الأسري البسيط تكوينا روحيا وأدبيا ستتميه رحلاته في طلب العلم، ولقاءاته بكبار الفقهاء والعلماء[6].

بدأ تعليمه في مسقط رأسه على يد والده الذي توفي وا إبنه مازال طفلا لم يبلغ العشر سنوات فكفله جده يوسف الملاري والد أمه، حيث تأثر به وذكره في العديد من كتبه[7].

---

[1]- لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بقسنطينة و بجاية، المرجع السابق، ص 198.

[2]- محمد قويسم : ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابة التاريخ (741-810هـ/ 1340-1407م)، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة 08 ماي 1945، ع 07، قالمة، جوان 2013، ص 233، أنظر مقدمة ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 8.

[3]- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم، المرجع السابق، ص 26.

[4]- أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق عبد الحميد عبد الله الهدامة، دار الكتاب، طرابلس، ط2، 1999، 1999، ج1، ص110.

[5]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 53.

[6]- نجاة المريني: ابن قنفذ من خلال رحلته أنس الفقير وعز الحقير، مجلة سيرتا،معهد العلوم الاجتماعية ، ع11، جامعة منتوري، قسنطينة، 1998، ص115.

[7]- فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ القسنطيني مؤرخا لأسرته وبلدته، المرجع السابق، ص 110.

درس على شيوخ قسنطينة وتأثر بهم، منهم الفقيه حسن بن باديس (784هـ/1382م)[1] والفقيه الحافظ القاسم بن باديس (787هـ/1385م)[2].

لم يقتصر إبن قنفذ في تحصيله العلمي على علماء بلدته الذي استوفى علومهم،بل عزم على الرحلة في طلب العلم لأن الرحلة تعد شرفا لكل طالب علم، وكان اقتصار طالب العلم على شيوخ بلده يقدح في قيمة ما يحمله من علم وذلك أن كل العلماء الذين خلدوا أسماءهم في سجل الإبداع العلمي كانت الرحلة في حياتهم شيئا طبيعيا[3].

ب – رحلاته العلمية:

كان للرحلات العلمية دورا هاما في عملية التواصل العلمي والمعرفي والصوفي بين مختلف مدن وحواضر المغرب الإسلامي، خاصة منها: تونس و بجاية و قسنطينة وتلمسان وفاس ومراكش وغيرها. فكانوا يقصدونها بغرض الإستفادة من شيوخها. وقد سار إبن قنفذ على هذا الطريق وكان عمره تسع عشرة سنة، ونستطيع أن نحدد له رحلتين هما: واحدة إلى المغرب والأخرى إلى تونس[4].

***رحلته إلى المغرب الأقصى:**

لقد دفعه حب الرحلة والإستطلاع إلى عقد رحلة علمية إلى المغرب الأقصى فرحل عن مدينة قسنطينة سنة 759 هـ/ 1357م، واستقر به لمدة ثمانية عشر سنة[5]، وتعتبر هذه المدة أخصب مرحلة في حياة المؤلف وفي تكوينه العلمي،لأن المغرب كان يعج بالعلماء الذين يسكنونه أو الذين يفيدون عليه من الأندلس وغيرها[6].

---

[1]-هو حسن بن خلف الله بن حسين بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني من العائلة الباديسية، وهو شيخ ابن القنفذ، قال عنه هذا الأخير :"شيخنا ... روينا عنه الحديث وغيره" أنظر: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 376، أنظر أيضا مقدمة ابن قنفذ:الفارسية، المصدر السابق، ص 53.

[2]-هو الآخر أخذ عنه ابن القنفذ الذي قال عنه "شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث حسن بن أبي القاسم" أنظر: ابن القنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 377.

[3]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 22.

[4]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص228.

[5]- لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بقسنطينة و بجاية، المرجع السابق، ص 198.

[6]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 23.

وكانت فاس أهم حواضر المغرب يومئذ. وبها أعلام المغرب فقصدها المؤلف وأقبل على علمائها يتتلمذ على أيديهم وينهل من علومهم، ويحرص على لقائهم والجلوس إليهم وملازمتهم[1].

تنقل في المدن المغربية سعيا وراء طلب العلم والأخذ عن شيوخه[2]، فزار مدينة مراكش ومنزل إبن تومرت شيخ الموحدين بهنتة، وزار العديد من النواحي والأقاليم لكنه لم يسجل تاريخ الزيارة فتمكن من تحصيل علوم كثيرة خلال هذه الإقامة في المغرب الأقصى التي إلتقى فيها بعلماء عصره[3].

ومن المدن التي زارها كذلك أسفي[4]وسلا مدينة أبي العباس أحمد بن عاشر الولي الصلاح تتلمذ عليه، وبقي على إتصال به إلى أن توفي سنة(765 هـ/1363م)،ثم تردد على سلا لزيارة قبره والتبرك به[5]، ومدينة دكالة[6] التي كان يقعد فيها سنويا مؤتمر للصوفية في شهر ربيع الأول حيث إلتقى بأخيار العلماء والصلحاء ماشردت به عينه حسب وصفه في "أنس الفقير"،التي قلد خطة قضائها سنة (769هـ/1367م) وعمره تسعة وعشرون عاما،وكذلك أقام بأزمور وغيرها حتى صار من علماء المالكية البارزين، وظل إبن قنفذ بالمغرب إلى غاية سنة (776هـ/1374م) التي كانت سنة مجاعة في معظم المدن المغربية[7].

بعدها قرر العودة إلى وطنه فعزم على الرجوع وشجعه على هذا العزم الجوع الذي عمّ المغرب في تلك السنة (أي سنة 776هـ) إضافة إلى نكبة المؤلف في شيخه إبن الخطيب الذي قتل في تلك السنة فأصبح المقام غير مستطاب[8].

---

[1]-المرجع نفسه،ص23.

[2]- نجاة المريني: المصدر السابق، ص 115.

[3]- عبد العزيز فيلالي: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته، المرجع السابق، ص 110 .

[4]- هيمدينة مِسوْرة في مسو من الأرض وأرضها كثيرة الحجر وليس بها ماء إلا من المطر ولها كروم وليس بها بساتين، بساتين، وهي من إقليم دكالة من المغرب الأقصى، أنظر: أبي الفداء: المصدر السابق، ص 132.

[5]- نجاة المريني: المصدر السابق، ص 116.

[6]-هي من مدن المغرب الأقصى، يسكنه البربر، أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج2، ص 459.

[7]- محمد قويسم : ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابق، ص 234.

[8]-أنظر مقدمةابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 24.

وفي طريق العودة وحرصا على زيادة المعرفة مرّ على مدينة تلمسان عاصمة بني زيان، فزار قبر الولي الصالح أبي مدين[1]، وكان قد زاره قبل ذلك، وأقام بها شهرا[2].

_رحلته إلى تونس:

بعد عودته إلى الوطن لم يمض على بقائه سنة واحدة، حتى عزم على شد الرحال في طلب العلم إلى تونس، فسافر إليها سنة(777هـ/1375م)[3]. قام خلالها بزيارة جامع الزيتونة الزيتونة لما كان له من أهمية علمية وثقافية بالمغرب الأدنى، فلقي رحابا من أهلها ومن قبل السلطة كذلك،وقد استفاد من هذه الرحلة كثيرا وتتلمذ على يد مشايخها وأخذ عنهم ومن هؤلاء العلماء نذكر:

_محمد الشيخ أحمد البطرني الأنصاري التونسي(703-793 هـ/ 1303-1390م):

يكنى بأبي الحسن وأبي عبد الله[4]كان محدث تونس في عصره، أخذ العلم عن والده وغيره، قال إبن قنفذ:" وتمتعت به تونس سنة سبع وسبعين وسبعمائة"[5].

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي[6]التونسي(716-803هـ/1316-1400م):

كان إمام تونس وخطيبها،حاز علوما شتى كالفقه والكلام والتفسير وغيرها،تولى إمامة جامع الزيتونة مدة خمسين سنة،وهو صاحب" المختصر الكبير" في فقه المالكية، أخذ عنه إبن القنفذ الذي ذكره في وفيات سنة (803هـ/1316م)[7]، حيث قال:" قرأت عليه بعضه (أي المختصر)وأنعم بمناولته وا ٕجازته، وذلك سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدويرة جامع

---

[1]-أنظر ترجمته عند ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 14 وما بعدها.

[2]- محمد قويسم :ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابق، ص 234.

[3]-المرجع نفسه.

[4]-ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص62.

[5]-أنظر مقدمة ابن قنفذ : شرف الطالب، المصدر السابق، ص 34، أنظر أيضا: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 380.

[6]- نسبة إلى ورغمة منطقة في ولاية مدنين بالجمهورية التونسية، أنظر: مقدمةابن قنفذ: شرف الطالب، (ها رقم 04)، ص ص 34.

[7]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: وسيلة الإسلام ، المصدر السابق، ص11.

الزيتونة"، ووصفه حين ذاك بالاجتهاد في العلم والقيام بالخطبة. وقد أجازه ثم لقيه قبل وفاته بسنة وبه ضعف وبعض نسيان[1].

-أبو مهدي عيسى الغبريني (ت 815هـ/1412م):

بالنسبة لهذه الشخصية العلمية لم نعثر على ترجمتها في الكتب لإبن قنفذ وأنه من أحد أشياخه ماعدا ما جاء في "الفارسيية" حيث ذكر إبن قنفذ أنه كان يحضر مجالس العلم في حضرة السلطان أبي فارس عزوز(796هـ-837هـ/1393-1433م) فقال:"وفي سنة 802هـ/1399م حضرت مجلسه ـ نصره الله ـ في العلم والفقه، والقائم حينئذ برسم العلم في مجلس الأمر قاضي الجماعة بالحضرة الشيخ الإمام أبو مهدي عيسى الغبريني بن أبي العباس أحمد الغبريني..."، ثم قال عن شيخه أبي مهدي:"وهو في درسه حسن العبارة ليّن القول قريب الإشارة شاهدت المفيد درسه"[2].

ج . شيوخـــه:

ذكرت كتب التراجم قائمة للشيوخ الذين درسوه، إضافة إلى ما ورد ذكره في تآليفه ومن هؤلاء الذين أخذ عنهم نجد شيوخه من مسقط رأسه قسنطينة، كذلك شيوخ في المغرب الأقصى حيث تركت مدينة فاس بصماتها الواضحة في شخصيته وفي عطائه، بحكم إنتسابه إلى جامعتها، وتعامله مع علمائها،كما أخذ عن شيوخ تونس، وقد سبق وأن تحدثنا عن شيوخه الذين أخذ عنهم في قسنطينة وتونس. ومن شيوخه الذين درسوه خاصة في فاس نذكر:

ـ أبو الحجاج بن عمر(ت 761هـ/1359م):

وهو إمام جامع القرويين بفاس، له مجالس عدة لقراءة العلم والتصوف، وأخذ إبن قنفذ عن والده أيضا الذي خلف أبيه في الإمامة والتدريس، ثم انقطع عن الإمامة وتفرغ لنشر العلم وأخذ عليه كثير من أصحابه،قال إبن قنفد:"وكنت أنا ممن أخذ عليه". وتوفي سنة إحدى وستين وسبعمائة عن عمر يناهز مائة سنة[3].

---

[1]- أحمد الطويل: ابن قنفذ القسنطيني(740-810 هـ) مؤرخا للحضارة الحفصية مشاركا فيها،مجلة سيرتا، جامعة منتوري، ع11، قسنطينة، 1998، ص 115.

[2]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص241.

[3]-المرجع نفسه، ص 229، ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 74.

ـ أبو محمد عبد الله بن محمد الهرغي الزقندري[1](ت 767هـ/1365م):

ولد سنة 705هـ/1305م بمراكش رحل وحج ولقي كثيرا من الفضلاء وأخذ العلم عن كثير من علماء المغرب دارية ورواية أثنى عليه إبن الخطيب فقال:"غزير الحفظ، جيد المعرفة، مضطلع بفنون، سديد النظر جم المشاركة في حديث ورواية وتاريخ وخبر وكلام وفقه ونظم ونثر"[2]. قال إبن قنفذ:"وحضرت درسه بمراكش في التفسير والحديث والفقه، ولم يكن مثله في زمانه فيها"[3] ولي قضاء أغمات[4]، ثم سبتة، ثم مراكش، توفي سنة 768هـ/1366م[5].

ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن موسى بن أبي زكريا(حيا في 768هـ/1366م):

يعرف بابن الشيخ، يذكر إبن قنفذ أنه دخل داره وأقام عنده، فقال:"ورأيت له دراية لكتاب إبن الحاجب في الفقه، وما رأيت في الظاهر ما أنكره بوجه"[6].

ـ أحمد بن يحي الإدريسي العلويني الشهير بالشريف التلمساني (ت 771هـ/1969م):

ولد سنة (710هـ/1310م) بتلمسان، وبها نشأ وتعلم على يد علمائها، ثم رحل إلى تونس سنة 740هـ/1339م، فأخذ عن إبن عبد السلام وغيره، ثم رجع إلى تلمسان وا نصرف إلى التدريس حتى أخذه معه السلطان أبو عنان إلى فاس وبقي هناك حتى هلك سنة 759هـ/1357م، فرجع إلى تلمسان فقربه أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن وزوجه إبنته وبنى له مدرسة در س فيه حتى وافاه الأجل سنة (771 هـ/1369م)، وقال إبن قنفذ :" في غالب ظني سنة إحدى و سبعين وسبعمائة بتلمسان". من تآليفه: "شرح الجمل"و"المفتاح في أصول الفقه"[7]. وقد أطنب أحمـد بابا التنبـكتي في ترجمته وألف تأليـفا فيه سماه"بالقول سماه"بالقول

---

[1]- ذكرت في مراجع أخرى بالكاف بدل القاف (الزكندري)، أنظر: ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 366.

[2]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 29.

[3]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 368.

[4]- هي ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، أنظر أيضا: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 225.

[5]- أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ج1، ص 224.

[6]-ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 65، بن عمر علال: المرجع السابق، ص 230.

[7]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 366، أنظر مقدمة ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق،ص 55، القلصادي أبي الحسن علي: رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، تونس (د.س.ن)، ص 99.

المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف"[1].

ـأبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الفقيه أبي الربيع سليمان البجائي(ت 773هـ/1371م):

أبوه سليمان هو أول من أدخل مختصر إبن الحاجب في الأصول إلى المغرب، وعنه أخذ، إختص في علم الهندسة والهيئة والحساب، تتلمذ على يد أبي العباس بن البناء الأزدي المراكشي، وحاز عنه علومه بتحقيق قال إبن قنفذ:" وأفادنا هو جملة منها"، وقال أيضا:" كان شيخنا في العلوم السماوية يعني علوم الفلك،توفي سنة 773هـ/1371م، وله تآليف[2].

ـ أبو عمران موسى العبدوسي القاضي (ت 776هـ/1374م):

هو عالم ومفتي مدينة فاس، كان آية في معرفة المدونة له مجلس لم يكن لغيره، يحضره الفقهاء والمدرسون و الصلحاء، أخذ عن أئمة منهم: عبد العزيز القوري وعبد الرحمن الجزولي، وصفه بعضهم بالفقيه المدرس العالم الخير الأزكى الورع الصالح العلامة، قال إبن قنفذ:"لازمته في المدونة والرسالة بفاس ثمان سنين"[3]، قيد عنه تقييد كبير في عشرة أسفار على المدونة، وله تقييد آخر عليها و آخر على الرسالة،قال إبن قنفذ عنه في وفاته: "توفي شيخنا ومفيدنا طريقة الفقه الشيخ الحافظ أبو عمران موسى بن محمد بن معطي شهر بالعبدوسي، سنة ست وسبعين وسبعمائة بمكناسة الزيتون"[4].

ـ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المشهور بالقبّاب(ت 779هـ/1377م)[5]:

هو أحمد بن أبي قاسم بن عبد الرحمن،أبو العباس، المعروف بالقبّاب، فقيه، قاض، من أئمة الحفاظ من أهل فاس، ترجم له لسان الدين بن الخطيب فقال:" فقيه، نبيه، مدرك، ولي القضاء..."،قال إبن قنفذ: "ولازمت درسه كثيرا بمدينة فاس في الحديث والفقه والأصلين". وله"شرح " حسن على قواعد القاضي عياض، و"شرح" على بيوع إبن جماعة التونسي[6].

---

[1] -التنبكتي: نيل الانتهاج،المصدر السابق،ج1، ص 526.

[2] -أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 30، ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 369.

[3] - أنظر مقدمة ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص (ث).

[4] - ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 371.

[5] - أنظر ترجمته في التنبكتي: المصدر السابق،ج1، ص 102 وما بعدها.

[6] - محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 235.

ـ أبو محمد عبد الله الوانغيلي الضرير (ت 779هـ/1377م):

قال عنه إبن قنفذ:" شيخنا ومفيدنا الفقيه الحافظ المفتي بمدينة فاس. قرأت عليه مختصر إبن الحاجب في الأصول والجمل في المنطق،وحضرت مرة درسه في المدونة"، وقال أيضا:"وقد إنفرد الوانغيلي بفهم كتاب إبن الحاجب في الفروع و الأصول وعليه ختمت الأصلين بفاس بمدرسة الوادي"[1].

ـ أبو عبد الله بن الشيخ الصالح أبي العباس أحمد بن مرزوق التلمساني المعروف بالخطيب(ت 781هـ/1379م):

وهو الجد والرئيس، ولد سنة (710هـ/1310م) بتلمسان[2]، وبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى المشرق فحج ودخل بلاد الشام ومصر، ثم رجع إلى غرناطة وخطب بجامع الحمراء، ثم رجع إلى تونس، ومنها إلى مصر حيث شغل مناصب علمية كثيرة[3]، قال إبن قنفذ:"وكان له طريق واضح في الحديث ولقي أعلاما من الناس وأسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة ولمجلسه جمال ولين معاملة"، من تآليفه: "شرح عمدة الأحكام في الحديث"و"شرح الأحكام الصغرى "و"شرح الشفا"، وغيرها، توفي بمصر، جعلها إبن قنفذ سنة 780هـ/1379م[4].

ـ أبو العباس أحمد بن الشماع المراكشي(عاش في القرن 8هـ/14م):

وهو قاضي الجماعة بفاس، ولم يذكر إبن قنفذ العلوم التي أخذها عنه،وا إكتفى برواية أخبار الصلحاء عنه وتبين ذلك من قوله عنه:"حدّثنا"، كما ذكر ذلك عرضا فقال:"شيخنا و مفيدنا"[5].

ـ الولي الصالح أبو علي عمر بن محمد الرجراجي الفاسي(ت 810هـ/1407م):

أخذ عن مجموعة من مشيخة مدينة فاس، أخذ عنه إبن قنفذ وعرّف به وأثنى عليه كثيرا، وقال:" من الأولياء، وصدور العلماء، شهرته بالصلاح أكثر منها بالعلم ... قرأت

---

[1]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 32، ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 78.

[2]- ابن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص19.

[3]- بوعزيز يحي: المرجع السابق، ص 101.

[4]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 375.

[5]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 33.

عليه الفرائض و انتفعت به كثيرا"، إستقر في آخر حياته بحامة قابس و توفي بها وقبره لا يزال لهذا الوقت يزار ويترك به"[1].

ـ أبو محمد عبد الله الأوروبي (عاش في القرن 8هـ/14م):

هو قاضي الجماعة بفاس، وفقيه، ورد ذكره في"أنس الفقير" لقول إبن القنفذ:"وحدثني المرحوم أبو محمد عبد الله الأوروبي وهو ممن رأى الهزميري"[2].

ـ الشيخ أبو محمد عبد الحق الهسكوري الفاسي:

لم نجد ترجمته في كتب التراجم، وذكر إبن قنفذ أنه كان تلميذه قرأ عليه في أصول إبن الحاجب[3].

ومن شيوخه الأندلسيين الذين أخذ عنهم إبن قنفذ أثناء إقامته في المغرب الأقصى، وتتلمذ عليهمـ خاصة في مدينة فاس ـ التي كانت ملتقى علماء منطقة كل الغرب الإسلامي نجد:

ـ أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني الغرناطي (ت 760هـ/1360م):

ولد سنة 697هـ/1297م بسبتة بالمغربوبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى الأندلس،فولي ديوان الإنشاء بغرناطة،ثم القضاء والخطابة،ثم عزل عن القضاء، فعكف على الإقراء وتدريس اللغة والفقه، ثم ولي قضاء وادي آش، وأعيد إلى قضاء غرناطة، وبقي فيه إلى أن توفي سنة 760هـ/1360م من يوم الخميس الحادي والعشرين لشهر شعبان.

كان إمام في الحديث والفقه والنحو، كتب لإبن قنفذ بالإجازة بعد أن تمتع بمجلسه،فقال إبن قنفذ:"وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه، ولم يكن أحد بعده مثله بالأندلس". له شرح الخزرجية في العروض،وشعر سماه:"جهد المقل"[4].

ـ أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي(ت 765هـ/1363م):

هو أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، من أشهر الصالحين الزهاد في المغرب، أندلسي الأصل،إنتقل إلى المغرب وا ٍستقر في مدينة "سلا".قصده السلطان أبو عنان سلطان المغرب سنة 757هـ/1355م يريد زيارته فلم يأذن له بالدخولوزاره لسان الدين بن

---

[1]-المصدر نفسه.

[2]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 232.

[3]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 33.

[4]-المصدر نفسه، ص 28، ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 364.

الخطيب فعدّ مقابلته له ظفرا، إلتقى به إبن قنفذ سنة 763هـ/1361م، بمدينة سلا فقال هنا:"بها لقيته سنة ثلاث وستين وسبعمائة وهو على أتم حال في الورع والفرار من الأمراء والتمسك بالسنة"[1].وظل إبن قنفذ ملازما له حتى بعد وفاته، حيث كان يزور قبره وتأثر بآراءه ووصياه[2].

ـ أبو عبد الله لسان الدين محمد بن الخطيب الغرناطي (ت 776هـ/1374م):

هو فقيه وكاتب إشتهر بلسان الدين بن الخطيب الغرناطي الأندلسي، ولد سنة(713هـ/1318م) بمدينة لوشة[3]، رحل إلى المغرب وتلملن وا ٍستقر بفاس كان أديبا وكبيرا، وعالما متبحرا، قال إبن قنفذ:" وسمعت جملة من تواليفه بقراءته هو في مجالس مختلفة". من مؤلفاته،"الإحاطة في أخبار غرناطة"، أتهم بالزندقة والإلحاد فسجن بفاس، ثم قتل خنقا سنة (776هـ/1334م)[4].

ـ أبو عبد الله محمد بن حياتي (ت 781هـ/1379م):

ولد سنة (718هـ/1318م) بغرناطة وتعلم بها على علمائها، ثم إنتقل إلى فاس فتتلمذ على يد أبي العباس التفزني المكناسي وغيره، وقال ابن القنفذ: "كان له تحقيق في النحو والقراءات"، اختلف في فاته جعلها ابن القنفذ سنة (781هـ/1379م)[5]، وجعلها السراج الأندلسي سنة(788هـ/ 1385م)[6].

وتجدر الإشارة هنا إلى العلاقة الجيدة التي تربط إبن قنفذ بشيوخ العلم، وهو ما نجده،حيث تعددت الشيوخ و الأساتذة الذين تعلم عليهم مختلف العلوم ونهل عنهم.

ونظرا للمكانة التي كان يحتلها ابن قنفذ في البلاط الحفصي، فقد تولى العديد من الوظائف عند عودته إلى مسقط رأسه قسنطينة، فتولى منصب القضاء والإفتاء والخطبة،

---

[1]- المصدر نفسه، ص_ص: 365- 366، نجاة المريني: المصدر السابق، ص 116.

[2]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 234.

[3]- تقع لوشة غربي مدينة غرناطة على قيد نحو 50 كلم منها،على الطريق الممتد من غرناطة إلى إشبيلية، وقد كانت من مدن الأندلس المزدهرة أيام الدولة الإسلامية،أنظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجئ ،القاهرة، ط2، 1973 م، مج1، ص 19.

[4]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 273، أنظر مقدمة ابن قنفذ: وسيلة الإسلام، المصدر السابق، ص 11.

[5]- ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 377.

[6]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 33.

وعكف على نشر العلم والتدريس إلى أن توفي[1]، ومن تلاميذه العلامة إبن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1438م)[2].

د . تآليفــــــــــه:

بعد إستقرار إبن قنفذ في قسنطينة عكف على التأليف والتصنيف، فعرف بتآليفه المختلفة حتى وصف بالمؤلف الذي كتب في جميع المواضيع، وقد بلغت مؤلفاته سبعة وعشرون مؤلفا حسبما ذكره هو بنفسه في كتابة"الوفيات"[3]، و جعلها بعضهم ما يزيد عن ثلاثين كتابا في شتى العلوم، في التاريخ، والفقه والأدب واللغة والمنطق والفلك والحساب والتصوف والتراجم والعروض والأنساب دونها صاحبها في آخر كتاب وهو "شرف الطالب في أسنى المطالب" سنة (684هـ/1285م)،مما يدل على سعة الإطلاع وموسوعيته وعمق تفكيره وتعدد معارفه وتنوعها فزاحم بذلك الدارسين المختصين في علومهم[4]،وبذلك عدّ من الأعلام المكثرين من التآليف[5].

قال إبن قنفذ:"وأعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء وأزمانهم من مهمات المطالب، وكذلك معرفة ما ألف في عصر السائل"[6].

وقد سأله رجل في رحلته عن مؤلفاته ليكتبها ويرويها عنه،فأملى عليه أسماءها[7]، وسنقوم بدورنا إلى تقسيم هذه المؤلفات حسب موضوعاتها مع الإشارة إلى المطبوع منها والمخطوط، والموجود منها والمفقود، وهي كالتالي:

---

[1]- أجمعت كل النصوص التي ترجمت لابن قنفذ على أن وفاته كانت سنة (810هـ/ 1407م)، ولم يخالف في هذا إلا أبو عبد الله محمد بن أحمد الزركشي صاحب كتاب "تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية"، فقد جعلها ليلة الجمعة الثانية عشر لربيع الأول سنة 809هـ، وأيّده كذلك محمود مقيدش صاحب "نزهة الأنظار"،أنظر الزركشي: المصدر السابق،ص 123، أيضا: محمود مقيدش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1988، ج1، ص 595.أنظر أيضا: الونشريسي أحمد:الوفيات، موسوعة أعلام المغرب،تح محمد بن يوسف القاضي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1980،ج2، ص80.

[2]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب،المصدر السابق،ص 39، لزعم فوزية: البيوتات العلمية بقسنطينة و بجاية، المرجع السابق، ص 198، الهادي شغيب: المرجع السابق،ج1، ص 94.

[3]- أنظر مقدمة ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 12.

[4]- Constantine Ibn Cheneb :La farissiya ou la debut de la du nastie hafside par ibn, qonfodde 1928, p37,38., revue, hesperis

[5]-محمود مقيدش: المصدر السابق، ص 595.

[6]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 12.

[7]- محمد علي شغيب: أم الحواضر، المرجع السابق، ص 97.

أ- العلوم الدينية: وتشمل كتب الحديث والفقه وأصوله والفتاوى والنوازل الفقهية، بالإضافة إلى كتب الوثائق والعقود والمناقب.

- المفقودة:

- **تقريب الدلالة في شرح الرسالة:** في الفقه وكان شرح رسالة أبي زيد القيرواني في أربعة أسفار.

- **اللباب في اختصار الجلاب:** في الفقه، وهو التفريع في فروع المذهب المالكي، وهو من الكتب المدرجة في برنامج التعليم بجامع الزيتونة التي إختصرها إبن قنفذ[1].

- **تفهيم الطالب لمسائل أصول إبن الحاجب:** في الفقه قال عنه صاحبه:"قيّدته في زمان قراءتي على الشيخ أبي محمد عبد الحق الهسكوري بمسجد البليدة من مدينة فاس، وكان الابتداء في أول سنة سبعين وسبعمائة "والحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمرو(ت 646هـ/1248م) من أكراد مصر كان أبوه حاجبا فنسب إليه برع في الفقه والأصول ...الخ[2].

- **ونعة الرّائض في مبادئ الفرائض:** في الفقه وهو شرح للأرجوزة التلمسانية في الفرائض لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري المتوفى سنة (690هـ/1290م)[3].

- **تقييدات في مسائل مختصرة مختلفة:**(الفقه).

- **أنوار السعادة في أصول العبادة:** في الحديث وعلومه، وهو شرح لقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:"بني الإسلام على خمس"، وفي كل قاعدة من القواعد الخمس أربعون حديثا وأربعون مسألة[4].

---

[1]-أحمد الطويل: المرجع السابق، ص 124.

[2]- محمد قويسم: الفقيه أحمد بن قنفذ بن الخطيب القسنطيني (741-810هـ/ 1340-1407م)، دورية كان التاريخية،ع 5، دار ناشر للنشر الالكتروني،الكويت، مارس 2012، ص92.

[3]- نصيرة عزرودي: الانتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط، دراسة إحصائية تحليلية، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي،جامعة وهران، ع 18، الجزائر، 1437هـ /2015 م، ص 66.

[4]- محمد قويسم: الفقيه أحمد بن قنفذ بن الخطيب، المرجع السابق، ص92، الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص973، مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص 44، محمد قويسم: ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابق، ص 259.

ـ المخطوطة:

ـ **علامة النجاح في مبادئ الإصطلاح**: وهو كتاب في مصطلح الحديث (مخطوط موجود في المكتبة الوطنية بالجزائر)[1].

ـ **تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد**:(نسخة مصورة من دار الكتب القومية المصرية تحت رقم 2130 تاريخ). قال صاحبه في وصفه:"وهو غريب"،عالج قضية النسب الشريف في بلاد المغرب بعد سقوط الدولة الموحدية سنة (668هـ/1269م) لكثرة المنتحلين والمدعين لهذا اللقب وذلك طمعا في الوصول إلى مكانة إجتماعية متقدمة في بلاط الزيانين والحفصيين و المرنبيين. وقد استغرقت هذه النقاشات والمجادلات عشرات السنين شارك فيها علماء وفقهاء المدن الكبرى تونس و بجاية وتلمسان و فاس وقسنطينة، وتناول فيه فتاوى منها ثبوت الشرف من الأم، وهو من الأسئلة التي طرحت عليه وكانت إجابته الرفض على هذه الفتوى، فسمى كتابه هذا بـ "تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد"[2].

ـ المطبوعة:

ـ **شرف الطالب في أسنى المطالب**:(وهو كتاب في الحديث وعلومه)، وهو في مصطلح الحديث، في قسمه الأول شرح لمنظومة ألقاب الحديث التي وضعها إبن فرج الإشبيلي (ت 699هـ/1300م)، وهي عشرون بيتا في أنواع علوم الحديث بعنوان غرامي صحيح، أما القسم الثاني هو تراجم حققه محمد حجي بالمغرب[3].

ـ **أنس الفقير وعز الحقير**:عنوانه الكامل "أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم"، وهو كتاب في مناقب أبي مدين الغوث، قال صاحب جواهر الكمال:"هو شبه رحلة تقصى فيها تنقلاته بالمغرب الأقصى ومن لقي من أهل العلم

---

[1]- نصيرة عزرودي: المرجع السابق،ص67، إبن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 309.

[2]- محمد قويسم: ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابق، ص 259، بوبة مجاني:تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد لأبي العباس أحمد بن علي بن حسن بن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1407م)، مقاربة أولية، مجلة سيرتا، معهد العلوم الإجتماعية،ع 11، جامعة منتوري، قسنطينة،ص151.

[3]- محمد قويسم: الفقيه أحمد بن قنفذ بن الخطيب، المرجع السابق، ص92، ابن قنفذ: شرف الطالب: المصدر السابق، ص41 محمد الحفناو ي: المرجع السابق، ج1، ص31.

والصلاح"[1]، وقد ألفه تلبية لطلب إخوانه وأصدقائه في مدينة قسنطينة من أتباع الطريقة المدينية (طريق أبي مدين) سنة 787هـ/1385م، حيث يعطي صورة للحياة الدينية والصوفية في المغرب، وهو ما يوضح الاتجاه الصوفي لإبن قنفذ[2].

II- العلوم الإنسانية والإجتماعية:

- كتب التاريخ:

- المفقود:

-المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية: وهو عبارة عن مختصر لكتاب الرحالة العبدري[3].

- المطبوع:

-الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: ألف سنة 806 هـ/1403م، أهداه السلطان أبي فارس وأطلق عليه اسمه، وهو سرد مدقق للأحداث التاريخية المرتبة على السنين من بداية نشأة الدولة الحفصية إلى تاريخ انتهاء الكتاب في أوائل سنة 806 هـ/ 1403م. كما يتضمن على وجه الخصوص عددا كبيرا من المظاهر الخاصة بقسنطينة، وبالتالي يعد من أهم المصادر وأجلها عن الحياة العلمية والأدبية والفكرية في العهد الحفصي عموما، وفي عهد أبي العباس أحمد وعهد أبي فارس بالأخص. حيث وصف ابن قنفذ هذه الحياة بعبارة العارف العالم الذي لا يغيب عنه شيء مهما دققنا عن الحياة العلمية وعن حياة العلماء والأدباء في عهده بإفريقية[4].

- كتب التراجم:

[1]- نجاة المريني: المرجع السابق، ص 115، وما بعدها، فيلالي عبد العزيز :أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص27، الكتاني: المصدر السابق،ج2،ص973، محمد قويسم: ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه، المرجع السابق، ص 236، الزركلي: الأعلام، المصدر السابق،ج1، ص 117.

[2]- محمد قويسم: ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه، المرجع السايق، ص 236.

[3]- فيلالي عبد العزيز :أبرز علماء قسنطينة،المرجع السابق،ص 27، ابن مريم:المصر السابق،ص309، ابن قنفذ: الفارسية،المصدر السابق،ص 85.

[4]- محمد قويسم: ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابق،ص 235، روبار برنشفيك: المصدر السابق،ج2، ص-ص:414-115، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق،ج1،ص-ص: 41-42، مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص 493، ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 65، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 268، أحمد الطويل: المرجع السابق، ص 122، عمارة علاوة:دراسات في التاريخ الوسيط الجزائر و الغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008 م، ص169.

- المفقودة:

-طبقات علماء قسنطينة: ذكر إبن شنب أن هذا الكتاب قد يوجد في إحدى خزانات قسنطينة الخاصة، وذكر عادل نويهض أنه اطلع على مخطوطة من هذا الكتاب في مدينة الجزائر ويعمل على تحقيقها، لكن بعد وفاته لا نعلم شيئا عن هذا الكتاب[1].

- المطبوعة:

- الوفيات: ألفه عام (803 هـ/1400م)، مع عنوان فرعي وهو معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11هـ/632م إلى سنة 807هـ/1404م، جمع فيه أسماء أشهر الوفيات من عصر النبوة حتى انتهى إلى ذكر شيوخه وغيرهم من علماء المغرب منهم عشرون عالما من الجزائر، وجعله ذيلا لكتابة "شرف الطالب"[2].

-كتب السيرة والمديح النبوي:

-المطبوعة:

-وسيلة الإسلام في الإقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام: كتب هذا المختصر بقسنطينة سنة 787هـ/1380م، قال عنه مؤلفه:وهو من أجل الموضوعات في السّير لاختصاره"[3].

-حمية الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام: تحقيق ودراسة بوركبة محمد، منشورات دار ابن حزم[4].

- كتب اللغة والأدب والنحو:

- المفقودة:

- **الابراهيمية في مبادئ اللغة العربية .**

- هداية السالك في بيان ألفية ابن مالك.

---

[1]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 268، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص 6، ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 65،محمد قويسم: ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابـق،ص 238،

Ibn cheneb :OP.Cit ,p39.

[2]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 17، محمد قويسم: ابن قنفذ ومنهجه، المرجع السابق، ص 235، فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص27.

[3]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: وسيلة الإسلام، المصدر السابق، ص13، طايبي زيد، مباركية عبد القادر: المرجع السابق، ص 58، الكتاني: المصدر السابق،ج2، ص 974، ابن مريم: المصدر السابق،ص 309، الحفناوي: المرجع السابق،ج1، ص31.

[4]- نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص70.

- **بسط الرموز في عروض الخزرجية.**
- **جهد المقل.**
- **النفحات المقدسية**[1].

IIi- العلوم العقلية:

- **علم الحساب:**

-**المفقودة: بغية الفارض من الحساب والفرائض**[2].

-**المطبوعة: مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين:** وهو شرح لأرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة، حققه يوسف قرقور[3].

-**المخطوطة:**

-**حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب:** وهو شرح لتلخيص أعمال الحساب لابن البناء المراكشي، وتوجد منه نحو خمسة نسخ معروفة منها بالمكتبة الحسنية بالرباط، رقمها 8563. وبالمكتبة العامة بالرباط، رقمها: ك 2/1070. د1/123.

-**التلخيص في شرح التلخيص** وهو تلخيص لحط النّقاب: مخطوط بالرباط، المكتبة العامة رقم/ك5/939، ونسخة بالمكتبة الناصرية بتما كروت، رقمها 4/1753[4].

-**علم الفلك:**

-**المفقودة:**

-**وقاية المؤقت نكاية المنكّت.**

-**تسهيل العبارة في تعديل الإشارة:** يحتوي علة أربعة وستين فصلا كما قال عنه صاحبه[5].

-**القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية**[1].

---

[1]- ابن قنفذ: الفارسية ، المصدر السابق، ص 79، 81، ابن قنفذ: شرف الطالب: المصدر السابق: ص-ص: 41- 45، ابن مريم: المصدر السابق، ص 309، نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص70.

[2]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 109، أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح محمد مطيع، المملكة المغربية، الرباط، 2000م، ج1، ص- ص:103- 104.

[3]- نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص72، أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب: المصدر السابق، ص45.

[4]- المصدر نفسه، أنظر مقدمة ابن قنفذ: وسيلة الإسلام، المصدر السابق، ص 14، نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص 73.

[5]- ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ، ص- ص:154- 155، ابن مريم: المصدر السابق، ص 109.

- **المطبوعة :**

- **شرح رجز ابن أبي الرجال:** حققه مارك أوليبيراس من جامعة برشلونة، قسم الفيلولوجيا، 2012م[2].

- **المخطوطة:**

- **تسهيل المطالب في تعديل الكواكب:** مخطوطة بثلاث نسخ بالخزانة الحسنية وهي تحت الأرقام التالية:10270(مجموع) وكذلك 10153 و 11984، وتوجد نسخة بالخزانة الملكية بالرباط، تحت رقم 5262[3].

السـّراج منظومة في علم الإسطرلاب: مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 7106[4].

- **أسماء البروج:** مخطوط ضمن مجموع الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، رقمه 5/38.

- **أرجوزة في تقويم الكواكب السيارة:** مخطوطة بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا رقمها 152.

- **السراج الثقاب في علم الأوقات:** وتسمى أيضا "السراج" وهي منظومة في علم الإسطرلاب، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس، تحت رقم 4629.

- **شرح رجز الدلالة الكلية عن الحركات الفلكية** : مخطوط بالخزانة الحسنية في الرباط ضمن مجموع رقم 923 (مجموع)، ونسخة أخرى تحت رقم 11984 (مجموع)، ونسخة بالخزانـــة العلمية الصبيحية بسلا ضمن مجموع رقم1/309، وبدار الكتب الوطنية بتونس

---

[1]- محمد شغيب: المرجع السابق، ص98، ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 80، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 269.

[2]-تواتية بودالية : عرض مخطوطة "شرح ابن قنفذ القسنطيني لأرجوزة الدلالات الفلكية لابن أبي الرجال ، محاضرة ألقيت بكلية الآداب والحضارة الإسلامية ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة، بتاريخ 27،28 نوفمبر 2016 ،(من س10:15-10:30)، ص4، نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص74.

[3]- قال عنه الزركشي: " لم يهتدي أحد إلى مثله من المتقدمين "، أنظر: فيلالي عبد العزيز: علماء قسنطينة و أثرهم، المرجع السابق، ص27، الزركلي: الأعلام، المصدر السابق،ج1، ص 117، روبار برنشفيك: المصدر السابق، ج2، ص388، محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص361.

[4]- نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص 73.

ضمن مجموع رقم 2979، ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية في القاهرة رقم 1053عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية رقم 101 ميقات[1].

- **القول في رسم الأسطرلاب**: مخطوط بالخزانة الوطنية بتونس، رقمها 4620.[2]
- **علم المنطق:**
- **المفقودة :**
- **إيضاح المعاني في بيان المباني** :قال عنه مؤلفه"وهو شرح لرجز في المنطق ".
- **تلخيص العمل في شرح الجمل في المنطق للخونجي[3].**
- **الطب:**

-المفقـــود :- أنيس الحبيب عند عجز الطبيب[4].

-المخطوطة :-أرجوزة في الطب: وهي عبارة عن كتاب مخطوط، الجزاء الثالث من مجموع بالمكتبة القومية بباريس تحت رقم 2942 من ورقة 11 إلى الورقة 29.

-أرجوزة في الأغذية و الأشربة: مخطوط ضمن مجموع الخزانة الحسنية بالمغرب، رقم 515،مجموع عدد أبياتها 289 بيت[5].

من هنا يتضح لنا تصدر العائلة القنفذية للتأليف، واشتهر منها ابن القنفذ أحمد بن الحسن القسنطيني هذا الذي صنف في شتى المواضيع سواء النقلية أم العقلية، وقام بشروحات واختصارات لكثير من المؤلفات الهامة لم يحقق منها لحد الآن سوى عدد قليل.

وتجدر الإشارة هنا إلى بروز ابن قنفذ في العلوم العقلية سيما في علم الحساب والفلك، حيث أبدع فيها بشكل كبير، وقد نقل عنه كل من القلشاني (ت863هـ/1459م) أخذ عنه في كتابه (شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني)، كذلك المازوني[6] (ت883هـ/1478م) أخذه

---

[1]- عقيد مبروك: الإنتاج المعرفي في ميدان العلوم العقلية في قسنطينة، محاضرة ألقيت بقسنطينة، قسم التاريخ كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بتاريخ 27و 28 نوفمبر2016 ، (من س10:45 – 11:00)، د. ص، نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص 73، ابن مريم: المصدر السابق، ص 109 .

[2]- نصيرة عزرودي : المرجع السابق، ص 73.

[3]-التنبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق،ج1، ص103، ابن قنفذ :الفارسية، المصدر السابق، ص80 .

[4]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: وسيلة الإسلام، المصدر السابق، ص14.

[5]-نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص75.

[6]-أنظر ترجمته في التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1، ص637.

عنه في كتابة (الدرر المكنونة في نوازل مازونة)، الونشريسي[1] (ت914هـ/1508م) نقل عنه في معياره، و الزركشي في تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية[2].

و -مكانته العلمية:

بلغ ابن قنفذ في العلوم شأوًا بعيدا، فلم يقتصر في التحصيل على نوع واحد منها، وإنما حصل علوما كثيرة متنوعة يظهر ذلك من خلال المؤلفات التي تركها، أو المناصب التي تولاها كالقضاء والخطابة سواء كان ذلك في بلده الأصلي (قسنطينة) أو في المغرب زمن الطلب والتحصيل، وغير خافٍ أن هذه المناصب التي ذكرناها تحتاج إلى تبحر في علوم شتى بدءا بعلوم اللغة والبلاغة ومرورا بالعلوم الشرعية من حديث وفقه وتفسير وأصول وفرائض وغيرها، وإنتهاءا بعلوم التاريخ والرجال، مع معرفة بالحساب والفلك.ومن أجل ذلك استحق ابن قنفذ ثناء العلماء عليه وتنويههم بفضله وعلمه واستحوذ على إهتمام المؤرخين والمتتبعين لتاريخ المغرب أيام الحفصيين و الزيانيين و المرنيين[3]، فوصف هذا العالم بأوصاف كثيرة العالم المتفنن، الرحالة، القاضي، الفاضل، المحدث، المصنف، الخطيب الإمام، الفهامة، الأديب، الصالح، المفضال، الفقيه، العلامة، المبارك إلى غير ذلك من الأوصاف والنعوت التي تعتبر حقيقة بمثابة شهادة علم لهذا الرجل[4].

وهناك مقومات ساعدت على بروزه نذكر منها حب الأمير الحفصي للأدب، حيث نمت في عهده العلوم الإسلامية والأدبية كذلك بسبب التقاء ثقافتين الأندلسية التي تمثلها الجالية الأندلسية، والتونسية الأصلية والتي تمثلها مدرسة القيروان. كما أنه برز في فترة

---

[1]-أنظر ترجمته، الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج1، ص5 وما بعدها.

[2]-فيلالي بلقاسم: مكانة ابن قنفذ القسنطيني (740-810هـ/1340-1407م) العلمية من خلال المؤلفات، محاضرة ألقيت بقسنطينة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، تاريخ 27و28 نوفمبر2016، (من س30: 11-45: 11)، د.ص،م حمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص361، التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق ،ج1، ص110.

[3]-أنظر مقدمة ابن قنفذ: شرف الطالب، المصدر السابق، ص35.

[4]-التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1،ص109، التنبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق،ج1، ص103،محمد مخلوف: المصدر السابق،ج1، ص361،الحفناوي: المرجع السابق،ج1، ص30، ابن القاضي: المصدر السابق،ج1،ص154، الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص973.

ظهرت بها مجموعة من الأدباء والمؤرخين الكبار منهم اللبلي، وبن عمار وبن سعيد والقاضي بن البراء وبن الخباز وبن السماط وبن زيتون[1].

ورغم أن ابن قنفذ كان من الباحثين القلائل في عصره الذين كتبوا في علوم وفنون كثيرة إلا أنه لم يرق إلى مصاف بعض علماء عصره مثل ابن خلدون[2] في التاريخ، أو الونشريسي في النوازل كما عبر عن ذلك ابن شنب في إحدى مقالاته[3].

إن عدم التخصص في مجال واحد هو المنهج الذي اتبعه في تناول مواضيع مختلفة، جعلته لم يستطع مزاحمة الكبار من العلماء في عهده، ومع ذلك يبقى ابن قنفذ العالم الشهير الواسع الاطلاع الكثير المعارف أحد أقطاب العلاقات العلمية الوثيقة لانتشار المعرفة العلمية بكل بلاد المغرب.

وهذه المكانة التي تمتع بها في المجتمع مكنته من تقرب أمراء الدولة الحفصية إليه ومنحه مناصب عالية، وفيما يلي سوف نبرز المكانة السياسية لعائلة ابن قنفذ في البلاط الحفصي.

ثالثا- علاقة الأسرة القنفذية بالسلطة الحفصية:

كانت السلطة السياسية تتحالف مع البيوتات لضمان إستقرار الملك، ومن أجل تحقيق هذه الغاية تسمح بتوريث بعض الوظائف في الدولة كالوزارة و الحجابة وقيادة الجيش، وحتى القضاء والكتابة وغيرها من الوظائف. وهكذا تساهم الدولة بشكل مباشر في نشأة البيوتات أو في إستمراريتها.

ومما شجعها على ذلك ما تمتع به أبناء البيوتات من ثقافة عالية، لحرص أهل البيوتات على تلقي أبنائهم المعارف والفنون المختلفة كالأدب والشعر وغيره، بالإضافة إلى ما يكتسبه أبنائهم من الجو الذي نشأوا فيهمن لباقة، وا ٍقدام وفروسية، وما تعلموه من آبائهم من مبادئ الوظائف التي كانوا يشغلونها هم، وينقلون إليهم تجاربهم في الممارسة السياسية[4].

---

[1]-أحمد الطويل: المرجع السابق، ص121، أنظر مقدمة ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص29 وما بعدها.

[2]ما يلاحظ على ابن خلدون وابن قنفذ، رغم أن هذا الأخير كان معاصرا لابن خلدون وذلك عندما قدم إلى مدينة قسنطينة من تونس سنة 752هـ/1352م، إلا أنه لم يكتب أحدهما عن الآخر، ولعلهما لم يجتمعا ولم يتعارفا، أنظر:محمد الهادي شعيب: المرجع السابق،ج1، ص97.

[3].- Ibn Cheneb :Op .cit ,p 40

[4]- لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 31.

ومن بين تلك البيوتات التي كانت لها علاقة وثيقة بالحكام، بيت ابن القنفذ، هذا الأخير الذي لعب دور مهم في بلاط بني حفص، سواء من حيث الولاء أو تولي الوظائف والمناصب الرفيعة لهم كالخطابة والفتوى والقضاء، حيث اشتهرت أو يمكن أن نقول تصدرت هذه العائلة لوظيفة القضاء طيلة العهد الحفصي مقارنة بالبيوتات الأخرى التي ظهرت في هذه الفترة كبيت ابن الفكون، فقد توارث أفراد هذه العائلة –كما سنبين- لهذه الوظيفة الراقية، ولم يقتصر دورها على هذا الجانب فقط، بل كانت لها مواقفها السياسية من جراء الأحداث التي وقعت بمدينة قسنطينة، والدور الدبلوماسي الذي قامت به لصالح الدولة.

إنّ العلاقة الحسنة للبيت القنفذي مع السلطة قد أكسبها حظوة كبيرة، ومن أفراد هذه العائلة التي كانت لهم علاقة متينة بالسلطة الحفصية نجد الجد علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ الذي ذكرناه سابقا، فقد ورثها عن الشيخ يعقوب الملاري (ت717هـ/1357م)الذي كانت تجمعه علاقة محبة وود[1]، حيث كان الحفصيون يقدرون الشيخ الملاري ويعتقدون فيه ويتبركون بمجالسه. وكان السلطان أبو العباس أحمد الأول (750هـ/1346م يذكر الشيخ الملاري بخير ويقول عنه:" مارأيت بعد سيدي أحدا"[2].

كما تعود هذه العلاقة إلى الوظائف التي تقلدها، حيث كان خطيبا بالمسجد الجامع بالقصبة يؤمّ الصلاة فيه بالأمراء وكبار رجال الدولة، وكان الحفصيين يعتمدون عليه في تعبئة سكان قسنطينة إذا تعرضوا لحصار أو هجوم خارجي كما حدث عندما حاصر بنو زيان المدينة سنة 721هـ/1321م، في عهد أبي يحي أبي بكر (717-747هـ/1317-1346م)، وكان سلطان الزيانيين آنذاك أبي تاشفين الأول(718-737هـ/1318-1337م). ومن المواقف التي ذكرها ابن قنفذ والتي كان جده لأبيه دخْل فيها هو، أنه لما اشتد الحصار على مدينة قسنطينة وضعفت عزيمة الحفصيين،أخذ هذا الجد يحرض المقاتلين ويشجعهم

---

[1]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 243.

[2]-ابن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 44، فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، ع11، قسنطينة، محرم 1418هـ/ ماي 1998م، ص 111.

ويدعوا الناس للمشاركة وكان الأمير الحفصي ينظر إليه من أعلى باب الواد وهو يتعجب لشجاعته ويثني عليه[1].

كما كان الأمراء يعتبرونه الواسطة بينهم وبين أهل قسنطينة، حتى أنّهم يلقون عليه اللوم في حالة العصيان، كما حدث في عهد السلطان أبي البقاء خالد (709-711هـ / 1309-1311م)، عندما تمرد عليه إبن الأمير وحاول الانفصال بالمدينة، فألقى عليه السلطان اللوم من جراء هذه الحادثة وكان جوابه:"أنتم –نصركم الله- تمكنون بلدكم لمن تغفلون عنه وتتركونه يزيد في الرجال والعدة وفي جمع المال واختزان الطعام ولا تعيبُون عليه، فإذا أعجبتهنفسه وزيّن له الشيطان عمله، ووقع فيما وقع فيه، وتعلمون أن لا قدرة للحضري على مدافعة من هذه صفته " فوافق السلطان على ذلك[2]. وهذا دلالة على براعة حنكته السياسية، ومن ثم أصبح الأمير خالد يتردد مرّة على قسنطينة ويتفقد أمورها، ومرة ببجاية ولكن إقامته أكثر كانت بمدينة بجاية[3].

كما كان الشيخ حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت 750هـ/1349م) والد ابن قنفذ الخطيب من المقربين للسلطة الحفصية، تولى منصب الخطابة بجامع القصبة خلفا لوالده. كما ذكرنا سابقا فأضحى بذلك والده الإمام المفضل لأمراء بني حفص، كما لعب هو الآخر دور الوسيط بين العلماء والأمراء وكان يرافق أمير قسنطينة أبي عبد الله محمد بن أبي يحي أبي بكر (ت س 739هـ/1439م) عند زيارته للسلطان الحفصي في تونس في موكبه الخاص[4].

كما ذكر ابن قنفذ أن والده كان سفيرا للحفصيين في المهمات الدبلوماسية الصعبة، ومن ذلك أن الدولة الحفصية عندما تعرضت لحصار بني مرين[5] سنة 748هـ/1347م، من طرف السلطان أبي الحسن المريني الذي إستولى على بجاية وقسنطينة وتمكن من الوصول إلى العاصمة تونس، وكنا قد تعرضنا في الفصل الأول إلى استيلاء بني مرين على مدينة

---

[1]- ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 162، فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته، المرجع السابق ص 112.

[2]-ابن قنفذ: الفارسية ، المصدر السابق، ص 158.

[3]-المصدر نفسه.

[4]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 224.

[5]- لمزيد من المعلومات حول هذا الحصار أنظر: خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 56 وما بعدها.

قسنطينة، ونحن لا نريد سرد هذه الأحداث وإنما نهدف إلى الدور السياسي لبيت آل قنفذ منهم والد ابن قنفذ هذا الذي استطاع أن يخرج بني مرين من مدينة قسنطينة من خلال المفاوضات التي أجراها معهم بالقصبة.ونظرا لما تمتع به من حنكة ودبلوماسية استطاع إقناعهم واستجاب بنو مرين لطلب الأمير الحفصي[1].

كما كان الشيخ حسن بن قنفذ يتدخل في الصراعات التي كانت تقع بين الأمراء والسلاطين الحفصيين على مدينة قسنطينة وهناك نماذج كثيرة على هذه الصراعات، منها ما وقع على عهد السلطان أبي يحي أبي بكر (747هـ -747هـ/17-13-1348م) هذا الذي تولى حكم المدينة استنادا للفتوة الشرعية التي أفتاها له الشيخ حسن بن قنفذ سنة 748هـ/1347م هذا الصراع الذي كان بينه وبين عمه الفضل بن أبي يحي أبي بكر، وتمكن الشيخ حسن ابن قنفذ من خلال المستند الشرعي حسم الصراع، ومن الحجة التي كانت واقعة في أن الذي انتزع البلد غلبة وانتزعها من يده من لم تكن له فالأْولى أن ترجع إلى من انتزعت من يده غلبة[2].ومن الذين كانت لهم خطوة كبيرة في البلاد الحفصي ابن قنفذ مؤلف كتاب "الفارسية" الذي كان على اتصال وثيق بسلاطينها وأمرائها الذين كانوا يترددون على مدينة قسنطينة وكان ابن قنفذ كثير الزيارات إلى تونس، ومؤيدا لأمرائها أبي العباس (727-796هـ/1370-1393م) الذي زار معه قبر الشيخ أبي مدين بعباد تلمسان سنة 761هـ/1359م[3]، وابنه أبي فارس الذي تولى السلطة سنة (976-838هـ/1393-1434م) وتجلى ذلك في كتابه الفارسية[4] والذي أهداه له مع العلم انه لم يذكر أي إساءة للحفصيين عند تعرضه لتاريخ دولتهم ولمدينة قسنطينة[5].

---

[1]- فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته، المرجع السابق،ص 112، علال عمر: المرجع السابق، ص 225.

[2]-المرجع نفسه، ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص 179.

[3]-Ibn cheneb :Op. Cit , p37-38.

[4]- إن الهدف من تأليف ابن القنفذ لكتاب "الفارسية" لم يكن طمعا في مال أو حظوة، ولكنه ألفه لأسباب أخرى منها: أن الأمير أبي فارس كان من مواليد قسنطينة، فكانت هذه الحقيقة كافية في دفع ابن قنفذ إلى إهداء كتابه إلى السلطان (القسنطيني) الذي يحكم من حاضرة تونس. إضافة إلى أن ابن قنفذ كان في خدمة الدولة الحفصية ، كما كان والده وجده لأمّه، ولعله شعر أن واجب الخدمة يقتضيه رد الجميل، كما قد يكون تأليفه لإظهار مكانة قسنطينة فيه.أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق ،ج1، ص 64.

[5]-روبار برنشفيك: المصدر السابق،ج2، ص 388.

ربطت ابن قنفذ بتونس علاقة حميمة، فقد زارها من قبل مرات وأقام فيها سنوات عديدة من سنة 776هـ إلى سنة 802هـ، ولقد تمتع بما أتاحته له العاصمة الحفصية المترفة من وسائل اللهو واللعب كما عبر عن ذلك في هذه الأبيات إذ يقول :

مضت ستون عاما من وجودي   وما أمسكت عن لعب و لهو
وقد أصبحت يوم حلول إحدى   و ثامنة على كسل و سهو
فكم لابن الخطيب من الخطايا   و فضل الله يشمله بعفـــو[1].

كان مشاركا نشيطا في الحياة العلمية والفكرية بتونس، يحضر مجالس الخليفة، ويشرح كتب بعض علماء تونس مثل شرحه لرسالة عبد الله بن أبي زيد القيرواني وغيرها، وكان يحضر مجالس الخليفة أبي العباس أحمد مع أكابر العلماء، يقول:" ورتب مجلسا جليلا، واختص خواص لمجلسه يتسابقون إلى نصحه وانسه جلست مجلسه السعيد وشاهدت أمره الكريم السديد سنة 776هـ/1374م"[2].

كما أنه كان يحضر مجالس الخليفة أبي فارس عزوز وذلك سنة 782هـ/1380م، فيقول في ذلك:"وفي سنة 802هـ حضرت مجلسه-نصره الله- فالعلم بقصبتهم السعيدة في الحضرة العلية في التفسير والحديث والفقه.

والقائم حينئذ برسم العلم في مجلس الأمر قاضي الجماعة بالحضرة الشيخ الإمام الحافظ أبو مهدي عيسى بن أبي العباس أحمد الغربيني، وهو شيخ نال من المعارف ما اشتهى، وحاز من العلوم الغاية والمنتهى..."، وقد وصف ابن قنفذ حالة السلطان في المجلس بأنه كان على تواضع وتوقير للعلم[3].

تولى ابن قنفذ من الوظائف خطة الخطابة والإفتاء والقضاء والتدريس التي ورثها عن أجداده، ونظرا للعلاقة الوطيدة بين ابن قنفذ والسلطان الحفصي أبي فارس عزوز، وقد أعاد هذا الأخير خطة القضاء إلى ابن قنفذ التي انتزعت منه، وكان عندها قد أعتزل السياسة

[1]- أحمد الطويل: المرجع السابق، ص 123، مقدمة ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 9.

[2]-أحمد الطويل: المرجع السابق، ص 124.

[3]- ابن قنفذ: الفارسية ، المصدر السابق، ص 197، أحمد الطويل: المرجع السابق، ص 124.

والمناصب الإدارية وذلك أثناء فتنة أبي بكر وانفصاله بقسنطينة عن السلطة الحفصية بتونس سنة 798هـ/1395م[1].

ولما نقرأ مراسيم الاستقبال الرسمية في البلاط الحفصي بتونس ونظام التفتح المعمول به ندرك تلك الخطوة ومنها مراسيم استقبال السلطان أبي بكر لابنه الأمير أبي عبد الله والي قسنطينة سنة 734هـ/1334م، ومن كان "معه من وجوه من صحبه"، بحيث دخل المزوار القائد أولا، ثم دخل الفقهاء الثلاثة "القاضي الشيخ ابن القنفذ والفقيه الطبيب، ثم الكاتب، ثم بقية القواد والخواص ووجوه الفرسان"[2].

وكان ابن قنفذ يقدم الخدمات لسلاطين بني حفص، خاصة في كسب ولاء العامة لهم، ويقدم فتواه بعدم جواز الخرو ج عن السلطان، أو إقامة ثورة ضده ويجب تقديم الطاعة له[3].

وخلاصة القول أن البيت القنفذي لعب دورا كبيرا في مدينة قسنطينة، وحقق نجاح وشهرة لا مثيل لها، هذا البيت الذي يعد من أعرق البيوتات والأسر، قد تمكن من كسب المجتمع وحقق ثروة وجاه كبير بفضل علماءه الذين حملوا راية العلم في المدينة وخارجها، وأخرجوا أمة مثقفة وبذلك اكتسبوا مكانة علمية واجتماعية هامة، إضافة إلى المكانة السياسية التي اكتسبوها من خلال علاقاتهم الوطيدة مع السلطة الحفصية، فقد استحوذوا على الوظائف السامية ذات الشرف العلي منذ بداية القرن 8هـ/14م، وتوارثو ا هذه الوظائف أبا عن جد خاصة خطة القضاء، هذا ما يدل على سيطرة هذا البيت على الامتيازات الدينية والسياسية عن باقي البيوتات الأخرى في هذه الفترة. ومن البيوتات والعائلات التي برزت في هذه الفترة وكان لها دور وتأثير كبير في المجتمع نجد بيت ابن باديس الذي حمل هو الآخر راية العلم، وتصدر للتصنيف والتأليف وتقليد المناصب السياسية.

---

[1]- بن عمر علال: المرجع السابق، ص 243.

[2]- أنظر: روبار برنشفيك: المصدر السابق،ج2، ص 37، لزعم فوزية: البيوتات العلمية في قسنطينة و بجاية، المرجع السابق، ص 199.

[3]- بن عمر علال : المرجع السابق، ص 243.

الفصل الرابع:

البيت الباديسي يمهد لنفوذه علميا وسياسيا

أولا:الأصل والنشأة.

ثانيا:علماء أسرة آل باديس وإسهاماتهم العلمية.

ثالثا: علاقة الأسرة الباديسية بالسلطة الحفصية.

رابعا: بيوتات وأسر علمية أخرى بمدينة قسنطينة ودورها بالمدينة.

من البيوتات الأخرى المشهورة بمدينة قسنطينة، والتي تعد ذات أصالة وعراقة، حضيت بمكانة إجتماعية وعلمية وسياسية خلال العهد الحفصي أسرة إبن باديس، هذه الأسرة التي إشتهرت بالثروة والجاه وحملت راية العلم مثلها مثل غيرها من الأسر بفضل علماءها الأجلاء والأفاضل هؤ لاء الذين رفعوا أسرتهم إلى عالم الشهرة من خلال جهودهم في نشر العلم، وما تركوه من تراث عريق تداولته أمة بعد أمة.

كما توارثت هذه العائلة المناصب والوظائف الإدارية الرفيعة مما يوحي بمكانة هذه الأسرة في بلاط الحفصيين.

أولا: الأصل والنشأة:

يعد البيت الباديسي هو الآخر من البيوتات العريقة الحضرية المشهورة بقسنطينة بالعلم والثراء والجاه إلى جانب الجاه الاجتماعي والروحي خلال العهد الحفصي، فقد وصف من قبل صاحب "منشور الهداية" بأنه: " دار علم وصلاح"[1].

وقد كانت هذه الأسرة منذ القدم ذات نفوذ ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي[2]، ويعود نسب هذه العائلة إلى قبيلة صنهاجة، وهي من أقوى القبائل البربرية في المغرب الأوسط، كان موطنها بعد الفتح يشمل تلول المغرب الأوسط بين الأوراس ومدينة تنس بما فيهم قسنطينة[3]. نبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة، كان لهم دور كبير في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، ويرجع بعض المؤرخين المحدثين أصل الأسرة الباريسية في قسنطينة إلى بلكين بن زيري بن مناد (373هـ/984م)[4] وقيل أن جدهم مناد بن ماكسن أصوله من "ملكانة" أو "تلكانة"، وهي فرع من قبيلة صنهاجة ذات البأس والقوة وهي بدورها يرجعها الطبري وابن الكلبي وغالبية المؤرخين إلى أصول حميرية يمنية، خدم مناد بن ماكسن الدولة الأغلبية أيام الخليفة العباسي المقتدر والقادر، ثم خلفه إبنه زيري بن مناد الذي عرف بالشجاعة والحكمة بين سكان البربر[5]، ثم خلفه إبنه بلكين بن زيري بن مناد الذي أصبح خليفة على إفريقية (تونس)، والمغرب الأوسط (الجزائر)، بعد إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ومن رجالات هذه الأسرة كذلك المعز بن باديس (ت 454هـ/1062م) الذي سار على نهج أسلافه، رافضا الانضواء تحت الوصاية الفاطمية، وتمكن من الانفصال عن سلطة الخلافة الفاطمية،

---

[1]-الفكون: المصدر السابق، ص210.

[2]-خالد بوهند:الإمام بن باديس ومواقفه من الاندماج، دورية كان التاريخية،ع19، دار ناشري، الكويت، مارس 2013، ص44.

[3]-بن عمر علال: المرجع السابق، ص206،الهادي روجي إدريس:الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م)، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992،ج2، ص104.

[4]-عمار طالبي: أثار ابن باديس، الشرعية الجزائرية، الجزائر، ط2، 1983، مج1، ص -ص:72-73.

[5]- عائلة ابن باديس القسنطينية من خلال موسوعة "الكتاب الذهبي" الفرنسي عام 1930،bin badi.net، 2 شعبان 14/1438 مساءا 28-4-2017.

وحارب الشيعة الرافضة، ونصر المذهب المالكي السني[1]. لكن هذه الروايات غير موثقة، وأن المؤرخون رجحوا أن ظهور هذه الأسرة كان في القرن الرابع الهجري عندما خلف الصنهاجيون نظراءهم بعد انتقالهم إلى مصر[2]، عندما أسند الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله" (341هـ-365هـ/953-977م)السلطة إلى الجد الأول للبادسيين وهو بـُلكين بن زيري بن منّاد (984/373م)أمّا الاسم الباديسي لها فقد يكون نسبه إلى باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي (386هـ-406هـ/996-1016م)، ثالث أمراء الدولة الزيرية[3]. وهو أول أمير زيري إسمه باديس، الذي إشتهر بمقولته التاريخية: "إن كان على السلطة فقدورثتها عن آبائي الأشاوش، وا ِن كان من أجل الحفاظ عليها فسيكون ذلك بسيوفنا هذه"[4].

فإن كان أصل الأسرة كذلك، فإنهم كانوا ملوكا للمغرب الأوسط وعاصمتهم مدينة أشير[5] بالمغرب من المدية حاليا، وهم الذين قاموا ببناء العديد من المدن المدية –مليانة-جزائر بني مزغنة ...الخ. وذلك منذ عهد جدهم الأول زيري بن مناد إلى عهد أبنائه وأحفاده من بعده، مؤسسي الدولة الصنهاجية بفرعيها الزيري والحمادي، غير أن أصل الأسرة الحقيقي كان في الفرع الزيري[6].

وما يدل على عراقة هذا البيت ما ذكره الفكون في ترجمة لأحد علماء بيت إبن باديس قوله: "القاضي الخطيب أبو العباس المدعو حميدة بن باديس، وهو من بيتات قسنطينة وأشرفهاَ لَِفُ سَلَفً صالحين علماء حازوا قصب السبق في الدراية والمعرفة والولاية ناهيك بهم من دار صلاح وعلم..."[7]، وأضاف المقّري في رحلته متحدثا عن أحد علماء هذا

---

[1] -خالد بوهند: المرجع السابق، ص44.

[2] -بوسطلة راضية: المرجع السابق،ص3،بن عمر علال: المرجع السابق،ص206.

[3] -المرجع نفسه.

[4] -التراث العربي الجزائري، ابن باديس نسبه وأسرته، Ben BaDIshttps ://، 2 شعبان 14/1438 مساءا 28-4-2017.

[5] - مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي،مقابل بجاية في البر،أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي، وكان سيد هذه القبيلة في أيامه، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص202.

[6] -بن عمر علال: المرجع السابق، ص207.

[7] -الفكون: المصدر السابق، ص57.

هذا البيت: "وسألني سلالة الأخيار ذو البيت الشهير في الأقطار، سيدي الشيخ محمد بن باديس القسمطيني"[1].

ما يمكن قوله حول هذه الأسرة أنها عرفت منذ القدم بإنجابها للعلماء والأمراء والسلاطين مما جعلها تمهد لنفوذها، وتحظى بمكانة مرموقة في المجتمع، ويحدثنا العلامة إبن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي الموافق للقرن الثامن الهجري، حول موضوع الاستيلاء على قسنطينة من قبل السلطان إبن البقاء: "بنو المعتمد وبنو باديس خرجوا للقائه"[2]،منذ ذلك العهد مال شيوخ آل باديس إلى الدراسات الشرعية، وبرز منهم المشاهير في الفقه والحديث، كما عدت هذه العائلة من الأسر العلمية التي خدمت المذهب المالكي تصنيفا وتدريسا وا إفتاء[3].

واعتمادا على ما ذكرته كتب الرحلة، فإن أول حضور سجلته المصادر لأفراد هذا البيت هو ما ذكره العبدري في رحلته حين دخل قسنطينة في سنة (688هـ/1289م)إا إلتقى بها بالشيخ أبي علي حسن بن القاسم بن باديس.

ثانيا: علماء أسرة آل باديس ودورهم في الحياة العلمية:

1-أبو علي حسن بن بالقاسم بن باديس القسنطيني (عاش في القرن 7هـ/13م):

كان عالما من علماء الفقه المالكي من أهل قسنطينة[4]، ذكره العبدري في رحلته عندما فتح لقسنطينة وذلك بين عامي 688-689هـ/1289-1290م، وذلك في قوله: "ولم أربها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون المعارف أرب، سوى الشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس (عاش في القرن 7هـ/13م)، وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقها ومسائل، ذو سمت وهيبة ووقار، وليس في البلد يذكر بعلم سواه البتة، وليست له بالرواية عناية، ولم

[1]-المقري، أحمد: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح محمد بن معمر سيدي بلعباس،مكتبة الرشاد –منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا –جامعة وهران، 2002 ، ص103.

[2]-إبن خلدون: العبر، المصدر السابق،ج6، ص466.

[3]-مزغ اوي مصطفى: أثر المذهب المالكي في التدوين العلمي والعطاء المعرفي لفقهاء قسنطينة، محاضرة ألقيت بقسنطينة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بتاريخ27و28 نوفمبر، (س30 :10- 45 :10).

[4]- فيلالي عبد العزيز :أبرز علماء قسنطينة و أثرهم، المرجع السابق، ص28.

يرو ْ إلا الموطأ وحده، وقد قرأه على الشيخ الفقيه المحدث أبي يعقوب يوسف بن موسى الغماري المحساني (حيا سنة 686هـ/1287م)[1] حين خطر على قسنطينة راجعا من المشرق، فأقام عندهم مدّة لتوالي الأمطار، فقرأه عليه وهو إذ ذاك كبير وفارقه وهو عنده مجهول، وما عرف من هو حتى عرفته به حين رأيت خطّه الذي كتب به على الموطأ، وقد قرأت صدرا منه وحدثني به عنه"[2].

ويبدوا على العبدري أنه وجد المدينة في أسوء حالاتها سواء فضاءها الجغرافي أو الفكري، فقد حكم على أهلها بالجهل[3]، وهذا يعد حكم قاسي في حقها، وذلك انطلاقا لما وجد في المصادر الأخرى كابن قنفد من خلال مؤلفاته الذي دحض ما جاء به العبدري[4]، وبين عكس ذلك، ويبدوا على العبدري أنه لم يلتق بعالم في هذا البلد كـ"أبو علي بن باديس" في العلم والصلاح لأن الكل جاهل في نظره ماعدا هذا العالم، وهذا الحكم راجع إلى شدة تعلقه وتأثره به وهو ما يفسر شهرة إبن باديس العلمية والتي غطت على معاصريه في قسنطينة خلال هذا القرن.

كما أخبرنا العبدري عن بعض ما سمعه عن الشيخ ابن باديس من الفقيه المحدث أبي يعقوب يوسف لغماري (حيا سنة 686هـ/1287م) -وفيها ذكر ابن باديس عمره -الذي قال سمعت الشيخالصالح المسنّ حسن الحلفاوي يقول:عمّرت خمسا وثمانين سنة، ماتم لي بها سرور قط، إلا ثلاثة أيام يوم دخولي مكة، ويوم وقوفي بعرفة، ويوم دخولي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5]، ويظهر لنا من خلال ما تقدم أن الشيخ إبن باديس زار بلاد المشرق والبقاع المقدسة.ومن الممكن أنه أدى مناسك الحج وإن لم تذكر المصادر المترجمة له ذلك، كما يظهر أيضا تعلقه بالمقدسات الإسلامية وارتباطه الروحي بها[6].

---

[1] - أنظر ترجمة التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1، ص 627.

[2] -العبدري: المصدر السابق، ص58.

[3] -أحمد بن المبارك العطار: المصدر السابق، ص23.

[4] - بن عمر علال: المرجع ، ص208.

[5] -العبدري: المصدر السابق، ص59.

[6] -بن عمر علال: المرجع السابق، ص209.

وواصل العبدري حديثه عن إبن باديس من خلال ما سمعه من الشيخ لغماري الذي قال: سمعت الشيخ إبن باديس يقول: "وقع الكلام بين يدي الفقيه الإمام أبي الحسن اللخمي (ت478هـ/1085م)(رحه)، في حكم السفر إلى الحج مع فساد الطرق، وهل الأولى تركه احتياطا على النفس أو الاستسلام في التوجه إليه، وكان اللخمي مائل إلى ترجيح الترك قال ـ أي ابن باديس ـ : "وكان في المجلس رجل واعظ، فقال له يا فقيه تسمع ما أقول، قال: نعم، فأنشده من البحر البسيط-:

إن كان سفك دمي أقصى مرادهم ُ فما غ َ لَت ْ نظرة منهم بسفْك دمي

فاستحسن كل من حضر منزعه، وانفصل المجلس على أن الأو ْ لى هو تحمل الخطر في التو ّجه و الإعراض عن تلك العوائق"[1]. فمن خلال ما أنشده إبن باديس يتبين أنه يوافق وجوب السفر لأداء فريضة الحج، وا ٍن كان طريقه غير آمن وفاسد.

توفي في نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي[2]، أما عن أثاره العلمية وما تركه من تراث منها: "شروح على مختصر خليل"، وله أيضا كتاب "الصنائع" و"ديوان شعر" و"شروح على إبن فارس"، وكتاب أعلام القيروان" وغيرها[3].

وعلى نهجه سار إبنه القاضي حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني (ت784هـ/1382م).

2-أبو علي حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني (ت784هـ/1382م):

ولد في حدود سنة 707هـ/1307م بقسنطينة وبها نشأ وتعلم إلى أن نبغ في علوم الفقه والأصول وهو من بيت علم، إشتهر بالفقه والتصوف، وكان الشيخ إبن قنفد تلميذه الذي

---

[1] -العبدري: المصدر السابق، ص60.

[2] - فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم، المرجع السابق، ص29.

[3] - مزغ اوي مصطفى: المرجع السابق، د.ص.

وصفه بـ: "شيخنا الفقيه القاضي العدل الخطيب الحاج المرحوم أبو علي، روينا عنه الحديث وغيره..."[1]، وبفضل علمه أصبح قاضيا ممتاز وخطيبا بارعا من فقهاء المالكية[2].

ومن شيوخه الذين أخذ وروى عنهم بقسنطينة نذكر: إبن غريون البجائي (ت 731هـ/1331م)، الذي كان عالم بجاية ومفتيها في عصره، قرأ على محمد بن صالح الكناني، وقرأ عليه أبو البركات محمد بن محمد البلفيقي ببجاية، قال عنه إبن قنفذ: "خطيب قصبةبجاية المتمتع بالرواية السالك مسلك الدراية"[3]، أخذ عنه الشيخ أبو علي حسن علوم الحديث، كما درس الفقه على يد الشيخ إبن عبد السلام (ت798هـ/1395م)[4].

بعد تلقيه العلم على يد شيوخ بلده رحل إلى بلاد المشرق لأداء فريضة الحج وطلب العلم، وقد لقي في رحلته هذه إلى الحجاز أعلاما كثيرة، وأخذ عنهم، وأجازوه، منهم أثير الدين أبي حيان (ت745هـ/1344م)[5] [سبقت ترجمته]،والرواية الرحلة ابن جابر القيسي الوادي أشي(ت 749هـ/1348م)صاحب الرحلتين وا إمام المحدثين الفقيه الرواية من تآليفه: أربعون حديثا أغر ب فيها بما دل على سعة نظر و إنفساح رحلة، وله أسانيد كتب المالكية يرويها عن مؤلفها[6]وا بن غريونالبجائي (ت731هـ/1331م).

ومن المغاربة القاضي الخطيب بن عبد الرزاق الجزولي (ت758هـ/1357م) كان خطيبا بليغا كاتبا بارعا، رحل إلى المشرق والأندلس وروي عن أشياخها ثم عاد إلى وطنه فتولى خطة القضاء بفاس مع الخطابة مدة طويلة إلى وفاته سنة 758هـ/1357م[7]، والخطيب البليغ المحدث محمد بن أحمد بن مرزوق (ت 781هـ/ 1379م)، وهو من تلمسان، المولود سنة 711هـ/ 1311م كان له طريق واضح في الحديث، وله شرح جليل

1-إبن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص378.

2- فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، ص29،عادل نويهض: المرجع السابق، ص28.

3-إبن قنفذ:الوفيات، المصدر السابق، ص347.

4-المصدر نفسه، التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1 ، ص160، عادل نويهض: المرجع السابق، ص28 .

5-التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1، ص361، فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة،المرجع السابق، ص29.

6-محمد مخلوف: المصدر السابق،ج1، ص210، بن عمر علال: المرجع السابق، ص210.

7-إبن قنفذ:الوفيات، المصدر السابق، ص358.

على "العمدة " في الحديث والبر دة" جعل ابن قنفد وفاته سنة(780هـ/1378م)[1]،كذلك الخطيب القاضي الأول الرواية أبو البركات بن الحاج البلفيقي، والفقيه الحاج الصالح أبو عبد الله بن سعيد الر ُعيني، والفقيه الحاج الخطيب أبو علي عمر بن محمد عرف بابن البحر[2].

وقد كان إبن باديس من المتصوفة روى عن الشيخ أبي مدين[3]، وخدم المذهب المالكي، وعـ ُد ّ من الأولياء الصالحين كان كثير الاقتناء بالعلوم، فقال عنه أبو زكرياء السراج الكبير في فهرسته: "شيخنا الفقيه المدرس الرواية الحاج الفاضل ابن الشيخ الأجل خلف الله، كان ذا سمة حسن وحال مستحسن، له إعتناء بالعلوم ومشاركة فيها"[4].

كان الشيخ إبن باديس متمسكا بالسنة لا يفارق الجماعة شديدا على أهل البدع صاحب حق حريصا على أداء الأمانة لأصحابها، وهنا نذكر القصة التي سردها صاحب البستان" الذي تحدث عن مآثر الشيخ ابن باديس وشيد بورعه وتقواه، أنه لما كان قاضيا على مدينة قسنطينة، وضع عند أبي عبد الله محمد بن أحمد العلوي التلمساني أمانة نقود قدرها خمس وسبعين ذهبا، ولما رجع ليأخذها منه سلّم له أبو عبد الله "مائة ذهبا" والسبب في ذلك يعود إلى أن أبا عبد الله وجد مكتوبا على القرطاس الذي دس ّ فيه النقود (مائة ذهبا) فخاف أن تكون ألـ "الخمس وعشرين ذهب" الأخرى قد ضاعت، فأضافها من عنده ، ولما أخذها أبو علي ورجع لبيته فوجدها على غير ما حفظها، فأخذ ماله ورد الباقي لصاحبه[5].

هذا ما يدل على أنه كان أهل ثقة وأمانة توفي ببلدة قسنطينة سنة 784هـ/1382م[6].

---

[1]-المصدر نفسه، ص 373 ،ابن العماد الدمشقي: المصدر السابق، ج8، ص467.

[2]-التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1، ص161 .

[3]-بن عمر علال: المرجع السابق، ص211.

[4]-التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق،ج1، ص161، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 28.

[5]-إبن مريم: المصدر السابق، ص89.

[6]-إبن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، (ها رقم2)، ص376،التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج1، ص161.

3-أبو الحسن بن أبي القاسم بن الحسين بن باديس (ت 787هـ/1385م):

هو أبو علي حسن بن بلقاسم بن باديس ولد بقسنطينة سنة 701هـ/1301م، وهو من علماءها المشهورين بالفقه والعلم وهو إبن عم السابق وابن خالته ــ بن خلف الله ــ كان قاضيا ومحدثا ومفتيا لمدينة قسنطينة ومن فقهاء المالكية تعلم في بداية أمره بمسقط رأسه[1]، ثم إنتقل إلى بجاية طلبا للعلم[2].

أخذ العلم على يد شيوخ كثرة نذكر في البداية شيوخه المغاربة: ناصر الدين المشدالي (ت 730هـ/1330م) وابن غريون البجائي (ت731هـ/1330م) وكان ابن باديس يروي عنهما الحديث وغيره وأخذ بتونس عن إبن عبد الرفيع القاضي التونسي[3] (ت 733هـ/1332م)[4].

كما أنه شد رحاله إلى المشرق لأداء فريضة الحج و الإستفادة من الدرس والتحصيل، نزل بالقاهرة وغيرها من حواضر الشرق الكبرى، وهناك أخذ على الشيخ خليل المكّي (ت 776هـ/1374م) وابن هشام النحوي (ت 769هـ/1359م) وقد ذكر ابن باديس أنه ختم على إبن هشام ألفية بن مالك في النحو ألف مرة[5]، ومن أهم شيوخه المشارقة صلاح الدين العلائي (761هـ/1359م) وهو من بيت المقدس، قرأ عليه مدة ضيافته عنده، وتأثر بآرائه وأفكاره ووقف معه على كتاب "روض الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر" الذي تضمن ذكر مناقب قطب الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني (ت560هـ/1165م) وذكر الأولياء والصالحين الذين نهجوا طريقه وكراماتهم وحكاياتهم في التصوف وقد أعار إبن باديس هذا الكتاب النفيس من شيخه صلاح الدين، وأتم قراءته وتأثر به كثيرا إلى درجة اعتقاده فيه. ولم ينس الشيخ إبن باديس فضل إمام بيت المقدس عليه، فقام بإهداء القصيدة له تعبيرا منه على حسن ضيافته،فقال في مقدمتها: "وجعلت هذه الكلمات خطابا لمن أعارنيه-أي الكتاب- ومنحنيه مدة إقامتي عنده، شيخ الوقت وبركته، وحافظ العصر وقدوته صلاح الدين

---

[1] -مزغ اوي مصطفى: المرجع السابق، د.ص، فيلالي عبد العزيز :أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص29.

[2] -عادل نويهض: المرجع السابق، ص27.

[3] -أنظر ترجمة إبن قنفذ:الوفيات، المصدر السابق، ص345.

[4] -إب نقنفذ:الفارسية، المصدر السابق، ص57،التنبكتي: نيل الإبتهاج،ج1، ص160.

[5] -فيلالي عبد العزيز :أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص29، بن عمر علال: المرجع السابق، ص212.

العلائي"[1] وبلغت شيوخه سبعمائة [2]. قال عنه تلميذه (إبن الخطيب القسنطيني) في – الوفيات-: "شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث أبو علي حسن بن أبي القاسم إبن باديس"[3].

امتاز هذا الشيخ بغزارة علمه وكثرة شروحه، فتولى بعد عودته من المشرق منصب قاضي الجماعة بمدينة تونس سنة 778هـ/1376م، ثم أعفي منه فعاد إلى مدينة قسنطينة وشغل نفس الوظيفة بها[4]، قال عنه ابن قنفذ: "وأدرك في حداثة سنه من المعارف العلمية مالم يدركه غيره في كبر سنه".كانت وفاته سنة 787هـ/1385م ودفن بقسنطينة[5].

أما مؤلفاته فله عدة تقاييد نذكر منها:

-شرحه لمختصر السير سماه " فوائد الدرر، وفرائد الفكر في شرح مختصر السير"، وهو شرح لمختصر السيرة لإبن فارس(ت370هـ/980م) إسمه" أواخر السير لخير البشر" مطبوع في مكتبة رواق المغاربة بالأزهر تحت رقم 1014م[6].كما توجد نسخة خطية من شرح إبن باديس هذا في مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني بفاس،ونقل منها كثيرا في كتابه "التراتيب الإدارية والعملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة". وقد قال عنه الشيخ عبد الحي:"وهو سفر ضخم واسع البحث غزير المادة"[7]، تناول في شرحه هذا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الصحابة وقسمه إلى مسائل تناول في كل مسألة موضوعا من مختاراته[8].غير أن الوفاة عجلته على إكماله[9].

---

[1] -المرجع نفسه.

[2] -إبن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص57.

[3] - إبن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص376.

[4] - فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص30.

[5] - إبن قنفذ:الوفيات، المصدر السابق،ص377، الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص118.

[6] -عزودي نصيرة: المرجع السابق، ص70، بوسطلة راضية، المرجع السابق، ص3.

[7] -محمد الهادي شغيب: المرجع السابق، ص104.

[8] -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص63.

[9] -مباركية عبد القادر و طايبي زيد: المرجع السابق، ص56.

ومن بليغ شعره قصيدته السينية المشهورة التي نظمها في أواخر ذي الحجة عام 756هـ/1355م أثناء رحلته بالمشرق لأداء فريضة الحج وأرسلها إلى شيخه صلاح الدين العلائي مفتي القدس- وهي من البحر الطويل–وعدد أبياتها اثنان وتسعون بيتا نوه فيها بعلماء وصلحاء المشرق والمغرب وسماها"النفحات القدسية"[1] لفيض شعوره بها في ربوع القدس، وفي نهايتها يخاطب شيخه صلاح الدين المقدسي:

إليك صلاح الدين خ ُذ ْها خ َريدة من الخدر لن تبرز وجتَلاً ّ عن الد َع ْس

ون َظّم ْ ت ُها في مدة السير عنكم فأيامها ما بين مصر إلى القدس

على خجل تسعى إليك مشيرة لما إلتقطت ْ من در ّ يمناك في الطّرس

وأنت لها كفوء ٌ و مولى وراحها تمد ّ إلى الأغضاء في أجمل اللبس

تبك فيهم وانتماؤك حكتها على وفيق ما يرضاه من صادق الحدس

وا ٍني في هذا المقام لعاجز وعن غيره أولى وأجدر بالخرس

ولكن حب ّي شافعني ورسيلتي وا ٍن كنت في فعلي على الضد والعكس

وأنت أمام العصر ح ُز ْ ت َ علومه وأصبحت للتسميع كالبدر والشمس

وتاجا على أهل الرواية أحرزوا بتشريفك التحديث عنك عن الناس

وصن ّفت في كل العلوم نفسيها سر ّوهن أب ْد َي ْت ما ليس بالخ ِلْس ِ

وا ٍذ عان أهل الشام قسرا ومصرها لقولك إذ عان الجسوم إلى النفس

فأبقاك ربي ناشرا لعلومها وكهفا به الآمال ترجى بلا يأس

وجازاك عنا بالجميل وبالرضى فأنت حقيق بالتكرم والرغ ْس ِ

---

[1]-يوجد مخطوط ضمن مجموع الخزانة العامة، الرباط، رقم 2189D، ونسخة بمركز التملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم الحفظ 10- 12758، وهذا المخطوط عنوانه "اللمحات الإنسية في شرح قصيدة النفحات القدسية" وهو كتاب في التصوف، أنظر:عزرودي نصيرة: المرجع السابق، ص69.

وأفضل تسليم الإله مردّدٌ عليك له عرف ذكر إلى الر ّمس

وكان ختام النظم أزكى صلاته على من سرى من مكة الخير للقدس[1].

وقد اعتنى الناس بحفظ هذه القصيدة وشرحها. وممن شرحها شرحا ضافيا وافيا العلامة أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعد بن عبد الله الماندي المعروف بإبن الحاج [2]وسمي شرحه"أنس الجليس في جلو الحناديس عن سينية إبن باديس"[3]، وقد أعطت هذه القصيدة قيمة علمية لصاحبها، حيث وضع له أهل قسنطينة مدرسة سميت بإسمه[4].

وخلاصة القول أن أسرة إبن باديس إشتهرت بالعديد من الشخصيات الذين ذاع صيتهم وعلمهم و برعوا في ميادين شتى منها العليم، فتولوا وظيفة التدريس في مدينة قسنطينة وتتلمذ على يدهم العديد من التلاميذ منهم إبن قنفذ الخطيب،فاختصوا في علوم الفقه والحديث، إضافة إلى علوم اللغة والنحو، ومنهم من برز في الشعر والنحو كأبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس صاحب القصيدة المشهورة سابقا،ليس هذا فقط بل حازوا مناصب دينية ووظيفة القضاء، هذه الأخيرة التي تكاد تقتصر على علماء هذه الأسرة لمدة طويلة.

---

[1]-محمد شغيب: المرجع السابق، ص104 ، فيلالي عبد العزيز :أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص30.

[2]-شغيب: المرجع السابق، ص 105 ، أنظر ترجمته ابن مريم: المصدر السابق، ص8 وما بعدها.

[3]-شغيب: المرجع السابق، ص105.

[4]-بن عمر علال: المرجع السابق، ص215 ، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص80.

ثالثا: علاقة البيت الباديسي بالسلطة الحفصية:

من المتعارف عليه أن البيوتات العلمية ساهمت بشكل مباشر في السياسة، ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب أهمها المكانة العلمية الإجتماعية التي حظيت بهما، فكان من عادة الدولة الحفصية الإعتماد في أجهزتها على العلماء فمنهم الحجاب والكتاب وحتى الوزراء، نظرا لرصيدهم العلمي العالي، ومن ذلك بيت إبن الكماد القسنطيني الذي عين عددا من فقهائه كتابا لدى ولاة قسنطينة الحفصيين، وسنتعرض إلى هذه العائلة لاحقا.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى الجاه و النفوذ اللذان تمتعت بهما بعض بيوتات العلماء هذا ما جعل السلطة تلجأ إليهم كوسطاء سياسيين وتحاول كسب ولاءهم[1].ومن العائلات العريقة التي كانت لها علاقة وطيدة بالسلطة الأسرة الباديسية، و الدليل على ذلك المناصب الدينية التي تقلدتها هذه العائلة، وفي هذا الصدد يقول إبن الفكون على هذه الأسرة:"..... ويقال إنه اجتمع فيهم أربعون كلهم صاحب منصب حازوا المناصب الشرعية ببلدهم و المخزنية"[2]. ويقصد بذلك مناصب السياسة والعلم، كالتدريس والإمامة والإفتاء والقضاء.

ومن الذين استعملتهم السلطة الحفصية في جهازها الإداري القاضي أبو علي حسن بن خلف الله بن حسن بن باديس (ت784هـ/1382م)، كما أطلق عليه إبن قنفذ الخطيب بالقاضي العدل[3]، وعاصر هذا الشيخ أمراء بني حفص بتونس: أبي حفص عمرو(ت748هـ/1347م) وأبي إسحاق إبراهيم (750هـ/1349م)، وكذلك أحمد بن المستنصر أبي العباس الأول (ت785هـ/1383م)[4]، تولى الخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة والقضاء إستمر بمنصبه إلى وفاته[5]،وقد نال هذا الشيخ التقدير والإحترام لدى أمراء وسلاطين بني حفص،ونظرا لمكانته هذه ما جعله يحظى بوصية السلاطين فيه، منها أن السلطان المستنصر أوصى ولده الأمير أبا إسحاق عند توليه قسنطينة سنة

[1]-لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص471.

[2]-إبن قنفذ:الوفيات، المصدر السابق، ص378.

[3]-الفكون: المصدر السابق، ص57 .

[4]-محمد الهادي شغيب: المرجع السابق، ص107.

[5]-بوكرديمي نعيمة: المرجع السابق، ص82 ، ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص378.

779هـ/1377م، بأن يجعل على قضاءها الفقيه الحاج أبا علي حسن بن خلف الله بن باديس[1]وهذا الإحترام لم يقتصر على أمراء السلطة الحفصية وحدها، وا إنما وصل إلى السلطة المرينية ، حيث كان السلطان المريني يحترمهم ويكرمهم. وكتب له السلطان المريني أبو الحسن(750هـ-759هـ/1349-1357م) ظهر التشريف الكريم وخصه بالتبدية والتقديم، وعينه للخطابة ببلده، وجمع شمله بأهله وولده وكان السلطان أبو عنان يصلي خلفه[2].

ومن المقربين للسلطة كذلك نجد الشيخ أبو علي حسن بن باديس، الذي وصفه إبن الخطيب القسنطيني بقوله:"شيخنا الفقيه القاضي الشيخ المحدث أبو علي"[3]، ولي قضاء الجماعة بتونس حاضرة الحفصيين لأزيد من ثلاث سنوات،إلى أن طلب هو الإعفاء من هذا المنصب فأعفي ويدل ارتقاءه إلى هذا المنصب على المكانة العالية التي حظي بها بين أواسط معاصريه[4]. وفي هذا الصدد تحدث الزركشي في ترجمة الأمير أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي يحي الذي هو من مواليد قسنطينة في سنة 729هـ/1326م، أن هذا الأمير أسند منصب قضاء الجماعة بتونس في آخر ربيع الأول من سنة 778هـ/1376م إلى الفقيه أبي علي الحسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني، وفي آخر صفر من سنة 781هـ/1379م إستعفى من قضاء الجماعة بتونس، فقدمه السلطان إلى قضاء بلده قسنطينة[5].

كذلك كان الشيخ حسن مرافقا لأمير المدينة أبي عبد الله محمد (ت739هـ/1337م) باعتباره من أعيان البلد ووجهاءها، وذلك عند زيارة هذا الأمير إلى تونس، على عهد السلطان أبي يحي زكريا(711-747هـ/1309-1345م)، وكان السلطان نفسه يسأل على

---

[1]-بن عمر علال: المرجع السابق، ص216.

[2]-المرجع نفسه، ص211.

[3]-إبن قنفذ: الوفيات ، المصدر السابق، ص376.

[4]-نعيمة بوكرديمي: المرجع السابق ، ص82.

[5]-الزركشي: المصدر السابق ، ص، ص: 108-110 ، الهادي شغيب: المرجع السابق، ص106.

حاله ويطمئن على صحته ويتفقد أخباره وأخبار أهله،هذا ما يدل مكانته ومنزلته لدى السلاطين والأمراء الحفصيين[1].

إن إرتقاء إبن باديس إلى منصب قاضي الجماعة بعاصمة المملكة الحفصية يدل على تلك المكانة والشهرة التي كان يحظى بها إبن باديس في أواسط المملكة في عصره،وإ إذا عرفنا أن قاضي الجماعة كان الممثل لأعلى سلطة دينية في كامل البلاد،أدركنا المكانة التي تمتع بها إبن باديس وبيته،إذ يعتبر صاحب هذه الخطة من أبرز رجال الدولة[2].

وبالتالي يمكن القول أن البيت الباديسي لعب دورا علميا وسياسيا لدى السلطة الحفصية، خلال القرن الثامن هجري،ما يوحي بالعلاقة الوطيدة بينها، وقد ازدادت هذه العلاقة أكثر عندما تقلد الوظائف للدولة الحفصية خاصة خطة القضاء،مما يوحي بأن الأسرة الباديسية كانت تستأثر بخطة القضاء، وهذه المكانة لم تتوقف مع نهاية السلطنة الحفصية،بل على العكس فقد ترفعت أكثر على العهد العثماني[3]، حيث تداول علماء آل باديس على الإمامة والخطابة بأحد جوامع الخطبة[4].

رابعا: بيوتات وأسر علمية أخرى بمدينة قسنطينة و دورها الثقافي والسياسي:

بناءا على ما سبق عرضه، يتبين لنا أن مدينة قسنطينة عرفت أسر وعائلات عريقة تقاسمت نفوذ المدينة،وعرفت تنافس فيها بينها، وحملت مشعل العلم والمعرفة في المنطقة، ليس هذا فقط بل لعبت دورا في البلاط الموحدي و الحفصي، ولم تتوقف باضمحلال هاتين السلطتين، بل إستمرت سلطتها ونفوذها مع العهد العثماني، وهذه البيوتات هي: بيت إبن الفكون، بيت إبن قنفذ، بيت إبن باديس.

---

[1]-علال عمر: المرجع السابق ، ص216.

[2]-فوزية لزعم: البيوتات العلمية بقسنطينة و بجاية ،المرجع السابق ، ص200.

[3]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص403.

[4]-يقع هذا الجامع يحي القصبة أحد الأحياء الرئيسية بقسنطينة، أنظر: قشي فاطمة الزهراء: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية والثقافية (CrasK)، ع19،20، وهران، جوان 2003، ص22.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه البيوتات والأسر العريقة لا يعني أنها هي التي عرفت ميدان التأليف والفكر والمعرفة و التوظيف، بل وجد في المدينة كذلك طيلة قرون خلت أئمة وفقهاء وعلماء وأدباء من بيوت متباينة ساهموا بنشاطهم العلمي والأدبي والديني في إثراء لثقافة العربية الإسلامية وترسخ عظمتها، وا ٍستمرار عطائها حتى إحتلت الصدارة العلمية والفكرية في ذلك الوقت[1].

وقد خصصنا هذا المبحث للتعريف بالبيوتات والأسر التي ظهرت خلال العهد الحفصي، وعاصرت كل من بيت إبن الفكون،إبن قنفذ، و إبن باديس، وهي التي حملت معها العلم في شتى الفنون،وساهمت بدورها في تنشيط الحركة الفكرية وبثها خلال فترة الدراسة.

1-بيت إبن الكماد:

يعد بيت بني الكماد من بيوتات قسنطينة البارزة، وهو عربي "خزرجي أنصاري"، وهو من بيوتات الشرف، ولذلك كان أحد أبنائه وهو محمد بن أحمد الكماد يضيف إلى إسمه نسبه الحسني، إشتهر البيت بالعلم والصلاح، وقد تقلد أبنائه في العهد الحفصي عدة وظائف مهمة في الدولة الحفصية منها نظارة الأشغال والكتابة بالحاضرة تونس وبمدينة قسنطينة، وهي من الوظائف الرفيعة والسامية في الدولة[2]وهذه العائلة قريبة من أسرة الوزان[3].

ومن علماء بيت الكماد في ظل الحفصيين نجد:

1-1.إبراهيم بن عبد الكريم بن الكماد(القرن 8هـ/14م):

أول إشارة سجلت لأبناء هذا البيت في المصادر كانت خلال القرن8هـ/14م، بحيث ذكر الزركشي[4] الكاتب إبراهيم بن عبد الكريم إبن الكماد، هو من أعيان قسنطينة وكتابها ولي الكتابة للسلطان أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي المولود بقسنطينة وكتابها، ولي

---

[1]-فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق ، ص23.

[2]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص427.

[3]-الفكون: المصدر السابق ، ص 44.

[4]-الزركشي: المصدر السابق ،ص107.

الكتابة للسلطان أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي المولود بقسنطينة سنة 729هـ/1328م، تولى الحكم سنة 772هـ/1370م إلى وفاته سنة 796هـ/1394م، وهو من السلاطين الكبار للدولة الحفصية،فقد كان بن الكماد يرافق السلطان إلى تونس في موكبه الخاص،وذلك عندما ذهب إلى تونس ليستلم الحكم، ونفس الرواية وجدت عند إبن قنفذ هذا الذي وصفه بـ"إبن الكماد العاقل" حيث يقول:"وقرب من خدامه الواصلين معه إلى الحضرة أربعة .....والكاتب العاقل أبا إسحاق إبراهيم إبن الفقيه الحظي المشرف المشكور أبي محمد عبد الكريم بن الكماد من وجوه بلدنا "، ويضيف إبن قنفذ قائلا:"قدم معه (إبن الكماد)إلى تونس من قسنطينة وكان من خواصه"[1].وبذلك يعد إبن الكماد من كبار مدينة قسنطينة وأعيانها، وكان والده من فقهاء البلد، كما أن وصف والده "بالحظي" تدل على مكانته[2].

1-2.الكاتب أحمد بن الكماد(القرن 8هـ/14م):

هو الآخر كان كاتبا للحفصيين بقسنطينة، ولعب دورا في الأحداث الواقعة بها، فلما تولى السلطان أبي فارس عبد العزيز بن السلطان أحمد عرش الدولة الحفصية سنة 796هـ/1374م عين على قسنطينة أخاه الأمير أبا يحي أبي بكر،وكان على بونة إبن عمه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي يحي زكريا[3].

فأما الأمير أبي يحي في قسنطينة فقد" إقتصر على راحته، فظهرت كلمة العرب، وفتحوا باب الطمع والطلب، وزين لهم الكاتب أحمد بن الكماد كل نوع من أنواع الفساد، ثم توجه أحمد بن الكماد مع بعض الأعراب إلى صاحب بونة الأمير أبي عبد الله بن المولى يحي زكرياء، وحضه على المبادرة إلى ملك قسنطينة"، فأخذ الأمير أبو عبد الله برأيهم واتجه لقسنطينة سنة 796هـ/1393م، وحاصرها لأكثر من ثلاثة أشهر، إلا أن السلطان أبا فارس تغلب عليه سنة 797هـ/1394م، ففر الأمير أبو عبد الله إلى فاس طالبا للنجدة، بينما قام

---

[1]-إبن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص178،عادل نويهض: المرجع السابق، ص368.

[2]-لزعم فوزية: البيوتات العلمية بقسنطينة و بجاية ، المرجع السابق، ص201.

[3]-بوكرديمي نعيمة: المرجع السابق، ص83.

أبو بكر أمير قسنطينة بخلع نفسه[1]. وبالنسبة لأحمد بن الكماد لم تخبرنا المصادر ما كان مصيره.

1-3.أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الكماد(القرن 9هـ):

وصفه الفكون في قوله:"كان فصيحا خطيبا صيتا ذا سمت وزيّ حسن ورائق خط وكان كثير النثر، الشعر وصنعته...."[2]. تولى قضاء الجماعة بقسنطينة، ذكره الزركشي مرتين الأولى في أحداث عام 857هـ/1453م عندما قدم إلى الحاضرة تونس قائلا:"الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الكماد ناظرا في الأشغال بالحضرة"، والثانية كانت في أحداث عام 868هـ/1463م، عندما عزل الناظر في بيت الحساب:"وقدم الفقيه محمد بن الكماد بها وبدار الأشغال ....."[3]، وقد تحدث روبار برنشفيك في العنصر الخاص بالمالية و النقود على صاحب الأشغال ـ وذلك حسب الإصطلاح الحفصي وفي كامل المغرب الإسلامي بصفة عامة ـ يطلق آنذاك على المالية العمومية عبارة"الأشغال" أو " الشؤون". ويعد هذا المنصب من المناصب الكبرى في الدولة ، بحيث كان الناظر في الأشغال هو رئيس إدارة المالية[4]. وكان الكماد من تلامذة الشيخ الوزان (رحه) وله به نسبة قرابة كما يقال[5].

1-4.عمر بن محمد الكماد الأنصاري المعروف بالوزان(ت 960هـ/1557م):

وهو من علماء هذا البيت الذي عاش في عهدين مخضرمين (العهد الحفصي والعهد العثماني)، وكان فقيها عالما صوفيا ورعا معروفا بمشاركته في العلوم العقلية والنقلية، له كرامات ذكرها المؤرخون وأصحاب التراجم من أهل قسنطينة[6]، ومنها ما ذكره الفكون: "شيخ

---

[1]-الزركشي: المصدر السابق ، ص18، إبن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق، ص190.

[2]-الفكون: المصدر السابق، ص44.

[3]-الزركشي: المصدر السابق، ص-ص: 148-154.

[4]-روبار برنشفيك: المصدر السابق،ج2، ص66، لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص183.

[5]-الفكون: المصدر السابق، ص44.

[6]-فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص33.

الزمان وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف بالله الرباني أبي حفص عمر الوزان .....كان بحرا لا يجارى في العلوم فقها وأصولا ونحوا و حديثا، وله في طريق القوم اليد الطولى"[1]، أي التصوف.

وصفه المنجور في فهرسته: "الفقيه العالم الكبير المتفنن.... كان آية يبهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول، من عباد الله الصالحين"، تتلمذ عليه الكثير من الشيوخ منهم عبد الكريم الفكون وأبو الطيب البسكري، من مؤلفاته "البضاعة المزجاة" والرد على "الشبوهية" وختم بالتصوف وحاشية على شرح "الصغرى" للسنوسي، وكتب أخرى تضمنت فتاوى في الفقه وعلم الكلام أبدع فيها[2]. ومن مصنفاته أيضا تعليق على قول خليل وخصصت فيه نية التحالف. توفي بمدينة قسنطينة ودفن بمدرسة –آفانوس- التي تقع على يمين المار لباب الوالدي بالناحية الغربية لمدينة قسنطينة[3].

2 -بيت إبن نعمون:

هو من بيوتات مدينة قسنطينة العريقة، ذكره الفكون بقوله:" وهم دار عافية، ومن بيتات قسنطينة، وشهرتهم في أسلافهم، بن سيدي نعمون"[4] ، ينتسبون إلى أولاد نعمون من توابع الحفاصة من هنتاتة. ولهم زاوية أصلها لأصهارهم أسرة الفكون، فلما قام أحد أسلاف بيت الفكون وهو جدهم أبو عبد الله محمد ببناء مدرسة استقلوا بها" ورفعوا أنفسهم عن الزاوية المذكورة لأصهارهم" أولاد بن نعمون"[5].

ومن علماء هذه الأسرة:

2-1.أبو محمد بركات بن نعمون:

هو أحد فقهاء قسنطينة، وهو جد أبو عبد الله محمد بن نعمون الأب، وتحدث الفكون كثيرا عن هذا الشيخ وذكر رواية تؤكد على أن الأسرة كانت لها مكانة علمية، فذكر أن

[1]-الفكون: المصدر السابق، ص35.

[2]-التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص، ص:307،308 ،محمد مخلوف: المصدر السابق،ج1، ص283.

[3]-فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص33، الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص76.

[4]-الفكون: المصدر السابق، ص80.

[5]-المصدر نفسه، لزعم فوزية: البيوتات العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص 189.

الفقيه أبو محمد كان أميا في صغره، إذ خرج عن طريقة أسلافه"، ولذلك وبخه أبو زكريا الفكون، وأمره بالرجوع إلى طريقة أسلافه، وحضه على القراءة، فرجع عندها إلى طريقة أسلافه،" وفتح الله عليه في الفقه والصلاح، فكان ممن يشار إليه في الصلاح ورضى الحال"، تولى إمامة الجامع الأعظم بعد إنتقال الجد أبي زكريا إلى تونس، وظل كذلك إلى أن عزل منها، وقيل أنه أصيب في آخر حياته (بسلس لا يستطيع رفعه)، وكان هذا هو سبب عزله[1].

2-2.أبو عبد الله محمد بن نعمون:

ينحدر الفقيه أبو عبد الله الهدعو ا بكنيته إبن نعمون، من أسرتين علميتين عريقتين أسرة الفكون وأسرة إبن نعمون، فهو إبن أخت عبد الكريم الفكون الجد، وجده للأب الإمام أبو البركات إبن نعمون. رباه خاله عبد الكريم الفكون الجد لأن والداه توفيا وهو صغير، درس على مشايخ قسنطينة، منهم خاله عبد الكريم الفكون الجد،تولى عدة وظائف في قسنطينة "فكان في صغره من شهود دار القضاء"، كما تولى خطة الفرائض ومفاصلات التركات، والإشراف على صاحب المواريث بعد موت صهره أبي محمد عبد اللطيف المسبح، ثم ترقى لمنصب الفتيا"[2].

وأهم الوظائف التي تولاها الفتوى، التي ترأسها بعد موت أبي العباس أحمد الغبريني، وشاركه فيها أبو العباس أحمد المدعو حميدة بن أبي زكريا يحي بن باديس، وبعد مدة حدثت بينهما منافرة، فعزل إبن نعمون من خطة الفتيا بعد سجنه هنيهة، ورفعت يده إستقل أبو العباس لوحده[3]. وقد أطال الفكون الحديث عنه ووصفه بالقبح والفساد وأخذ الرشوة، وأكبر مساوئه تغيير كثير من أحباس البلدة، وهتك حرمتها والإغراء على بيعها،ودعا الله أن يطهر البلاد منه[4].

---

[1] - الفكون: المصدر السابق، ص81.

[2] -المصدر نفسه، ص-ص:80 -81-82.

[3] -لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، ص 190.

[4] -المرجع نفسه، ص ن، الفكون: المصدر السابق، ص–ص: 88-89.

2-3.محمد ومحمد التومي (ولدا محمد بن نعمون):

أعقب محمد إبن نعمون ولدان لهما نفس الاسم وهو محمد، إلا أن أحدهما عرف بالتومي، وحسب الفكون فقد كانا أنجب من والدهما، لذلك اعتمد عليهما (والدهما) في مجلس درسه، وفي غالب الفرائض، وفي غالب الوثائق، لأن ثلاثتهم معهم معرفة مبادئ فرائض القسمة، وتعرضا للفتوى خطة والدهما في زمنه لرفع يده (عزله عن الفتوى)، ثم تولى هو ورفع ولداه يديهما[1].

وقد كان أحدهما "وهو ولده المسمى محمدا" يقرأ مع الشيخ عبد الكريم الفكون في صغره في إحدى حلقات الدرس بقسنطينة، وكان ممسك لكتاب المدرس،ثم كُلف الفكون ــ صاحب منشور الهداية ــ بهذه المهمة التي كان يتقاضى عليها صاحبها أحيانا راتبا رمزيا من الأوقاف، بدلا من محمد بن نعمون[2].

3-بيت المسبح:

هو من البيوتات العربية العريقة بقسنطينة، وهم من بني مرداس، ذكر الفكون أربعة من رجال العلم من هذا البيت، منهم الإخوة الثلاثة :عبد اللطيف، وحميده، وبركات، وقد جمعتهم علاقة جيدة ببيت الفكون، وهم معاصرون لجده عبد الكريم بن يحي الفكون، وممن لهم محبة خالصة فيه و إخوته[3].

3-1.أبو محمد عبد اللطيف المسبح (ت980هـ/1572م):

وصفه الفكون قائلا:"الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرداسي نسبا"، كان مفتيا بقسنطينة، مدرسا في الفقه بها، وكان الحساب أغلب عليه من غيره، وتميز عن غير ه، في صناعة التوثيق، لذلك يقول بأنه كان:" مرجوعا إليه في وثائق أهلها" بمعنى قسنطينة، وبأنه كان " صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من وثائق"، له عدة مؤلفات منها: "شرح

---

[1]- المصدر نفسه، ص81.

[2]-لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص193.

[3]-الفكون: المصدر السابق، ص47، بن عمر علال: المرجع السابق، ص204.

على مختصر الشيخ عبد الرحمن الخضري"، و "شرح على درة الرحمن الأخضري" في الحساب. توفي سنة 980هـ/1572م[1].

3-2.أبو العباس أحمد المدعو حميدة المسبح(ت981هـ/1573م):

هو فقيه ومدرس، وهو أخ عبد اللطيف المترجم له قبله، وهو من المفتين بقسنطينة وممن له الشورى في النوازل، ويقال إن اعتماد أخيه عليه في بعض المهمات إلا أن أخاه أي عبد اللطيف "أشهر ذكرا لمخالطة الأمراء"،توفي حميدة المسبح سنة981هـ/1573م[2].

3_3.أبو محمد بركات المسبح(ت982هـ/1573م):

وهو أخوهما الأصغر منهما سنا، والأكثر منهما علما وفقها، الفقيه النجيب المشارك الذي كان مشتغلا بالقراءة والعكوف على الدرس والتدريس، حريصا على الانتفاع وصفه الفكون بـ:"الفقيه النجيب المشارك"، توفي في زمن الطاعون الذي أصاب الشرق الجزائري في سنة 982هـ/1574م[3].

كما توجد كذلك أسرة العطار الشهيرة بقسنطينة، وصف الفكون أحدهم بـ"الأوراري نسبا[4]"،وقد أنجب هذا البيت عدد من رجال العلم و منهم: أبو عبد الله محمد العطار(ت934هـ/1536م) عاصر الشيخ الوزان، وكان عارفا بالمعقول والمنقول، إشتغل بالتدريس والتجارة، وحضر دروس جامع الزيتونة[5]، كذلك أبو القاسم العطار كان معاصرا لعبد الكريم الفكون الجد، تصدر للفتوى والإقراء والتدريس، وحفيده إسمه أبو عبد الله بن العطار عاش خلال القرن العاشر الهجري، وأبو العباس أحمد العطار وهو إبن عم أبو عبد الله[6].

---

[1]-الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص223، الفكون: المصدر السابق، ص46.

[2]-المصدر نفسه، ص47، لزعم فوزية: المرجع السابق، ص194،عادل نويهض: المرجع السابق، ص 296.

[3]-الفكون: المصدر السابق،ص47، الحفناوي: المرجع السابق،ج2،ص102،عادل نويهض: المرجع السابق، ص 296.

[4]-الفكون: المصدر السابق، ص56.

[5]-فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص33.

[6]-لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، ص196.

ومن البيوتات التي كانت ذات نفوذ كبير بقسنطينة خلال العهد الحفصي، بيت إبن عبد المؤمن، إلا أن هذه المكانة تراجعت كثيرا خلال العهد العثماني، وكنا قد تحدثنا في الفصل الأول على الصراع الذي وقع بين هذه العائلة وعائلة الفكون عند مجيء الأتراك.

عرفت مدينة قسنطينة كغيرها من الحواضر ظاهرة التصوف و المتصوفة ومن الذين لعبوا دورا في تثبيت قواعد التصوف في المدينة البيت الملاري الذي أسس زاويته التي توسعت علاقاتها مع النخب الصوفية المغربية والأندلسية، وتظهر تلك العلاقة بوضوح مع بيت المرازقة التلمساني (بيت إبن مرزوق) وكذلك علاقاتها ببيت أبي محمد صالح الماجري بأسفي[1].

4-البيت الملاري وأبرز علماءه الصوفية:

لعب علماء البيت الملاري دورا كبيرا في بعث الحركة الصوفية بمدينة قسنطينة:

4-1.يعقوب بن عمران البويوسفي[2] (630-717هـ/1232-1317م):

والد جد إبن القنفذ الخطيب لأمه شيخ متعبد وزاهد متصوف ومحدث فقيه وهو من كبار الصوفية إشتهر بكراماته أسس الزاوية الملارية التي تقع بمنطقة "تليلك" بفرجيوة، وهو أحد كبار تلامذة القطب أبي شعيب(ت594هـ/1197م)، عاش ما يقرب سبع وثمانين سنة وو هب حياته للزهد والورع والتقوى وقضى آخره عمره بزاويته بملارة والتي توقي بها سنة (717هـ/1317م) ليترك لولده من بعده إرثا علميا ومكانة مرموقة في المجتمع وكذلك عند السلطة[3].

4-2.يوسف بن يعقوب الملاري(ت764هـ/1362م):

هو جد إبن قنفذ الخطيب لأمه ولد سنة 680هـ/1261م،وقد سلك منهج أبيه في طريق التصوف والذي رباه تربية روحية صوفية بزاويته ملارة، حتى أصبح مشرفا عليها،

1-بوسطلة راضية: المرجع السابق، ص7.

2-أنظر ترجمته، إبن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص40 وما بعدها.

3-بوسطلة راضية: المرجع السابق، ص7، بن عمر علال: المرجع السابق، ص249.

وكان يوسف مقدسا لأبي مدين متبعا مدرسته الصوفية، وفي عهده توسعت علاقات الزاوية مع النخب الصوفية المغربية والأندلسية، كما كان الشيخ يوسف مقدس للطريقة المدينية[1].

وكان الحفصيون يقدرونه ويعتقدون فيه ويتبركون بمجالسه. ويكتبون إليه باستمرار بدافع الرغبة في زيارته ودعواته. وكان سلاطين بني حفص لا يرفضون له طلبا وفي هذا الصدد يقول حفيده:" ووضع إليه القبول عند الأمراء وأعانهم على ما يرضاه عنه..... وعند ولاتهم في قضاء الحجات وقبول الشفعات وكف المدعي عليهم بالجنايات".

ولمكانة الشيخ يوسف عند الأمراء والسلاطين الحفصيين كلفه السلطان أبو يحي أبو بكر الحفصي(718-747هـ/1306-1318م) لأن الشيخ حضي بإحترام بني زيان وكثير التردد على مدينة تلمسان لزيارة ضريح أبي مدين بالعباد شيخ الطريقة التي كان يعتنقها ولقد أبرم الملاري خلال هذه المهمة الديبلوماسية معاهدة هدنة وحسن الجوار مدتها عشر سنوات[2]، وهو الذي اختار للسلطان أبي فارس لقب المتوكل على الله[3].

كما كان في خدمة المجتمع يعين الفقراء والمساكين، وكان كثير التصوف، ولورعه قال عنه إبن قنفذ: "أقام خمسين سنة لا يطلع عليه الفجر إلا في المسجد..وإ نه كان يفشي السلام وا إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام....."[4].

وتخرج على يده العديد من التلاميذ، تطرق إليهم إبن قنفذ في "أنس الفقير"[5] بالتفصيل وتحدث كثيرا على عائلة جده الملاري، ومن هؤولاء التلاميذ الشيخ الفقيه الصالح الولي أبا عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار (ت750هـ/1349م)و الشيخ حسن بن علي بن حسن بن قنفذ(ت750هـ/1349م)، كذلك أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي (ت 748هـ/1347م)، وغيرهم[6].

1-المرجع نفسه، ص249.

2-فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته، المرجع السابق، ص111.

3-ابن قنفذ:الفارسية، المصدر السابق، ص164، ابن قنفذ: أنس الفقير: المصدر السابق، ص40.

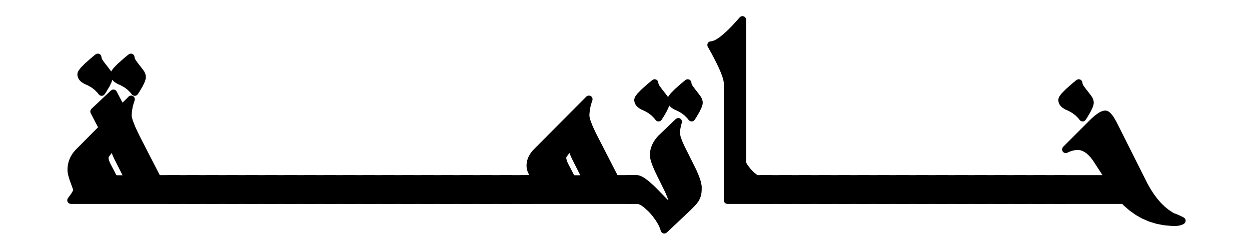
4-المصدر نفسه، ص44.

5-أنظر: المصدر نفسه، ص45.

6-نفسه، ص45 وما بعدها، بن عمر علال: المرجع السابق، ص252.

وبالتالي فقد تمتع هذا الشيخ هو ووالده بإحترام الجميع، وتوسعت علاقاته سواء مع العلماء و الصلحاء أو الأمراء والسلاطين، في حواضر المغرب الإسلامي، وليس في قسنطينة فقط، وهذا ما يدل على مكانة البيت الملاري المرموقة والعالية.

وخلاصة القول أن مدينة قسنطينة تعد من المدن المحظوظة التي تميزت بوجود العديد من البيوتات و الأسر العلمية التي رفعت مكانتها إلى الشهرة في بقاع العالم الإسلامي(المشرق والمغرب والأندلس) والتي برزت خلال العهد الحفصي، ومنها التي إستمرت مكانتها على العهد العثماني كبيت إبن باديس، ومنها ما تراجعت مكانتها كبيت الكماد وا بن عبد المؤمن، ورغم ذلك فقد خلدت إسمها في المدينة من خلال ذلك التراث الحضاري الذي تركته للأجيال داخل المدينة أو خارجها.


خاتمة

خاتمة:

أقدم في ختام هذا العمل الذي تناولت فيه موضوع "**البيوتات العلمية بقسنطينة**" خلال الفترة الوسيطة أهم الاستنتاجات المتوصل إليها:

1كانت قسنطينة منذ القديم عاصمة سياسية وا إقتصادية إحتلت مكانة كبيرة بفضل موقعها الإستراتيجي الذي كان منطقة جذب للأمم والشعوب البدائية التي توالت على المدينة بدءا بإنسان ما قبل التاريخ إلى الفتح الإسلامي وما تعرضت له من غزوات، لذلك أطلق عليها المؤرخون "بأم الحواضر".

2- ثم تراجعت هذه المكانة السياسية والإقتصادية –التي بلغتها على العهد القديم –وأضحت خلال الفتح الإسلامي مدينة مهمشة بحيث أهمل المؤرخين تدوين تاريخها ربما لأنها لم تكن مركزا لإتخاذ القرارات كتونس وتلمسان و بجاية، لكن هذا الوضع لم يستمر طويلا،لأنها استرجعت مكانتها السياسية من جديد عندما أصبحت العاصمة الثانية للدولة الحفصية .

3-تعد فترة الدراسة من أزهى الفترات في تاريخ المدينة، رغم الإضطرابات والفتن السياسية التي شهدتها الدولة الحفصية كغيرها من الدويلات التي حلت محل الدولة الموحدية، وطالبت بهذا الإرث، لذلك أطلق على هذا العصر بعصر المفارقات (المتناقضات) لأن الحياة السياسية المضطربة كانت على عكس الحياة الثقافية المزدهرة. فشهدت بذلك المدينة نهضة علمية وفكرية لم تشهدها من قبل، كان من مظاهر ذلك إنتشار المراكز العلمية والتعليمية في المدينة من مساجد وكتاتيب ومدارس وزوايا ومكتبات، وقد شجع السلاطين والأمراء على بناءها وبذلك توسعت دائرة المعارف وتنوعت العلوم النقلية والعقلية، وتداول الطلبة على هذه المعاهد ونبغ الكثير منهم، وزار المنطقة علماء من مختلف الحواضر فاستفادوا بدورهم، هذا ما نتج عنه تبادل المعارف والأفكار بين حواضر المغرب الإسلامي، فكثر التأليف والتصنيف .

4-وأبرز مظاهر هذا العهد تكوين عائلات مشهورة من العلماء في المدن الثقافية الكبرى ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بها، منها مدينة قسنطينة التي أنجبت بيوتا علمية إشتهرت بالعلم والفقه، وارتقت بالمدينة إلى مصاف المدن العلمية المتحضرة وتمتعت بالجاه والنفوذ والثروة، إضافة إلى الأسر العلمية التي أنجبت هي الأخرى عددا من العلماء، إلا أنها لم تكتسب الجاه والنفوذ كالبيوتات، وما يلاحظ على هذه الأخيرة أنها وجدت على العهد

الحفصي وإستمرت إلى العهد العثماني، منها التي ارتقت مكانتها (بيت الفكون) ومنها التي تراجعت مكانتها (بيت إبن قنفذ وابن باديس).

5-ظل بيت الفكون محافظا على مكانته كأهم البيوتات بمدينة قسنطينة وتميز بالجاه والمجد والعلم، ومما ساهم في بروز بيت الفكون هو تصدي عدد من علماءه للتدريس والفتوى، وقد حصرت السلطة في هذا البيت الخطابة بالجامع الأعظم (جامع البطحاء)، كما أوكلت له إمارة ركب الحج الجزائري منذ عهد الشيخ عبد الكريم الفكون الحفيد، الذي عدّ من أبرز علماء هذا البيت، كما نذكر الشيخ يحي (ت941هـ/1575م)، و الفكون الجد وغيرهم. وما يلاحظ على هذا البيت أن نفوذه بدأ يظهر أواخر العهد الحفصي، وحصل على العديد من الامتيازات السياسية والدينية في السلطة الحفصية، هذا ما يدل على ارتباطه بالسلطة .

6لعب البيت القنفذي هو الآخر دورا علميا وسياسيا وإجتماعيا كبيرا خلال هذه الفترة، مما عاد على المجتمع بالخير كونه الوسيط بين المجتمع والسلطة، وأبرز ما ميز هذا البيت هو ذلك النهج الصوفي من خلال ارتباطه الوثيق بالبيت الملاّري المشهور بزاويته والمعروف بعلاقته الوطيدة مع السلطة الحفصية، ومن أشهر علمائه يوسف (ت717هـ/1317م)وابنه عقوب الملاّري (764هـ/1362م).فتوارث ذلك البيت القنفذي واستحوذوا على المناصب السامية والرفيعة منذ بداية القرن8هـ/14م، وهي الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بالمدينة، إضافة إلى القضاء والإفتاء، وتوارثوا ذلك أبا عن جد وبرز من هذا البيت عالم ومؤرخ وموسوعي هو إبن قنفذ الخطيب الذي ترك ثروة جيدة ومتنوعة في علوم شتى، فتعتبر كتاباته التاريخية مصادر أساسية لكتابة تاريخ المغرب خلال القرن8هـ/14م.

7-ومن البيوتات التي إشتهرت بمكانتها العالية والمرموقة بمدينة قسنطينة بيت إبن باديس الذي أنجب هو الآخر علماء حملوا راية العلم بالمدينة وساهموا في تنشيط الحركة العلمية، وألفوا وصنفوا العديد من التآليف، وتصدروا لتولي الوظائف الدينية والسياسية مما يدل على ارتباطه الوثيق بالسلطة الحاكمة وعلى علاقته الجيدة بها، ومن هذه الوظائف نذكر وظيفة القضاء والتدريس والإفتاء والخطابة، فتوارث أبناء هذا البيت العلم والوظائف، ومن بين هؤولاء الذين ترجمت لهم المصادر نذكر الشيخ حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس (ت 784هـ/1382م)، وكذلك أبو علي حسن بن أبي القاسم (ت787هـ/1385م) وما

خاتمة:

يلاحظ على البيت الباديسي أنه رغم هذه المكانة إلا أن المصادر لم تمدنا بما يكفيه عن هذه العائلة.

8-كما وجدت في المدينة أسر وبيوتات أخرى لكنها كانت أقل شأنا من البيوتات التي ذكرناها، منها بيت إبن الكماد، وبيت المسبح، وبيت عبد المؤمن، وبيت إبن نعمون، وبيت إبن العطار، فلعبوا دورا مهما في تفعيل الحركة العلمية وا إثراءها، كما كان لهم مكانة سياسية. وبالتالي فقد وجدت في مدينة قسنطينة العديد من العلماء والفقهاء الذين ينتمون إلى أسر وبيوت متباينة حركوا ونشطوا ثقافة المدينة، وتواصلوا مع السلطة من خلال توليهم للوظائف .

وعليه فالبيوتات و الأسر العلمية على اختلاف أصولها، ساهمت في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام من خلال تصدي أبناءها للتدريس والتأليف، وأبرز أدوارها في هذا المجال هو تأسيسها لمدارس وزوايا خرجت الأجيال من المتعلمين ونشرت العلم، وحرصت على تعليم أبنائها وحتى بناتها في مختلف العلوم، ومن ثم حرصت على توريث أبنائها للوظائف العلمية والدينية العليا، ولا ننسى مصاهرتها للبيوتات والأسر المشهورة بالعلم والصلاح وذلك للحفاظ على مكانتها الإجتماعية، كما أن العلاقة الحسنة مع السلطة تكسب البيوتات حظوة كبيرة، وفي المقابل أن الجاه والنفوذ الذي تتمتع به البيوتات يجعل السلطة تقترب إليها. ومن ثم فإن هذه المكانة جعلت المدينة تعد إرثا معنويا وجماليا يشكل ذاكرة المدينة بكل مكوناتها الثقافية والإجتماعية والحضارية.

الملاحق

ملحق رقم (01) : البيوتات العلمية بقسنطينة توليها وتوارثها للوظائف :

إسم البيـــــت	علماء البيت المتولون للوظائف	نوع الوظيفة
بيت إبن الفكون(8علماء)	-أبو علي حسن بن علي بن عمر بن الفكون القسنطيني (حيا 602هـ/1205م). -محمد شقرون بن حليمة(عاش في القرن 9هـ/15م). -أبو زكريا يحي بن محمد بن الفكون(ت941هـ/1534م). -أبو الفضل قاسم بن يحي بن محمد (ت965هـ/1575م). -عبد الكريم الفكون الجد(ت988هـ/1580م). -أبو عبد الله محمد الفكون(ت 1045هـ/1635م). -عبد الكريم الفكون الحفيد(ت 1073هـ/1662م).	-التدريس -الخطابة -القضاء -الإفتاء -إمارة ركب الحج ومشيخة الإسلام. ملاحظة (تقلد الوظائف في هذا البيت كان آخر فترة الدراسة وبعدها).
بيت ابن قنفذ(4 علماء)	-حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ(ت644هـ/1265م). -علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت733هـ/1332م). -أحمد (أبو العباس)بن حسن بن علي بن حسن بن	-إفتاء -الخطابة والإمامة. -القضاء

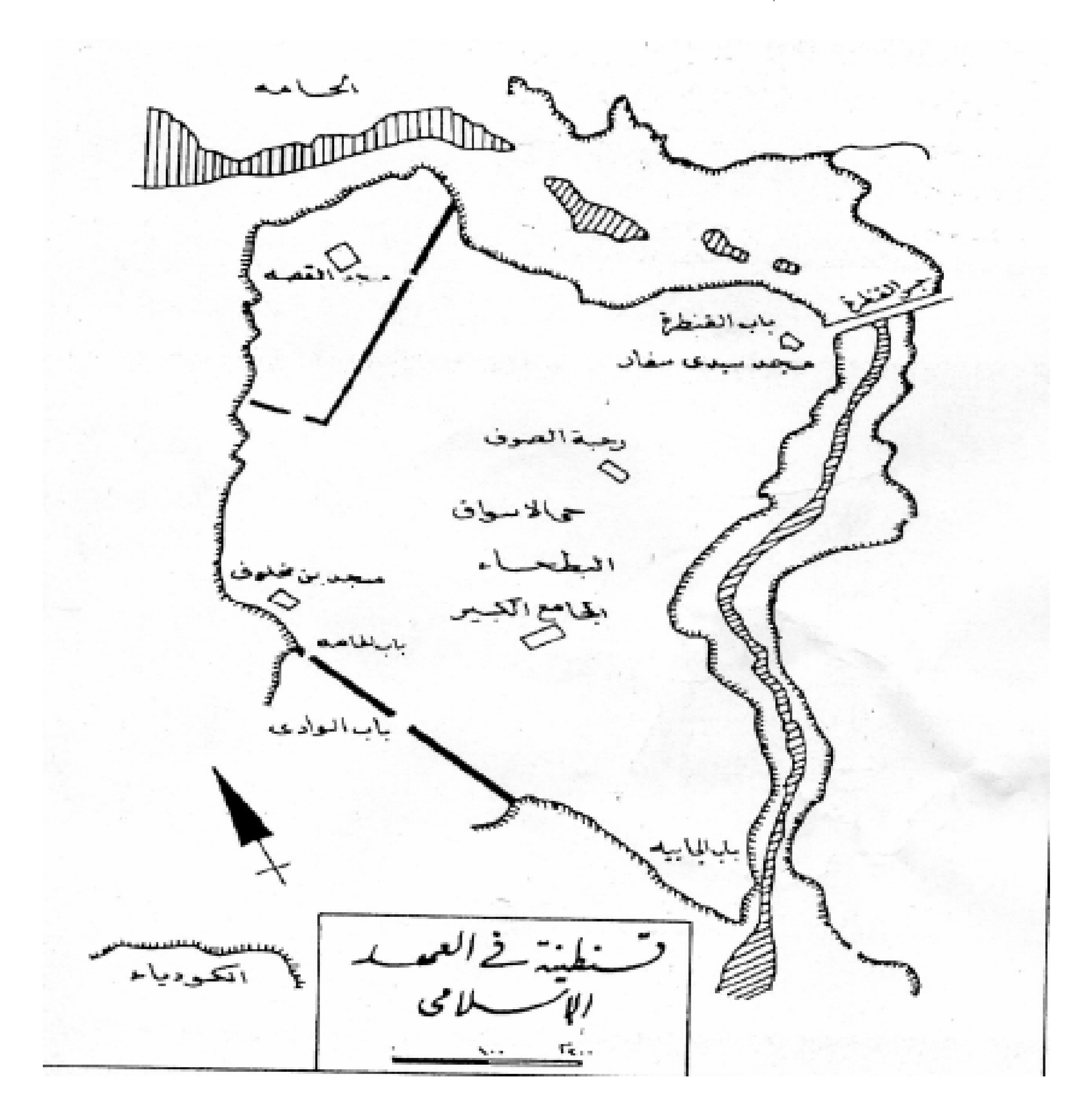
	علي بن ميمون بن قنفذ الشهير بإبن الخطيب (809هـ/1406م). -حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت 750هـ/1349م).	-القضاء -التدريس -الإفتاء ملاحظة(تولي الوظائف في فترة الدراسة)
بيت إبن باديس (3 علماء)	-أبو علي حسن بن بلقاسم بن باديس القسنطيني (عاش في القرن7هـ/13م). -حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني(ت784هـ/1382م). -أبو علي حسن بن القاسم بن باديس (ت787هـ/1385م).	-القصاء -الخطابة -الإفتاء ملاحظة (تقلد الوظائف في فترة الدراسة).
بيت إبن الكماد(4علماء)	-إبراهيم بن عبد الكريم بن الكماد(ق8هـ/14م). -أحمد بن الكماد(ق8هـ/14م). -أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الكماد(ق9هـ). عمر بن محمد الكماد الأنصاري المعروف بالوزان (ت960هـ/1557م).	-الكتابة -الكتابة -الخطابة -القصاء بقسنطينة -تولي دار

		الأشغال -الإفتاء – التدريس
بيت إبن نعمون (3 علماء)	-أبو محمد بركات بن نعمون . -أبو عبد الله محمد بن نعمون. -محمد ومحمد التومي.	-إمامة الجامع الأعظم -القضاء -الإفتاء -خطة الفرائض ومفاصلات التركات – الإشراف على صاحب المواريث .
بيت المسبح (3علماء)	-أبو محمد عبد اللطيف المسبح(980هـ/1572م) -أحمد المدعو حميدة المسبح (ت981هـ/1573م) -محمد بركات المسبح (ت982هـ/1574م)	-الإفتاء ،التدريس -التوثيق -الإفتاء، تدريس -التدريس، الإفتاء

ملاحق:

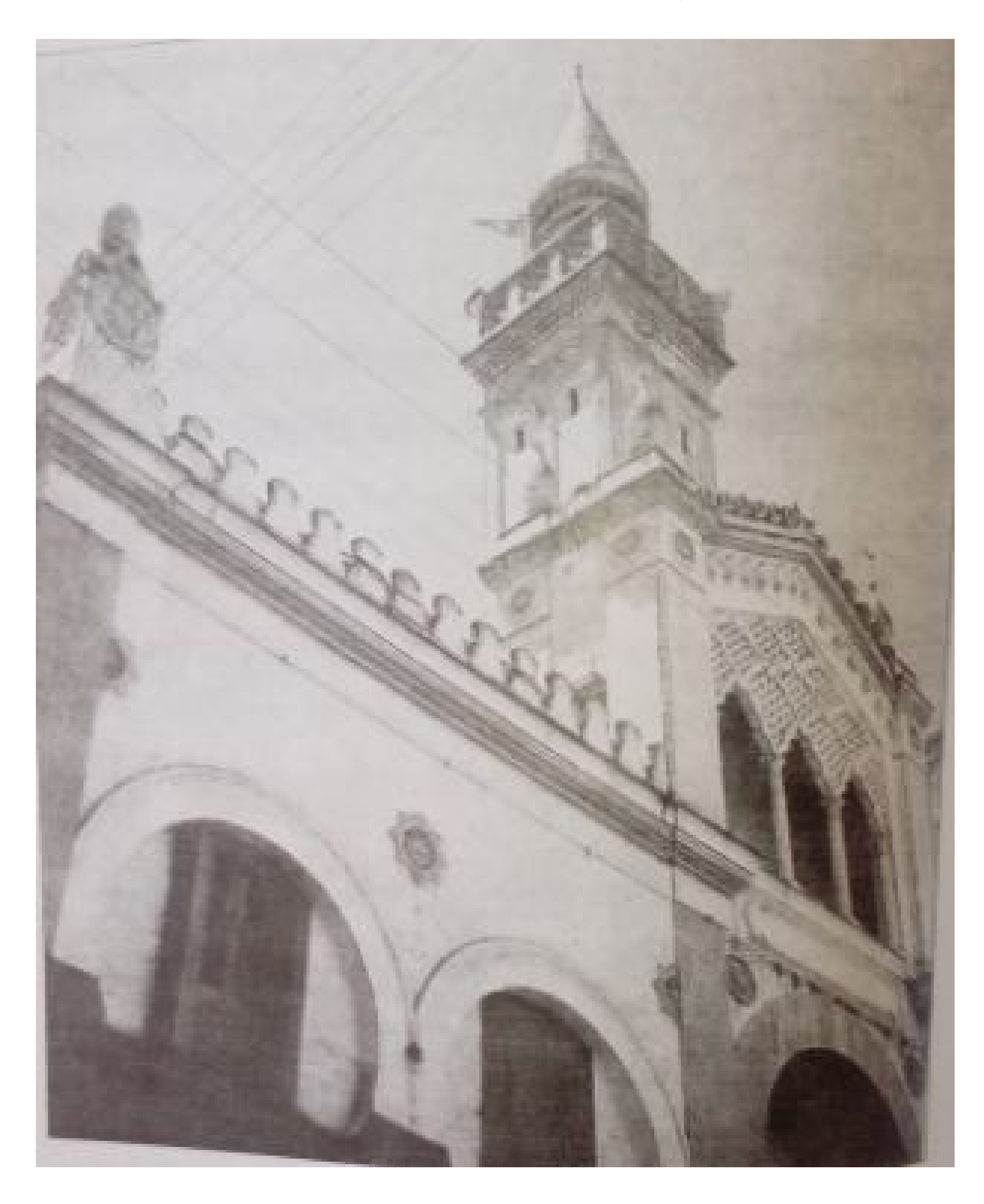
بيت العطار(3 علماء)	-أبو عبد الله محمد العطار(ق10هـ). -أبو القاسم العطار(ق 10هـ) -أبو عبد الله بن العطار(ق10هـ)	-لتدريس والإقراء -الفتوى والإقراء والتدريس -خطة نيابة القضاء -الإفتاء

ملحق رقم (02) : خريطة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية[1]



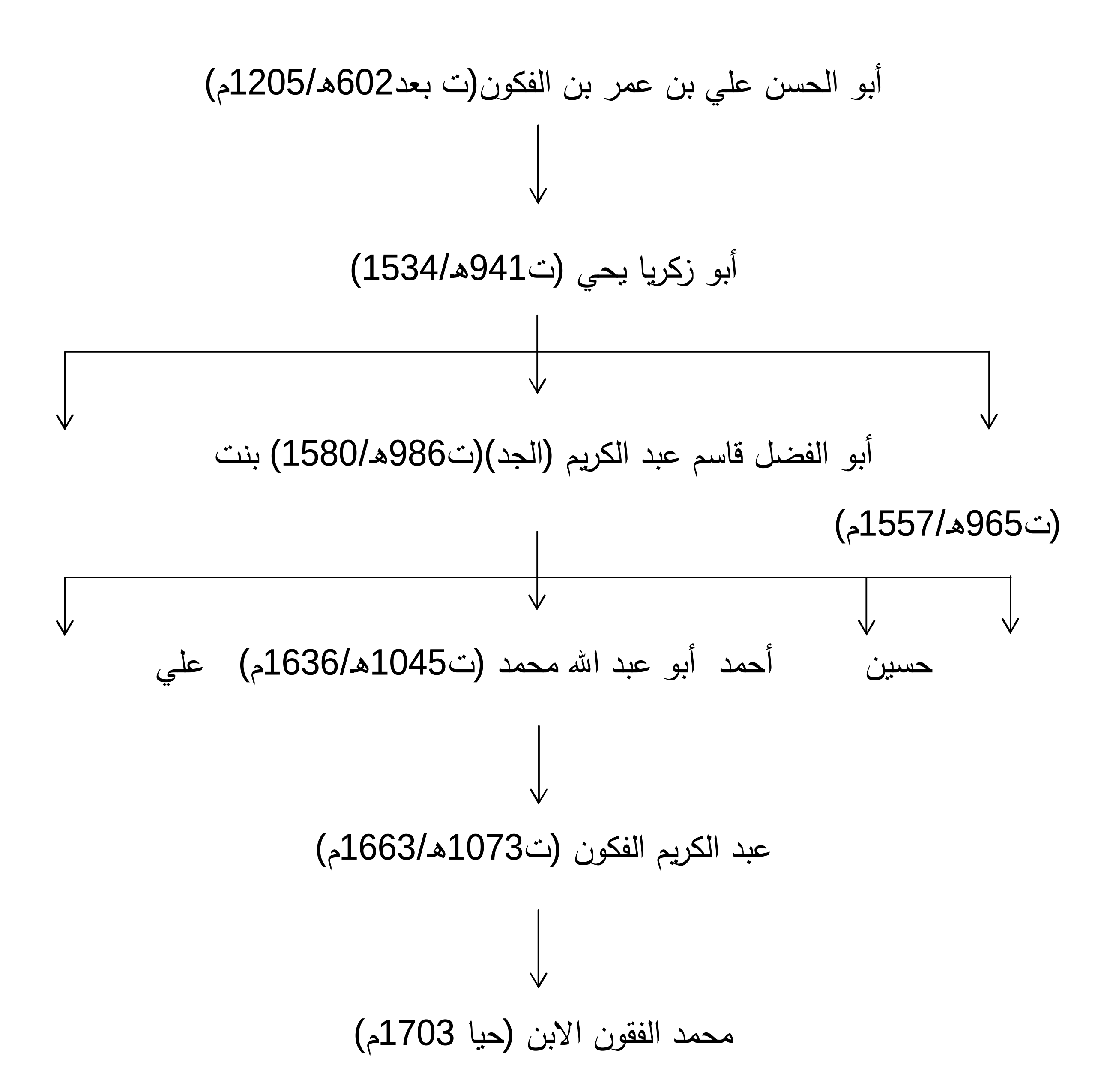
- بن عمر علال: المرجع السابق ، ص277.[1]

ملحق رقم (03): صورة المسجد الكبير بقسنطينة[1]



[1]-بومهلة تواتية: المرجع السابق، ص 86.

ملحق رقم (04): شجرة نسب عائلة بيت آل الفكون:



ملحق رقم (05): الورقة الأولى من مخطوط محدد السنان في نحور إخوان الدخان لعبد الكريم الفكون الحفيد[1]:

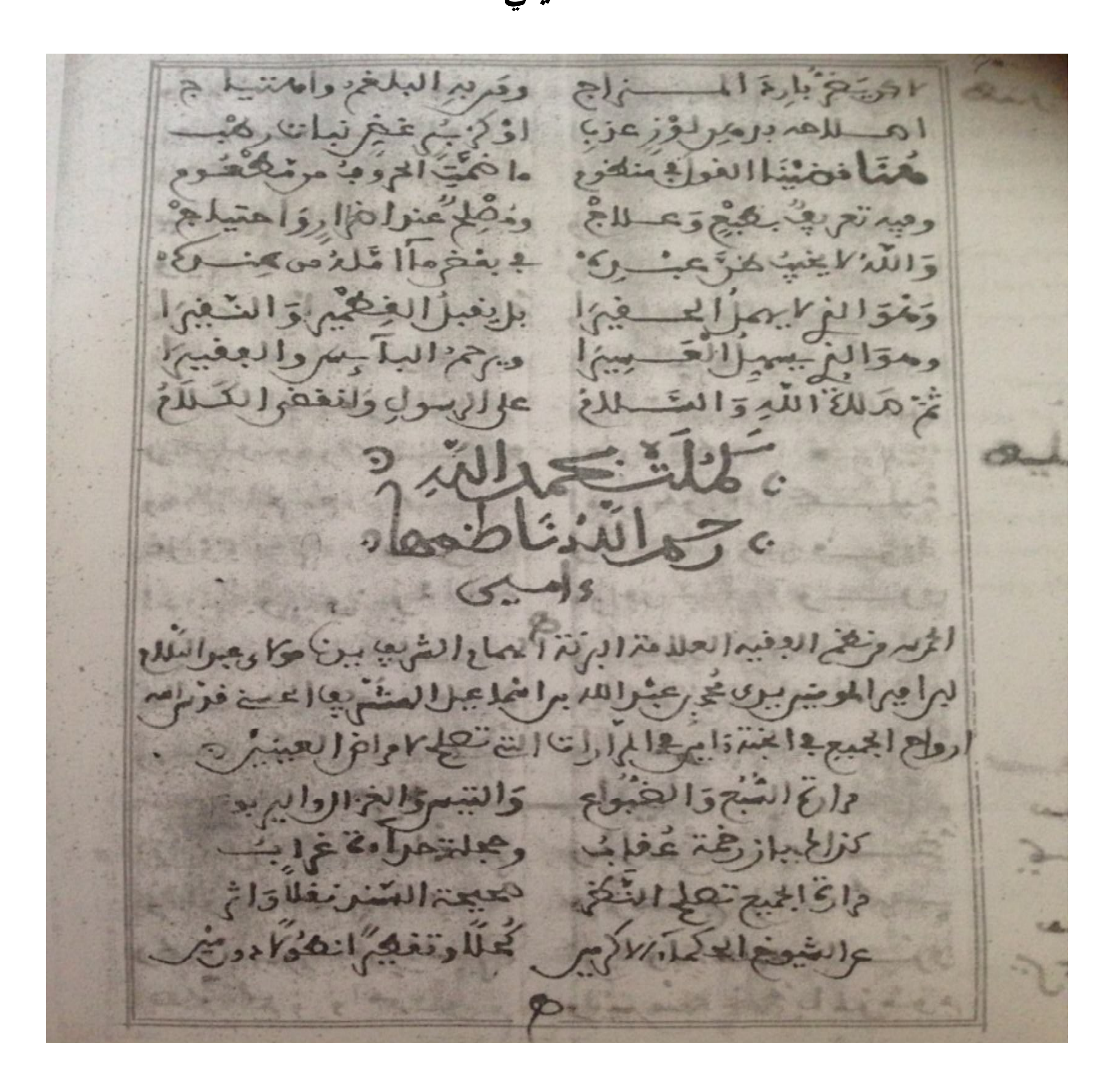

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد
كتاب محدد السنان في نحور أخوان الدخان تأليف الشيخ الفقيه
العالم العلامة الولي الصالح القطب الجامع المتفنن الصدر الشهير أبي محمد
عبد الكريم بن محمد الفكون التميمي القسنطيني رضي الله عنه
وأعاد علينا من بركاته

[1] -لزعم فوزية: البيوتات العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص 681.

ملحق رقم (06): الصفحة الأولى و الأخيرة من مخطوطشرح أرجوزة الدلالات الفلكية لابن أبي الرجال، لابن قنفذ القسنطيني[1]:

[1]-تواتية بودالية: المرجع السابق، د.ص.

ملحق رقم (07): الصفحة الأخيرة من مخطوط أرجوزة في الأغذية و الأشربة لابن قنفذ القسنطيني[1]:



كملت بحمد الله

رحم الله ناظمها

آمين

[1] - نصيرة عزرودي: العلوم العقلية في المنظومات القسنطينية -دراسة في النصوص المخطوطة-، محاضرة ألقيت بقسنطينة قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بتاريخ 27و28 نوفمبر 2016، د.ص.

ملحق رقم (08): الورقة الأخيرة من مخطوط تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد لابن قنفذ الخطيب القسنطيني[1]:

[1]-بوسطلة راضية: المرجع السابق، ص 5.

ملحق رقم (09): الورقة الخيرة من مخطوط منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية لعبد الكريم الفكون[1]:

[1]-الفكون: المصدر السابق، ص 26.

فهرس الأماكن

والأعلام

أسماء الأعلام
-أ-

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:سورة الأحزاب، الآية (33)،سورة آل عمران، الآيات(33-34).

أولا: المصادر:

1. إبن أبي دينار، أبو عبد الله محمد الرعيني القيرواني (ت1110هـ/1699م): **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1286م.
2. إبن أبي زرع علي الفاسي (ت726هـ/1325م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط ، 1972م.
3. إبن الأبار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البلنسي (ت658هـ/1260م): **الحلة السيراء**، تح، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1923م، ج2.
4. أبي عبد الله الأنصاري (ت894هـ/1488م): **فهرست الرصاع**، تح محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، ط1، 1967م.
5. أبي العرب، محمد بن أحمد تميم التميمي (ت 333هـ/944م): **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب، لبنان، (د، س، ن) ،ج1.
6. الأتابكي، جمال الدين (813-874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تع محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م، ج10.
7. الإدريسي، أبو عبد الله الشريف (ت520هـ/1126م): **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية**، القاهرة، 2002 م.
8. إبن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت776هـ/1373م): **رحلة إبن بطوطة المسماة تحفة الناظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، تح عبد الهادي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، مج1.
9. إبن جبير، أبو الحسن البلنسي (ت614هـ/1217م): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، (د. ت. ن).
10. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد (ت456هـ/1066م): **جمهرة انساب العرب**، تح، تع عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط3، 1971 م.
11. إبن حوقل، أبي القاسم النصيبي (ت387هـ/997م): **صورة الأرض**، مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.
12. ابن الخطيب، لسان الدين (ت776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجئ ،القاهرة، ط2، 1973 م، مج1.
13. إبن خلدون، عبد الرحمان أبو زيد ولي الدين(808هـ/1406م): **المقدمة**، مر، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2005م.

14. (ـــــــــــ): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مر، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000م، ج4.
15. (ـــــــــــ): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مر، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 2000م، ج6.
16. ابن خلدون، أبو زكرياء يحي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح عبد الحميد حاجيات، الجزائر،2007م، ج1.
17. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين (ت608-681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تع إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1398هـ/ 1978م، ج4.
18. إبن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى(ت685هـ/1286م): **كتاب الجغرافيا**، تح إسماعيل العربي، دفاتر التراث العربي، الجزائر، ط1، 1970م.
19. إبن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت681هـ/1457م): **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.
20. إبن عذارى المراكشي (كان حيا أواخر القرن 7هـ/13م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، تح إبراهيم الكتاني مع مجوعة أساتذة، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1985م، ج5.
21. (ــــــ ، ــــــ): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1963م، ج4.
22. إبن عساكر، أبي القاسم علي بن حسن (ت 499هـ/571م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تح عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج2.
23. ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح وتع محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م/1406هـ، ج6، ج8، ج5.
24. إبن القاضي، أحمد المكناسي (ت 1025هـ/1615م): **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح محمد الأحمد بن أبو النور، دار التراث القاهرة، (د، س، ن)، ج1.
25. (ـــــــــــ)، أحمد المكناسي: **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور، الرباط ، 1393هـ/1973م.
26. إبن قنفذ، أبو العباس أحمد القسنطيني (ت810هـ/1407م): **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.
27. (ــــــ ، ــــــ): **أنس الفقير وعز الحقير**، تح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث، الرباط، 1965م.
28. (ــــــ ، ــــــ): **وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام**، تق، تع سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د.ط.)، (د.س. ن).

29. (ـــــ ، ـــــ): **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تح عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.

30. (ـــــ ، ـــــ): **الوفيات**، تح عادل نويهض، دار الأنفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م.

31. إبن مرزوق، محمد التلمساني (ت781هـ/1379م): **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي السحن** تح ماريا خيسوسبيغيرا، تق محمود بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1981م.

32. إبن مريم، أبو عبد الله بن أحمد التلمساني (كان حيا س 1016هـ/1605م) : **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مر محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

33. أحمد بن المبارك بن العطار: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011م.

34. البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز(ت480هـ/1087م): **المسالك والممالك**، تح، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م، ج2.

35. البلاذري، أبي العباس أحمد : **فتوح البلدان**، تح عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م، 1407هـ.

36. البوني، أحمد بن قاسم (ت 1139هـ/ 1726م): **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، تق وتح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007م.

37. التنبكتي، أحمد بابا(ت1036هـ/1626م):**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح محمد مطيع، المملكة المغربية، الرباط، 2000م، ج1.

38. (ـــــ ، ـــــ): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق،عبد الحميد عبد الله الهدامة، دار الكتاب، طرابلس، ط2، 1999، ج1.

39. التنسي، محمد بن عبد الجليل (ت889هـ/1494م): **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، تح، تع محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر،2011م.

40. الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله (ت ق هـ14/8م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، مكتبة، لبنان، بيروت، ط1، 1995م.

41. خليفة بن خياط: تاريخه وطبقاته، إع حسين عاصمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

42. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيا 894هـ/1488م): **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966 م.

43. الزمخشري: **الأساس البلاغة**، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة، بيروت، (د. س. ن).

44. سحنون محمد : **آداب المتعلمين**، تح، حسين حسني عبد الوهاب، (د.د. ن)، تونس،(د. ط ن).

45. السراج، محمد بن محمد الأندلسي(ت1149هـ/1737م): **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،1985م، ج2.

46.السلاوي، الناصري أبو العباس أحمد (ت1315هـ/1897م): **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، إعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، لبنان،1971، مج3.

47.السلاوي (ــــــ ، ــــــ): **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، مكتبة نبراس، الصفا التاريخية، دار البيضاء ،(د.س.ن)، ج1.

48السملالي، العبّاس بن إبراهيم: **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، رج عبد الوهاب ابن منصور، دار الغولاص، الرباط، ط2، 1997م، ج3.

49.شارك في تأليفه إسماعيل بن الأحمر: **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

50.شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1347م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (521هـ - 630 هـ) ، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1998، ج45.

51.العبدري، محمد بن محمد بن علي (ت721هـ/1321م): **الرحلة المغربية**، تق سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحث و والدراسات، الجزائر، ط1، 2007م.

52. عبد الكريم الفكون (ت1073هـ/1662م): **منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية**، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.

53.العمري، عبد العزيز بن إبراهيم: **الفتوح الإسلامية عبر العصور**، دار إشبيليا، الرياض، ط3، 1421هـ/9991م.

54.العمري، إبن فضل الله شهاب الدين(ت749هـ/1349م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان،1971م.

55.العنتري محمد صالح : **تاريخ قسنطينة**، تح يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2009م.

56.العياشي، عبد الله بن محمد (ت 1090هـ/1679م) : **الرحلة** ، تح سعيد الفاطمي، "سليمان القرشي"، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، ط1، 2006، ج1،ج2.

57.الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد(ت704هـ/1304م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، ط2، 1979م.

58.القلصادي، أبو الحسن علي: **رحلة القلصادي**، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، تونس، 1985م.

59.القلقشندي، أبي العباس أحمد (ت756هـ-821هـ): **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م.

60.الكتاني، عبد الكبير: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، إعتناء إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م، ج2،ج1.

61.مجهول (ق 10هـ/16م): **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العربية، العراق، (د، س، ن).

62.مجهول: **الحلل الموشية في الأخيار المراكشية**، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، ط1، 1979م.

63.محمد بن عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تع ممدوح حقي، شالة، الجزائر، 2007م، ج1.

64.محمد بن محمد بن مخلوف(1360هـ/1945م): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1439هـ.

65.محمود مقيدش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح على الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1988م، ج1.

66.المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، ط2، 1909م.

67.المقري، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط)، 1988م، ج2.

68.المقري (ـــــــ ، ـــــــ): **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح محمد بن معمر سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا –جامعة وهران ، 2002م.

69.المقريزي، تقي الدين أحمد (ت834هـ/1830م): **إتعاظالحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح جمال الدين الشيال، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط2، 1996م، ج1.

70. (ـــــــــــ): **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف **بالخططالمقريزية**، الذخائر، القاهرة، 2002م، ج2.

71. (ـــــــــــ): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006 م .

72.الورتلاني، الحسن بن محمد: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**(الرحلة الورتلانية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م.

73.الوزان، حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت973هـ/1590م): **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ط2.(د.ت.ن)،ج1،ج2.

74.الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1504م):**المعيار المعرب والجامع المغرب**، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج1.

75. (ـــــــــــــ):**الوفيات،** موسوعة أعلام المغرب، تح محمد بن يوسف القاضي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980م، ج2.

ثانيا: المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، جمال الدين بن محمد مكرم (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، 1119م، ج1.
2. أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ/1331م): **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1830م.
3. الجوهري: **الصحاح**: تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
4. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ/1267م): **مختار الصحاح**، تح حائرة المعارف في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.
5. الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15 ،2002 م، ج4،ج1.
6. عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، إخ و ج مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ج2.
7. الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت817هـ/1416م): **القاموس المحيط**، تح محمد نعيم قسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 2005م.
8. معجم اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق العربية، القاهرة، ط4، 2004م.
9. ياقوت الحموي، أبي عبد الله شهاب الدين (ت626هـ/م1228): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م،(كل الأجزاء).

ثالثا: المراجع:

1. أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1996م.
2. أسكان الحسن: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/ 7-15م)، معهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004م.
3. برنشفيكروبار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م) ، تح حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1980م، ج1.
4. بوداليةتواتية :عرض مخطوطة "شرح ابن قنفذ القسنطيني لأرجوزة الدلالات الفلكية لابن أبي الرجال، محاضرة ألقيت بكلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،بتاريخ 27،28 نوفمبر2016م،(من س10:15-10:30).

5. بوسطلة راضية: خزائن المخطوطات أعلام مدينة قسنطينة (خزانة عائلةالفقونالقسنطينية_ دراسة حالة)، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة -2-، قسنطينة،(د.س.ن).
6. بورويبة رشيد: قسنطينة سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978م.
7. بومهلةتواتي: قسنطينة " حصين إفريقيا"، مراجعة أحسن بومالي، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.
8. بلمداني نوال: عرض رحلة أبو علي حسن بن الفكون إلى مراكش، محاضرة ألقيت بقسطينة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، بتاريخ 27 و 28، نوفمبر 2016م،(س 10:45-11:00).

9. بن شغيب محمد المهدي:أم الحواضر في الماضي والحاضر(تاريخ مدينة قسنطينة)، تحقيق سفيان عبد اللطيف، دار الروح للنشر،الجزائر، ط2 ،2015م.
10. الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام،دار مكتبة الحياة، الجزائر، ط2،1965 م،ج2،ج3.
11. حارش محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،(د. ت).
12. الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906م،ج1، ج2.
13. حوالة يوسف بن أحمد: الحياة العملية في إفريقية (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري)، أم القرى، مكة، 2000 .
14. روجي إدريس الهادي:الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م)، نقله إلى العربية حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1992م ،ج2.
15. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج1.
16. (ـــــــــــــ): شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م
17. شلوصرفندلين: قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة و تقديم أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

18. شنيتي محمد البشير: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومانية 146ق. م-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر)، ط2 ،1985م.
19. صفر أحمد: مدينة المغرب العربي في التاريخ ، دار بو سلامة، تونس، 1959،ج1.
20. الصيد سليمان:نفخ الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار،(د.د.ن)،(د.م.ن)،1994م.
21. صالح بن قرية وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني ، الجزائر، 2007م.

22. طالبي عمار: أثار ابن باديس، الشرعية الجزائرية،الجزائر،ط1983،2م،مج1.
23. الطويلي أحمد: في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، تونس، (د س ن).
24. طويل الطاهر: المدنية الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من (2هـ إلى 5هـ)، الترقية الثقافية، الجزائرية،2011م.
25. عثمان محمد: قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2013م.
26. عزرودي نصيرة: الانتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط، دراسة إحصائية تحليلية، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي،جامعة وهران، العدد 18، الجزائر، 1437هـ /2015 م.
27. نصيرة عزرودي: العلوم العقلية في المنظومات القسنطينية-دراسة في النصوص المخطوطة-، محاضرة ألقيت بقسنطينة قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بتاريخ 27و28 نوفمبر 2016م.
28. عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
29. عقيد مبروك:الإنتاج المعرفي في ميدان العلوم العقلية في قسنطينة،محاضرة ألقيت بقسنطينة، قسم التاريخ كلية الآداب والحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بتاريخ27و28 نوفمبر 2016 م،(من س10:45 – 11:00).
30. علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط الجزائر و الغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2008 م.
31. عواد منور: التأليف والتصنيف في البيت الفكوني ،محاضرة ألقيت بقسنطينة، قسم التاريخ ،كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر،بتاريخ 27و28 نوفمبر 2016،(س30 :11_ 11:45).
32. غربي كمال: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ذاكرة الناس، تلمسان، 2012م.
33. غانم محمد الصغير: سيرتا النوميدية (النشأة والتطور)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015م، ج1.
34. غانم محمد الصغير: المعالم الحضارية في الشرق الجزائر (فترة فجر التاريخ)، بمساهمة عبد المالك سلاطنية وآخرون، دار الهدى، الجزائر، 2006م .
35. غوتييه: ماضي شمال لإفريقيا، ترجمة هشام الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية،(د.م.ن)، ط2، 2010م.
36. الفرجاوي أحمد: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993م.

37. فرحاتي فتيحة: نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني(213ق.م- 46ق. م)، منشورات أبيك، 2007م.
38. فيلالي عبد العزيز: تلسمان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002م، ج1.
39. فيلالي بلقاسم: مكانة ابن قنفذ القسنطيني (740-810هـ/1340-1407م)العلمية من خلال المؤلفات،محاضرة ألقيت بقسنطينة،قسم التاريخ،كلية الآداب والحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، تاريخ 27و28 نوفمبر2016م،(من س30: 11-45: 11).
40. قداش محفوظ:الجزائر في العصور القديمة، وزار ة الثقافة، الجزائر، 2007م.
41. قشي فاطمة الزهرة: قسنطينة في عهد صالح باي ، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005م.
42. الكعاك عثمان: البربر، جبل المنار، (د. م. ن)،(د.ط.ن)، 1875م.
43. مباركية عبد القادر، طايبي زيد: النخب العلمية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011.
44. محمد بن زين العابدين بن رستم: بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار إبن حزم، لبنان، 2009م.

45. المطوي العروسي: السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1986م.
46. مغزاوي مصطفى:أثر المذهب المالكي في التدوين العلمي والعطاء المعرفي لفقهاء قسنطينة، محاضرة ألقيت بقسنطينة،قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،بتاريخ27و28 نوفمبر،(س30 :10- 45 :10).

47. الميلي،مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تحقيق محمد الميلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م،ج2.
48. مهران محمد بيومي: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1410 هـ/ 1990م.

رابعا: الدوريات:

1. بلعربي خالد: الغزو المريني لقسنطينة من خلال رحلة إبن الحاج النميري، مجلة عصور جديدة، العدد 08، جامعة وهران، الجزائر، 1434هـ/2015م.

2. بورملة خديجة: قسنطينة في جغرافية ورحلة الحسن الوزان، مجلة عصور جديدة، ، العدد18، جامعة وهران، الجزائر، 2015م.
3. بوشريط أحمد:إبنالفكون وا إسهاماته في التأليف "منشور الهداية" نموذجا، مجلة عصور جديدة،مختبر البحث التاريخي، العدد 18، جامعة وهران ، الجزائر، 2015م.
4. البوعبدلي المهدي: عبد الكريم الفكون والتعريف بتأليفه "منشور الهداية"، مجلة الأصالة، العدد 51.

5. بوعزيز يحي:الأوضاع السياسية والثقافية في عصر أحمد بن قنفذ القسنطيني(740-806هـ-1406م)،مجلة سيرتا للعلوم الإجتماعية، معهد العلوم الإجتماعية،العدد11، جامعة منتوري، قسنطينة،ماي1998م.

6. بوكرديمي نعيمة:البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي وا إسهامها الثقافي، مجلة عصور جديدة، العدد 18، جامعة وهران، الجزائر، 2015م.

7. بولخراصحمادوش: نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة، المجلة الخلدونية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 08،جامعة تيارت، تيارت،2015م.

8. بوهند خالد:الإمام بن باديس و مواقفه من الإندماج، دورية كان التاريخية،العدد19،دار ناشري، الكويت،مارس 2013م.

9. دحدوح عبد القادر: المساجد والمدارس بمدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، مجلة دراسات تراثية، ، معهد الآثار، العدد 03، الجزائر، 2009م.

10. زرمان محمد: عبد الكريم الفكون وكتابه "منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية"، مجلة معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، العدد 02، قسنطينة، 1914هـ/1999م.

11. الطويل أحمد:ابن قنفذ القسنطيني (740-810هـ)مؤرخا للحضارة الحفصية ومشاركا فيها،مجلة سيرتا للعلوم الإجتماعية، معهد العلوم الإجتماعية،العدد11،جامعة منتوري،قسنطينة، ماي 1998م.

12. غانم محمد الصغير: قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الإنسانية، العدد12، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999م.

13. فيلاليعبد العزيز:جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا ،معهد العلوم الإجتماعية،العدد 10، جامعة قسنطينة، الجزائر،أفريل 1988م.

14. فيلالي عبد العزيز: أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق7-10هـ/13-16م)، مجلة جامعة قسنطينة،علوم إنسانية،العدد01، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990م.

15. فيلالي عبد العزيز: ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، ع11، قسنطينة، محرم 1418هـ/ ماي 1998م.

16. قشي فاطمة الزهراء: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتروبولوجياالإجتماعية والثقافية (CrasK)، ع 19،20، وهران، جوان 2003م.

17. قويسم محمد: ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابة التاريخ (741-810هـ/ 1340-1407م)، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة 08 ماي 1945، العدد07، قالمة، جوان 2013م.

18. قويسم محمد: الفقيه أحمد بن قنفذ بن الخطيب القسنطيني (741-810هـ/ 1340-1407م)، دورية كان التاريخية،ع 5، دار ناشر للنشر الالكتروني،الكويت، مارس 2012م.
19. قويدر عباس: المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين (8هـ/14م)، دورية كان التاريخية، العدد 18، دار ناشري، الكويت 2012م.
20. لزعم فوزية: البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة و بجاية في ظل الحفصيين، مجلة عصور جديدة،مختبر البحث التاريخي، العدد 14-15، جامعة وهران ،الجزائر، 1435هـ/ 2014م.
21. مجاني بوبة: تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد لأبي العباس أحمد بن علي بن حسن بن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1407م)،مقاربة أولية، مجلة سيرتا،معهد العلوم الإجتماعية،العدد 11،جامعة منتوري، قسنطينة،محرم1418 هـ/ماي1998م.
22. المريني نجاة: ابن قنفذ من خلال رحلته أنس الفقير وعز الحقير، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، العدد11 ، جامعة منتوري، قسنطينة، 1998م.

خامسا: الرسائل الجامعية:

1. بكوش فافة: أبو عبد الله المقري (ت759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، إشراف جيلالي بلوفة عبد القادر، (شهادة ماجستير)، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة بلقايد أبي بكر، 1432هـ/2012م.
2. بن داود نصر الدين: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/19م إلى القرن 10هـ/16م، (رسالة دكتوراه)، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 1431هـ/2010م.

3. بن عمر علال: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7 – 10هـ/ 13م-16م)، (رسالة ماجستير)، إشراف عبد العزيز فيلالي، كلية الآداب العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2011.
4. بوحسون عبد القادر: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، (رسالة ماجستير)، إشراف لخضر عبدلي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008م.
5. بوخلوة حسين: عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988هـ-1073م/ 1580-1663م)، رسالة ماجستير، إشراف، الجيلالي سلطاني، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران ، 2009/2008م.

6. بوعامر مريم: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري مابين القرن (7و9هـ/13-15م)، إشراف مبحوث بودواية، (شهادة ماجستير)، قسم التاريخ و الأثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010م.
7. خالدي رشيد: دور علماء المغرب الأوسط في إزدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين (7و8هـ/ 13-15م)، (رسالة ماجستير)، إشراف لخضر عبدلي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2010 ـ 2011م.
8. خليفي رفيق: البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط (من نهاية القرن 3 هـ إلى القرن 9 هـ)، قسم التاريخ، (رسالة ماسجتير)، إشراف، نجيب بن خيرة، قسم التاريخ، قسنطينة، 2008م.
9. سعودي يمينة: الحياة الأدبية في قسنطينة خلال فترة العثمانية، (رسالة ماجستير)، إشراف الربعي بن سلامة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدبها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م.
10. لزعم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي و السياسي (925_1246هـ/1520 -1830م)، (رسالة دكتوراه)، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1435هـ/2014م.
11. نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي: الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م)، (رسالة ماسجتير)، إشراف عبد الواحد ذنون طه، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق،1425هـ/ 2003م.

سادسا: المراجع باللغة الأجنبية:

1. Ibn Cheneb :Lafarissiya ou la debut de la dunastie hafside par ibn, qonfodde Constantine revue, hesperis 1928, p37,38.
2. MercierErnest : Histoire de Constantine, Imprimeurs-Editeurs, costantine, 1903.
3. Mercier Ernest : Elévation de la famille el Fagon. Recueil des notes et mémoires de la société archéologiquede Constantine, 1878 .

سابعا: المواقع الالكترونية:

1. http:// noonnoma.mam9.com.

2. bin badi.net، عائلة ابن باديس القسنطينية من خلال موسوعة "الكتاب الذهبي" الفرنسي عام 1930، 2 شعبان 1438هـ/14 مساءا 28-4-2017.
3. https :// Ben BaDIs.com ; التراث العربي الجزائري، ابن باديس نسبه وأسرته، شعبان1438هـ/ 28-4-2017.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الموضوع **الصفحة**

فهرس المحتويات:

ملخص الدراسة

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في ظاهرة بيوتات العلماء بقسنطينة على العهد الحفصي من القرن 7هـ/13م -10هـ/16م، وهي: بيت الفكون، بيت إبن قنفذ، بيت إبن باديس، بيت الملاري، بيت إبن الكماد، بيت إبن المسبح، بيت إبن نعمون، بيت عبد المؤمن، حيث عالجت الظروف العامة لنشأتها وتطورها ثم تتبعت بروز علماءها الأفاضل والأجلاء، الذين كان لهم الإسهام الحضاري في التعليم والإمامة والقضاء والحركة العلمية والمشاركة السياسية وكذا الإجتماعية والإقتصادية بفضل رسوخ علمهم وعمق فهمهم وصلاح سيرتهم. وهدفنا من هذه الدراسة هو رد الاعتبار لهموالوقوف على تراثهم و الإستفادة منهم و الإقتداء بهم.

الكلمات المفتاحية: بيوتات، حركة علمية، علماء، أعلام، حاضرة قسنطينة.

Résumé :

Vous cherchez cette étude thématique le phénomène des familles savants à Constantin l’époque hafside du (7ème siècle / 13 ème siècle -10 ème / 16 ème siècle) ; à savoir: la maison Alvkon ; la maison du fils de konfad ; la maison d'Ibn Badis ; la maison de la malaria ; la maison du fils de Alkmad ; la maison du fils de la mosabah, la maison du fils de Namon ; Maison Abdelmoumen , où il a abordé les conditions générales des origines et de l'évolution, puis a suivi l'émergence de scientifiques distingués et vénérables, qui ont cotisé à l'éducation culturelle et l'Imamat et l'élimination du mouvement scientifique et la participation politique, ainsi que la stabilité sociale et économique grâce à leur connaissance et la compréhension de la profondeur et de la bonté de leur carrière. Notre objectif de cette étude est une réponse à compte pour eux et en tirer profit et de les imiter.

Mots clés : Familles - Savants - Personnalité - Mouvement scientifique - civilisation de Constantine.

Abstract :

This study deals with the phenomenon of the scholars’ families of the scholars in Constantine on the Hafsid era of the (7th century/13 century -10 th /16 century), namely: the house of the pharaoh, the house of the son of the hedgehog, the house of the son of Badis, the house of the king, the house of the son of the dam, the house of the house of the house. , Which dealt with the general conditions of its origin and development and then followed the emergence of distinguished scholars and evangelists, who had a cultural contribution to education, Imamate, judiciary, scientific movement and political participation as well as social and economic thanks to the depth of their knowledge and depth of understanding and good conduct. Our aim of this study is to respond to them and to benefit from them and follow them.

Key words: - Families - Scholars - Personality - scientific Movement - civilization of constantine.